



التصوف والسلوك

المعارف والذكاك

دروس التصوف

انشاء الزوايا

ضرورة الشيخ

تحقيق لفظة الصوفي

البات علم التصوف

الاخلاق الحميدة

الاعمال اليومية

المعتقدات

آداب المرشد

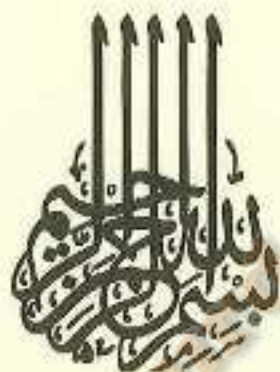
البات بعبء الطريقة

التصوف ما هو

التقشيري
المحادي

مولانا ذوالفقار احمد

شيخ المشايخ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين

الباب الأول

علم التصوف

نذكر ثلاثة أدلة لثبوت علم التصوف شرعاً.

الدليل الأول:

قال - جل شأنه -: ﴿وَدَرُّوْا ظَاهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٠) قال العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن رحمه الله تحت هذه الآية: «المُراد بظاهر الإثم أفعال الجوارح وباطنهُ أفعال القلوب».

(الباب التأويل في معاني التنزيل ج ٢ ص ١٢٢)

فأعمال الإنسان على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الأعمال المتعلقة بظاهر الإنسان فقط، وبعض الآيات تذكر أحكام هذه الأعمال مثل: ﴿وَكُلُّوْا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١) و: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَجْسَدِهِمْ﴾ (النور: ٣٠) و: ﴿فَاعْتَرَلُوا نِسَاءَ فِي الْمَحْضِيِّ﴾

(البقرة: ٢٢٢).

القسم الثاني:

الأعمال المتعلقة بباطن الإنسان وكثير من الآيات تذكر أحكام هذه الأعمال مثل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ٨١] و: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤١] و: ﴿فَلَا تَحْزَنْهُمْ وَاحْزَنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠].

القسم الثالث:

الأعمال المتعلقة بظاهر الإنسان وباطنه معاً مثلاً قول الله تعالى في ظاهري الصلاة: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَتَائِبَ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله في باطن الصلاة: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

واعلم أن الأعمال الظاهرة لها علاقة بعلم القال (الفقه) والأعمال الباطنة لها علاقة بعلم الحال (التصوف) وهذان العلمان تعلمهما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويدل على ما قلناه الأحاديث الآتية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما: فبثته، وأما الآخر: فلو بثته قطع هذا البلعوم).

[مشكاة كتاب العلم ص ٣٧]

قال المحدث الشهير، والفقيه النبيل علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: (فأما أحدهما) وهو علم الظاهر من الأحكام والأخلاق، (فبثته) أي أظهرته بالنقل فيكم، (وأما الآخر) وهو علم الباطن (فلو بثته) أي نشرته وذكرته لكم بالتفصيل (قطع هذا البلعوم) بضم الباء أي الخلقوم، لأن أسرار حقيقة التوحيد مما يغسر التعبير عنه على وجه المراد.

[مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٣١٣]

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعدما ذفن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: توفي اليوم تسعة أعشار العلم، فأنكر بعض

الصُّحَابَةُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ
عِلْمُ الْخَيْضِ وَالتَّفَاسِ، بَلِ الْمُرَادُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ فَاقْتَنَعُوا أَجْمَعِينَ بِهَذَا
الْجَوَابِ فَتَحَقَّقَ الْإِجْمَاعُ السَّكُوتِي لِلصُّحَابَةِ عَلَيْهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الصُّحَابَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ مَا كَانُوا يَسْكُتُونَ عَلَى أَمْرِ يَخَالِفُ الشَّرْعَ، بَلِ
كَانُوا سَيُوفًا مَسْلُوكَةً ضِدَّ الْبَاطِلِ.

لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ
مَخْصُوصًا بِعِلْمِ أَسْمَاءِ الْمُتَافِقِينَ كَانَ قَدْ أَسْرَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَسْأَلُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ
مِنْهُمْ فَيَقُولُ: هَلْ أَنَا مِنْهُمْ؟

[اللمع ص ١٩ وانظر أسد الغابة ج ١ ص ٢٩١]

فَإِنْ كَانَ لِبَعْضِ التَّابِعِينَ فَضْلٌ عَلَى بَعْضِ الصُّحَابَةِ فِي عِلْمِ الْقَالِ
(كَالْفَيْفَةِ) فَرُبَّمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْأَلُ عَنْ أَمْرِ
فَيَقُولُ: سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَلِيَعْمَلَ أَهْلُ بَصْرَى عَلَى فَتَوَاهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يَقُولُ: سَلُوا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَيَقُولُ
أَنْسُ: سَلُوا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ إِنَّهُ خَفِظَ وَنَحْنُ نُسِينَا وَلَا شَكَّ أَنَّ فَضْلَ
الصُّحَابَةِ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْيَقِينِ (عِلْمُ الْحَالِ) عَلَى التَّابِعِينَ كَفَضْلِ الشَّمْسِ
عَلَى مِضْبَاحِ اللَّيْلِ وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ يَقِينِ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ رَوَايَةِ
حَكَاهَا الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ، وَالْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي فَضْلِ
الصَّلَاةِ، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ
أَصْحَابِهِ (وَهُوَ خَارِثَةُ بْنُ سَرَّاقَةَ الْأَنْصَارِيِّ الشَّهِيدِ بِدَرٍّ) كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا
خَارِثُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا. قَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا خَارِثُ إِنَّ
لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ إِيْمَانِكَ؟

فَقَالَ: عَزَلْتُ نَفْسِي وَصَرَفْتُهَا عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُهَا
وَوَهَبُهَا وَفَضَّتْهَا وَمَدَرُهَا فَاسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي حَتَّى صِرْتُ كَأَنِّي

أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا
وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَارِعُونَ. وَفِي رَوَايَةٍ: يَتَعَاوَنُونَ. قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى هَذَا عَرَفْتُ فَالزَّمْ»، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ لَهُ:
«عَبْدُ نُورِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِنْ عَرَفْتُ فَالزَّمْ».

وفي أسد الغابة ج ١ ص ٣٥٥ والمصنف ج ١١ ص ٤٣ مختصراً

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ عَوْفَ
ابْنَ مَالِكٍ قَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ
مُؤْمِناً حَقّاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ لَكُلُّ قَوْلٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ
دَلِيلِي؟» فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ أَطْلُبْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَوَرَدْتُ إِلَيْكَ
وَأَظْمَأْتُ هَوَايَ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي
أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَارِعُونَ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَرَفْتُ».

المصنف لابن أبي شَيْبَةَ ج ١١ ص ٤٢

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ بَدَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمَا أَزْدَدْتُ
يَقِيناً. وَرَوَى فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ زَوْجَتِهِ قَالَتْ: مَا كَانَ
فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ، بَلْ
بَسَبِّ يَقِينِ الْقَلْبِ (المعرفة). وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْنِيِّ أَنَّهُ
قَالَ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمِيعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَثْرَةِ
الصُّومِ وَالصَّلَاةِ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي كَانَ فِي
قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ وَالتَّصَبُّحُ لَهُ.

اللمع ص ١٢٣

هَذَا الْعِلْمُ، هُوَ عِلْمُ الْحَالِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالتَّصَوُّفِ، وَهَذَا الْعِلْمُ
لَا يَتَأْتِي بِدَرَاةِ الْكُتُبِ، بَلْ لَا يَدْخُلُ لِتَحْصِيلِهِ مِنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.
كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: مَا أَذْرَكُنَا عِلْمُ التَّصَوُّفِ مِنْ طَرِيقٍ قَبِيلٍ وَقَالَ،

بَلْ أَذْرِكُنَّاهُ بِتَرْكِ الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا، فَتَحَقِّقْ أَنَّ أَنْهَارَ عِلْمِ الْقَالِ وَعِلْمِ الْحَالِ
كُلُّهَا خَرَجَتْ مِنْ مَنَبْعِ النُّبُوَّةِ.

الدليل الثاني:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُونِي». فَهَاتُوه أَنْ يَسْأَلُوه، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ
عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْإِسْلَامُ؟ ... مَا الْإِيمَانُ؟ ... مَا
الْإِحْسَانُ؟ (الحديث).

[مسلم ج ١ ص ٢٩]

هذه الأسئلة والأجوبة معروفةٌ بحديث جبريل عليه السلام،
فَالصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِغَلَبَةِ جَلَالِ النُّبُوَّةِ
إِلَّا قَلِيلًا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ لِيَتَعَلَّمَ
الْحَقَائِقَ الدِّينِيَّةَ لِيَسْأَلَ هُوَ وَيَجِيبَ مَعَهُمُ الْكَوْنَ حَتَّى تَمَلَأَ أَذْيَالُ الصُّحَابَةِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْعِلْمِيَّةِ، وَيَعْتَدُ أَنْ دَقَبَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يَعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، فَأَخْبِرَ
بِقَوْلِهِ: «أَتَاكُمْ يَعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» أَنَّ خُلَاصَةَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ مُوجُودَةٌ فِي هَذِهِ
الْأَجْوِبَةِ فَيُمْكِنُ تَفْسِيْمُ جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ عَلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ:

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَصُولَ الدِّينِ وَأَفْكَارَهُ.

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِإِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ.

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعًا فَمَوْضُوعُ

إِصْلَاحِ الْعَقَائِدِ جَاءَ فِي: (مَا الْإِيمَانُ؟)

وَمَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَرَدَ فِي: (مَا الْإِسْلَامُ؟).

وَأَمَّا مَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَيَتَضَمَّنُهُ: (مَا الْإِحْسَانُ؟).

واعْلَمُوا أَنَّ بَيَانَ خِلَاصَةِ الدِّينِ كُلِّهِ فِي عِدَّةٍ جُمْلٍ إعْجَازٌ نَبَوِيٌّ،
فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ.

كَانَتْ فِي ذَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَامِعِيَّةٌ كَامِلَةٌ لِجَمِيعِ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ
إِلَى الْغَايَةِ. فَسَرَّ هَذِهِ الشَّعْبُ الثَّلَاثَ حَقَّ التَّفْسِيرِ وَنَشَرَهَا وَكَانَ فِي الصُّحَابَةِ
جَامِعِيَّةٌ إِلَى حَدِّ مَا، لَكِنْ وَقَعَ النِّقْصُ فِيهَا شَيْئاً فُشِيئاً بِمَرُورِ الزَّمَنِ إِلَى أَنْ
دَوَّنَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ هَذِهِ الشَّعْبُ فِي عُلُومٍ ثَلَاثَةٍ مُسْتَقْلَةٍ.

فَدَوَّنُوا عِلْمَ الْكَلَامِ لِحِفْظِ وَشَرْحِ التَّوْجِيهَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِتَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ.

وَدَوَّنُوا عِلْمَ الْفِقْهِ لَشَرْحِ هَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِلْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ.

وَالْأُمُورُ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ لِإِضْلَاحِ الْبَاطِنِ دُونَ
لِتَفْصِيلَاتِهَا عِلْمُ الْإِحْسَانِ وَعِلْمُ الْأَخْلَاقِ وَعِلْمُ التَّصَوُّفِ، فَالْبَارِعُ فِي هَذِهِ
الْعُلُومِ الثَّلَاثَةِ هُوَ الْجَدِيرُ بِأَنْ يُسَمَّى مُحَقِّقاً وَعَالِماً كَامِلاً، فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا
التَّفْصِيلِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الثَّلَاثَةَ دَوَّنَتْ تَبَسُّيراً عَلَى الْأُمَّةِ، وَلَيْسَتْ هِيَ
وَمُرَاتِبُهُمَا.

قَالَ الشَّيْخُ زُرُقُوفِي فِي كِتَابِهِ إِيْقَاطُ الْهَيْمِ: (النِّسْبَةُ التَّصَوُّفِ مِنَ الدِّينِ
نِسْبَةُ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ).

وَقَالَ الشَّيْخُ مَجْدِدُ الْأَلْفِ الثَّانِي فِي مَكْتُوبٍ لَهُ إِلَى الْمَلَا حَاجِي
مُحَمَّدِ اللَّاهُورِيِّ: (شُعْبُ الشَّرْعِ ثَلَاثٌ: عِلْمٌ وَعَمَلٌ وَإِحْلَاصٌ، فَمَا لَمْ
تَنْحَقِّقْ هَذِهِ الشَّعْبُ الثَّلَاثَ لَمْ تَنْحَقِّقِ الشَّرِيعَةَ، وَلَمَّا تَحَقَّقَتِ الشَّرِيعَةُ
تَحَصَّلَ مَرْضَاةُ اللَّهِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ جَمِيعِ سَعَادَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ اللَّشَانِ يَمْتَنَزُ بِهِمَا الصُّوْفِيَّةُ تَخَذُمَانِ الشَّرِيعَةَ،
لِتَكْمِيلِ الْإِحْسَانِ فَلَا غَرَضَ مِنْ تَحْصِيلِهِمَا إِلَّا تَكْمِيلِ الشَّرِيعَةِ فَقَطْ، أَمَّا

الأحوال والمواجهيد والعُلُوم والمعارف التي تحصل أثناء الطريق، فليست من المقاصد فيجب الوصول بعد مجاوزة جميع هذه إلى مقام الرضا التي هي آخر منازل السلوك، فلا غاية لعبور منازل الطريقة والحقيقة سوى تحصيل الإحسان).

[المكتوبات ج ١ مكتوب ٣ و ٦]

قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله: (ومقتضود الطائفة الغالية الصوفية حصول مشاهدة الحق كأنك تراه وذلك الحضور يسمونه مشاهدة بالقلب).

[الانتباه في سلاسل أولياء الله ص ٣٩]

الدليل الثالث:

قال علماء الأصول في تعريف الحديث المتواتر الذي يكون قطعي الثبوت: (الخبر المتواتر ما يكون له طرق بلا عدد معين تكون العادة قد آحالت تواطؤهم على الكذب (نخبة الفكر)، فالخبر المتواتر ما يرويه هذا القدر من عدد الناس في كل زمان لا يسلم العقل السليم والطبع الإنساني توافقهم على الكذب والاختراع، أو أن هذه ثمرة مكيدة، إذا ثبت هذا نقول: إن علم التصوف ثابت بالتواتر والتوارث، فمن القرن الثاني إلى الآن قد تعلم التصوف عدد كثير من المخلصين في كل قرن استفادوا بأنفسهم وأفادوا آخرين، وهذا الدليل يكفي لإيضاح حقيقة وإثبات شرعية علم التصوف. قال مفخرة الهند الشيخ الشاه ولي الله المحدث الدهلوي: (صحبتنا وتعلمنا آداب الطريقة والسلوك متصلة إلى رسول الله ﷺ بالسند الصحيح المستفيض المتصل).

قصارى القول:

أخذ الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ علم القول وعلم

الحال، واستمر من ذلك الوقت إشاعة هذه العلوم وترويجها، وفي
الغصير الحاضر يوسم عِلْمُ الْقَالِ بالفقه أو الشريعة، وعِلْمُ الْحَالِ بعِلْمِ
التصوف والطريقة، ولا بُدَّ من هذين العلمين لتكميل إيمان الإنسان،
فكَمَا وَجَبَتْ عَلَى الطَّالِبِ دِرَاسَةُ كَثَرِ الذِّقَاقِ وَالْهِدَايَةِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ
يَذَرَسَ كِتَابَ اللَّمَعِ (لأبي نصر السراج) وَقُوَّةَ الْقُلُوبِ (لأبي طالب
المكي)، والأربعين (للإمام الغزالي)، وعوارف المعارف (للمشيخ
الشهروردي)، والمكتوبات (للمشيخ مجدد الألف الثاني). وإن وَجَبَتْ
الاستفادة مِنَ الْعَسْقَلَانِي وَالْقُسْطَلَانِي لِلْكَمَالِ فِي الرِّوَايَةِ؛ فَلَا مَفْرَءَ مِنَ
الانفتاح بِجَنِيدٍ وَبَايَزِيدَ، لِتَحْصِيلِ الْكَمَالِ فِي الدَّرَايَةِ.

مكانة التصوف عند أخيار الأمة:

قال الشيخ أبو طالب المكي في قُوَّةِ الْقُلُوبِ: (هُمَا عِلْمَانِ
أَصْلِيَّانِ لَا يَسْتَعْنِي أَحَدُهُمَا غَيْرَ الْآخَرِ، بِمَنْزِلَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مُرْتَبِطٌ
كُلُّ مَنَّهُمَا بِالْآخَرِ كَالْجِسْمِ وَالْقَلْبِ لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ).

يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (الشريعة ظاهر
الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة، وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ لَا يَتِمُّ أَحَدُهُمَا إِلَّا
بِالْآخَرِ).

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ
تَفَسَّقَ، وَمَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فَقَدْ تَزَلَدَقَ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ
تَحَقَّقَ).

قال الشيخ العلامة محمد أمين الشامي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الطريقة
والشريعة متلازمان).

أنشد الشاعرُ أَكْبَرَ إِلَهَ أَبَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانِ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ
عِدَّةَ آيَاتٍ جَمِيلَةٍ بَلُغَةٍ أَرَدُو وَمَعْنَاهَا:

اسمعوا مني هذا السر في كلمتين
 الشريعة في نادي المضطفي
 الشرع وضوء والطريقة صلاة
 في الطريقة رقى قلب المضطفي
 في الطريقة معنى شق الصدر
 في الطريقة زوعة جمال الحبيب
 يوجد في النبوة هذان اللونان
 فثبت أن علم التصوف ليس بشيء اخترعه العجم بل هو مكّي
 ومدني خالصاً، نعم أقوال الصوفية الجهال التي تخالف الكتاب والسنة
 مردودة دائماً.

قال الشيخ الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: (كل شريعة غير
 مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير
 محضول).

قال الشيخ الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رحمه الله: (كل
 طريقة رذته الشريعة فهو رذقة والحاد).

وقال أيضاً في مكتوباته: (مشايخنا لا يدفعون جواهر الشريعة
 النفيسة كالأطفال مقابل جواز ورهب الحال، ولا يميلون من النص إلى
 الفص، لا يلتفتون من الفتوحات المدنية إلى الفتوحات المكيّة عملهم
 رفيع).

وقال في مقام آخر: (لا عبادة بالرياضات والمجاهدات التي تلتزم
 بغير اتباع السنة لأن الكهان وبراهم الهند وفلايفة اليونان يلتزمونها أيضاً
 ولكنها لا تريد لهم إلا ضللاً).

[المجلد الأول المکتوب رقم مائتين وواحد وعشرين]

قال الشيخ الحاج أمداد الله المهاجر المكي رحمه الله: (ما يقول
 بعض الجهلاء من أن الشريعة شيء والطريقة شيء آخر، فذلك بسبب قلة

فَهَمِهِمْ فَقَطْ. الطَّرِيقَةُ بِغَيْرِ الشَّرِيعَةِ مُرَدودَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَّا صَفَاءُ
الْقَلْبِ فَتَحْصُلُ لِلْكَثَرِ أَيْضاً شَأْنُ الْقَلْبِ مِثْلُ الْمَرَاةِ إِنْ كَانَتْ صَدِيقَةً يُمْكِنُ
تَنْظِيفُهَا بِالْبَوْلِ، وَيُمْكِنُ بِمَاءِ الْوَرْدِ، لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيَّنَّ النَّجَاسَةُ
وَالطَّهَارَةَ، اتِّبَاعُ السُّنَّةِ مَقْيَاسٌ لِمَعْرِفَةِ الْوَلِيِّ، مَنْ اتَّبَعَ السُّنَّةَ فَهُوَ وَلِيُّي،
وَمَنْ ابْتَدَعَ فَهُوَ سَخِيفٌ، وَأَمَّا الْعَجَائِبُ فَسَوْفَ تَصْدُرُ عَنِ الدَّجَالِ أَيْضاً).

[رجوم المذنبين ص ١٢٩]

فَلَا بُدَّ لِلسَّالِكِ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّصَوُّفَ مِنَ الْمَشَايخِ الَّذِينَ يَطَابِقُ عِلْمُهُمْ
وَعَمَلُهُمْ وَحَالُهُمْ وَقَالُهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَطَابَقَةً تَامَّةً، وَلَا يَنْبَغِي الْمِيلُ
أَبْدأً إِلَى هَفَوَاتِ الْمُتَصَوِّفِينَ الْجَاهِلِينَ. تَقُولُ الْعَرَبُ: (خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ
مَا كَثُرَ).

البَابُ الثَّانِي

التَّصَوُّفُ مَا هُوَ ؟

قَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ : (التَّصَوُّفُ مَا هُوَ ؟) جَمَاعَةٌ بِأَجَوِبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ : مِنْهُمْ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَوْلَدِ رَفِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ ذَكَرَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ جَوَابٍ فِي كِتَابِهِ نَتَقَلَ بَعْضُهَا مِنْهَا اخْتِصَارًا .

١ - سَأَلَ الشَّيْخَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَضَّابَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ مِنْ أَسَاتِذَةِ الشَّيْخِ جُنَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ التَّصَوُّفِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ :
(أَخْلَاقٌ كَرِيمَةٌ ظَهَرَتْ فِي زَمَانٍ كَرِيمٍ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ مَعَ قَوْمٍ كِرَامٍ) .

٢ - قَالَ الشَّيْخُ الْجُنَيْدُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ أَنْ تُغَرِّضَ عَنِ الْخَلْقِ وَتُصِلَ بِاللَّهِ) .

٣ - قَالَ الشَّيْخُ زُوَيْمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ اسْتِرْسَالُ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يُرِيدُهُ) .

٤ - قَالَ الشَّيْخُ سَمْنُونُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ أَنْ لَا تَمْلِكَ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكَكَ شَيْءٌ) .

٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ عَنِ الدَّخُولِ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ وَالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ

دُنْيِيٍّ) .

٦ - قَالَ الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ الْمَكِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى فِي الْوَقْتِ) .

[اللمع ص ٢٥]

٧ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ مُرَادِفٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَنْ كَانَ أَحْسَنَ مِنْكَ خُلُقًا كَانَ أَحْسَنَ تَصَوُّفًا) .

٨ - قَالَ الشَّيْخُ الْمُرْتَعَشُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ مَجْمُوعُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) .

٩ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَزْوِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ يُطْلَقُ عَلَى أَخْلَاقٍ يَرْضَى بِهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ) .

١٠ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثَّوْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ لَيْسَ بِعِبَارَةٍ عَنْ عِلْمٍ أَوْ فَنٍّ بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ) .

١١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ خَضْرَوِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ عِبَارَةٌ عَنْ التَّزَكِّيَةِ مِنْ خُبَثِ الْبَاطِنِ وَقَلْبِهِ) .

١٢ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَكْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ لِإِقَامَةِ أَحْوَالِ النَّفْسِ عَلَى الصُّدْقِ) .

١٣ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ النِّسَابُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ كُلُّ آدَابٍ، آدَبٌ كُلِّ وَقْتٍ، آدَبٌ كُلِّ حَالَةٍ، آدَبٌ كُلِّ مَقَامٍ) .

١٤ - قَالَ مَعْرُوفُ الْكَرَخِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ) .

١٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ شُنُجَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ فِي زَمَنِ كَانِ حَقِيقَةً بِلَا اسْمٍ، وَأَصْبَحَ الْيَوْمَ اسْمًا بِلَا حَقِيقَةٍ).

١٦ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَمْزَةَ الْبَغْدَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ أَخَذَ الْعَفْوَ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ).

١٧ - قَالَ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ نَقِشْبَنْدِ الْبُخَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الْإِجْمَالِي تَفْصِيلِيًّا وَالْأَمْرُ الْاسْتِدْلَالِي كَشْفِيًّا).

١٨ - قَالَ الْإِمَامُ الرِّبَانِي مَجْدُدُ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ).

١٩ - قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ أَشْرَفُ عَلِي التَّهَانَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ اسْمٌ لِمَحْوِ النَّفْسِ).

٢٠ - قَالَ شَيْخُ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ مَا بَدَايَتُهُ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَنَهَايَتُهُ : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»).

٢١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ عَلِي اللَّاهُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ أَنْ تُزْصُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَرَسُولَهُ بِالطَّاعَةِ وَخَلْقَهُ بِالْخِدْمَةِ).

مَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ :

الحياةُ جوهرٌ ثمينٌ مفوضٌ بربه إلى الإنسان. يخاطبُ ربُّ الْعَالَمِينَ الإنسانَ فِي مَقَامٍ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَفِي مَقَامٍ تَوَجَّهَ بِقَوْلِهِ : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الاسراء: ٧٠] وَفِي مَقَامٍ أَعَزَّهُ بِتَعْلِيقِ قِلَادَةِ قَوْلِهِ : ﴿فَسَلِّكُنَا﴾ فِي عُنُقِهِ، فَيُنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَ عَلَى سَبِيلِ : ﴿وَبَسَّطْ

إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿[الزمر: ١٨] واضعاً أمامه ميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]
ولا يستريح إلا بعد أن يتلغ إلى منزل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مُنْهَبَهَا﴾ [النزعات: ٤٤].

ثم اعلم أنه لا بد للوصول كل سيارة إلى المنزل من أمرين:
أحدهما: أن يكون الشارع سالماً. وثانيهما: أن يكون البنزين موجوداً
في السيارة، فإن لم يكن الشارع سالماً لا تجري عليه السيارة، وإن لم
يوجد في السيارة بنزين لا تجري السيارة أيضاً، فهما متلازمان. فالإنسان
كالسيارة والشرعة كالشارع والطريقة كالبنزين، فإن كان الإنسان يريد
الوصول إلى الله تعالى، فهو محتاج إلى شارع الشرعة وبنزين الطريقة،
فالذين يرفضون شيئاً من الشرعة أو الطريقة يجدون سياراتهم واقفة في
الطريق. الحياة الناجحة أن يعيش الإنسان ملبياً على: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾
متخلفاً بـ: «تخلّفوا بأخلاق الله» متحلياً بالأوصاف المحمدية لينصل إلى
بشارة: ﴿لَهُمُ الْبَقَرَى﴾ [يونس: ٦٤] ومنزل: ﴿وَيَرْضَوْنَ مِنَ اللَّهِ أُكْبَرُ﴾
[التوبة: ٧٢] بعد أن دخل في حزب: ﴿وَاللَّيْلَى إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ١٧] فهذا هو
التصوف.

الباب الثالث

تحقيق كلمة «الصوفي»

استُعْمِلَ للمؤمنين في القرآن والحديث كلمات كثيرة مثل :
الذَّكْرَيْنِ، والصَّابِرِينَ، والخَّاشِعِينَ، والصَّادِقِينَ، والقَائِتِينَ، والمُؤَقِّتِينَ،
والمُخْلِصِينَ، والمُخْسِنِينَ، والخَائِفِينَ، والْوَجِلِينَ، والغَابِطِينَ،
والمُتَوَكِّلِينَ، والمُقَرَّبِينَ، والأَبْرَارِ، والْفُقَرَاءَ، والعِبَادَ، والأَوْلِيَاءَ؛ وَكَانَ
السَّلَفُ الصَّالِحُونَ يَخْتَارُونَ مِنْهَا بَعْضَ الْكَلِمَاتِ جِهًا فَجِهًا عِنْدَ التَّحَادِثِ
فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَكِنْ أَصَابَتْ شُهْرَةً وَاسِعَةً كَلِمَتَانِ : الْفُقَرَاءُ وَالْعِبَادُ. مِثَالُ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيمَا يَلِي :

١ - قَالَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَرَّةً :

(يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ بِاللَّهِ وَتُكْرَمُونَ لِلَّهِ، فَانظُرُوا كَيْفَ
تَكُونُونَ مَعَ اللَّهِ إِذَا خَلُوتُمْ بِهِ).

٢ - قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَمَاءُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ٢١٦) :

(قَالَتِ الشَّفَاءُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ : رَأَيْتُ فَتِيَانًا يَقْصِدُونَ فِي الْمَشْيِ
وَيَتَكَلَّمُونَ رُوبِدًا، قَالَتْ : مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا : نَسَاكَ (يَعْنِي عِبَادًا).

أَمَّا كَلِمَةُ : (الْفُقَرَاءُ) فَتَطَلَّقَ عَلَى مَنْ يَتَّصِفُونَ بِالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْعِبَادُ
فَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَغِيلُونَ بِالْعِبَادَةِ، فَكَانَتِ الْكَلِمَتَانِ تُشِيرَانِ إِلَى صِفَاتِ
مَوْصُوفِيهِمَا، وَلِذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ يَجْتَنِبُونَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى

صِفَاتِهِمُ الْبَاطِنَةُ وَمَقَامَاتِهِمْ خَشْيَةُ الرَّيَاءِ مُفْتَضَى الْأَدَبِ أَنْ يُنَادَى الْإِنْسَانُ حَسَبَ هَيْئَتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالْقَدَرُ الْمَشْتَرِكُ الظَّاهِرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِبَاسُ الصُّوفِ، كَانُوا يَلْبَسُونَهُ عَلَى طَرِيقِ السُّنَّةِ، فَقَدْ نُقِلَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْهُجَوِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كَشْفِ الْمَحْجُوبِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ الصُّوفِ تَجِدُونَ خَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ».

[كشف المحجوب مترجم ص ٧٣]

فَنَظَرْنَا لِأَنَّ الصُّوفَ كَانَ مِنْ عَادَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَشِعَاراً لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ، تُسَبَّوْا إِلَى لِبَاسِهِمُ الظَّاهِرِ، فَصَارَ الصُّوفِيُّ اسماً عاماً وَمُنْجَماً يَنْبَغِي عَنْ جَمِيعِ عُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَجَمِيعِ أَخْوَالِهِمُ الْمَحْمُودَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو نُصَيْرٍ السَّرَاجُ الطُّوسِي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ طَائِفَةً مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَسَبَّهَ إِلَى ظَاهِرِ اللَّبَسَةِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ قَالِ الْمَوَارِثُونَ﴾ الْآيَةُ (المائدة: ١١٢). وَكَانُوا قَرِيباً يَلْبَسُونَ الْبَيَاضَ، فَتَسَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْسَبْهُمْ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَخْوَالِ الَّتِي كَانُوا بِهَا مَتَرَشِّمِينَ، فَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ عِنْدِي.

[اللمع ص ٢١]

فَقَبِلْتُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ، هَذَا هُوَ أَقْوَى الْأَقْوَالِ وَأَثْبَتُهُ لَعَنَةُ الشَّيْخِ أَبُو بَكْرٍ إِبْرَاهِيمُ الْبِخَارِيُّ الْقَلَابَازِيُّ فِي كِتَابِهِ: (التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ التَّصَوُّفِ) وَمُلَخَّصُهُ مَا يَأْتِي:

١ - قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصِّفَاءِ وَعَلَّلُوا أَنَّ مَقْصُودَهُ تَرْكِيبُ الْبَاطِنِ، وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنِ اللَّفْظُ «صَفَاوياً».

٢ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصِّفِّ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ

في الصَّفوفِ الأولى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)، وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنْ هَذَا اللَّفْظُ «صَفِيًّا».

٣ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصِّفَةِ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ تَذَكَارُ أَصْحَابِ الصِّفَةِ وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنْ هَذَا اللَّفْظُ «صَفِيًّا».

٤ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ هَذَا اللَّفْظَ مُسْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ، وَالْمُنْسَوْبُ إِلَى الصُّوفِ «صُوفِي» فَعَلِمَ أَنَّ لَفْظَ «الصُّوفِي» مُسْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الصُّوفِ، وَغَرَضُهُ الصِّفَاءُ، وَلَهُ نِسْبَةٌ إِلَى أَصْحَابِ الصِّفَةِ وَمَنْزِلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصِّفِّ الْأَوَّلُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

وَفِي نِسْبَةِ لَفْظِ «الصُّوفِي» إِلَى الصُّوفِ حِكْمٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

١ - الصُّوفُ يَكُونُ لَبِنًا وَالصُّوفِي هُوَ الَّذِي يَجْتَهِدُ لِتَلْبِينِ الْقَلْبِ.

٢ - الصُّوفُ يَكُونُ أَبْيَضَ وَالصُّوفِي مَنْ يَجْتَهِدُ لِتَبْيِضِ الْقَلْبِ كَبَيَاضِ الصُّوفِ.

٣ - الصُّوفُ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ اللَّوْنِ بِسَهُولَةٍ وَالصُّوفِي هُوَ الَّذِي صُبِغَ بِصِبْغَةِ اللَّهِ حَتَّى بَحِثَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَثَّرَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

ذَكَرَ أَسْئَلَةٌ مَشْهُورَةٌ حَوْلَ لَفْظِ «الصُّوفِي» مَعَ أَجَوِبَتِهَا:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: هَلْ لَمَّا خُذَ لَفْظُ الصُّوفِي ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ. الْأَلْفَاظُ الَّتِي اسْتَنْتُ مِنْهَا كَلِمَةُ الصُّوفِي مَذْكُورَةٌ فِي

الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَالتَّفْصِيلُ مَا يَأْتِي:

١ - قَبْلَ: إِنَّ الصُّوفِيَّ مَأْخُوذٌ مِنَ الصِّفِّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِثُّ

٢ - وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي، لَفْظُ الصُّوفِي مَأْخُوذٌ مِنَ الصِّفِّ، فَفِي الْحَدِيثِ

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْغِيرَ

اللَّوْنِ فَقَالَ: «ذَهَبَ صَفْوُ الدُّنْيَا وَبَقِيَ كَدْرُهَا فَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تَحْفَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

[الرسالة القشيرية]

٣- وبوفِّي القَوْلِ الثَّالِثِ لَفْظُ الصُّوفِي مَأْخُودٌ مِنَ الصِّفَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وَقَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِ الصِّفَةِ فَرَأَى فَقَرَّهَمَ وَجَهَدَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا يَا أَصْحَابَ الصِّفَةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَقْمِي عَلَى النَّعْتِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِمَا فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

[كشف المحجوب]

٤- وبوفِّي القَوْلِ الرَّابِعِ لَفْظُ الصُّوفِي مَأْخُودٌ مِنَ الصُّوفِ. وَفِي الْحَدِيثِ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيُرَكِّبُ الْجِمَارَ).

السؤال الثاني: لَوْ كَانَتْ لِلْفِظِ الصُّوفِي أَهْمِيَّةٌ لَوَجَدَ بَعِينُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟

الجواب: عَدَمٌ وَجُودٌ لَفِظُ بَعِينُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَيْسَ ذَلِيلًا عَلَى عَدَمِ أَهْمِيَّتِهِ وَعَلَى كَوْنِهِ غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ، فَمَثَلًا لَفْظُ: «الْمُتَكَلِّمِينَ» بَعِينُهُ لَمْ يَذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، فَهَلْ صَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ؟ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ اثْبَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدُونِهِ، وَهَكَذَا لَفْظُ: «التَّخَوُّ» لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ، فَهَلْ أَصْبَحَ عِلْمُ التَّخَوُّ عَبَثًا غَيْرَ مُفِيدٍ مَعَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ بِدُونِهِ.

السؤال الثالث: لَمْ يَكُنْ يُطْلَقُ «الصُّوفِي» فِي قُرْنِ الصَّحَابَةِ عَلَى أَحَدٍ؟

الجواب: كَانَ لِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَزِيَّةٌ خَاصَّةٌ، فإِطْلَاقُ غَيْرِ لَفْظِ الصَّحَابِيِّ عَلَى مَنْ تَشَرَّفَ بِهَذِهِ النِّعَةِ يُعْتَبَرُ سُوءَ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ. كَانَ

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ بِبِرْكَةِ هَذِهِ النِّسْبَةِ وَالصَّحْبَةِ رُؤَسَاءِ وَقَوَادِ الرِّهَادِ وَالْعَابِدِينَ وَالْمُتَوَكِّلِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالْمُطِيعِينَ وَالْفُقَرَاءَ، خَالَهُمْ أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِنْ أَحْوَالِ الْجَمِيعِ، فَغَيْرُ مُنَاسِبٍ تَفْضِيلُهُمْ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٩٩٥ طبع بيروت]

فَجَمِيعُ سَعَادَاتِ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتِهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُضْبَحَ بِدِيَالٍ صَالِحَةٍ مِنْ صَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. سُئِلَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ الْأَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَوْ عُثْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟) فَأَجَابَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْجِهَادِ فَمَا أَصَابَ مِنَ الثَّرَابِ فِي أَثْنِهِ، ذَلِكَ الثَّرَابُ أَفْضَلُ مِنْ عُثْمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَلِذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْأَتْقِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ وَالْأَوَّلِيَاءَ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغُوا رَتَبَةَ أَدْنَى صَحَابِيٍّ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَالَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِصُحْبَةِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ سُمُّوا التَّابِعِينَ، وَالَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِصُحْبَةِ التَّابِعِينَ سُمُّوا تَبِيعِ التَّابِعِينَ، فَهَذِهِ النِّسْبَةُ الثَّلَاثُ نَسَبٌ عَنْ الْخَيْرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَذْكُورِ أَغْلَاهُ. وَلِذَا كَانَ كُلُّ شَخْصٍ سَعِيداً لِنَفْسِهِ بِإِنْدَاءِ هَذِهِ النِّسْبَةِ، وَاشْتَهَرَ مَشَايِخُ الْأُمَّةِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بِاسْمِ الصُّوفِيَّةِ، وَذَلِكَ الْأَلْسَنَةُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ قَبْلَ الْقُرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ وَفَقاً لِتَحْقِيقِ الْإِمَامِ الْقُشَيْرِيِّ.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: مَتَى اسْتَعْمَلَ لَفْظُ الصُّوفِيٍّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ؟ قِيلَ: إِنَّهُ اخْتَرَأَ أَهْلُ بَعْدَادٍ؟

الجواب: ذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو النَّضْرِ السَّرَاجُ الطُّوسِي رَحِمَهُ اللَّهُ نَاقِلاً

عن أخبار مكة برواية محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله وأناس آخرين: إن مكة قد خلت قبل الإسلام في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، كان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي يطوف بالبيت وينصرف، فإن صح هذا فهو يدل على أن هذا الاسم كان يُعرف قبل الإسلام، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم.

[اللمع ص ٢٢]

وأما في زمن الشيخ الحسن البصري رحمه الله الذي تشرف بصحبة ثمانية عشر صحابياً بدرتاً، واستفاض من علي كرم الله وجهه فيضاً باطنياً، فاستعمل لفظ الصوفي أمر متيقن. قال الشيخ أبو النصر السراج الطوسي رحمه الله:

(وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله تعالى كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وقد روى عنهم أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي).

[اللمع ص ٢٢]

فعلم أن لفظ الصوفي كان يستعمل أحياناً في زمن التابعين، وكثر استعماله في زمن تبع التابعين، ثم اشتهر بعده قبل القرن الثاني من الهجرة. كان الإمام سفيان الثوري رحمه الله يقول لشيخ في وقته: أبو هاشم الصوفي، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يقول لشيخ في وقته: أبو حمزة البغدادي الصوفي رحمه الله.

الصوفي من هو؟

سئل تلميذ الشيخ الحسن البصري عبد الواحد بن زيد رحمهم الله

تعالى: الصَّوْفِيَّةُ مَنْ هُمْ؟ فقال: هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِعُقُولِهِمْ عَلَى عَزَائِمِهِمْ وَيُسْتَقِيمُونَ بِقُلُوبِهِمْ عَلَيْهَا، وَيَتَمَسَّكُونَ بِمَوَالِهِمْ اتِّقَاءً مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِهِمْ. سُئِلَ ذُو الثَّنُونِ الْمَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟ فَقَالَ: الصُّوفِيُّ الَّذِي لَا يَتَعَبُهُ الطَّلَبُ وَلَا يَخْزُنُ بِسَبَبِ الْحِرْمَانِ.

سُئِلَ أَبُو مُحَمَّدٍ رُوَيْمٌ؟ فَقَالَ: الَّذِي يُوَافِقُ عَمَلُهُ قَوْلَهُ.

وَأَجَابَ عَارِفٌ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: إِنَّ الصُّوفِيَّ الَّذِي يَصُفُّو فِي الْكَذَرِ، وَيَمْلَأُ بِالْفِكْرِ، لِحُصُولِ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى مُنْقَطِعٌ مِنَ الْبَشَرِ، الثَّرَابِ وَالذَّهَبِ سَوَاءٌ فِي النَّظَرِ.

قَالَ الشَّيْخُ شَيْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: الصُّوفِيُّ الَّذِي يَنْقَطِعُ عَنِ الْخَلْقِ وَيَتَّصِلُ بِالْحَقِّ.

مُخَلَّصَةُ الْكَلَامِ:

الصُّوفِيُّ الَّذِي يَذْكُرُهُ صَوْتُ الْحَيَوَانَاتِ، وَكُلُّ طَرَبٍ وَمِزْمَارٍ، وَتَغْرِيدُ الْعَصَافِيرِ وَغُرْفُ الْأَزْهَارِ وَتَمَائِلُ الْخَضِرَاءِ وَلَمَعَانُ الْجَوَاهِرِ وَنُورُ الشَّمْسِ وَالسَّمَاءِ وَالسَّمَكِ، وَلَوْنُ الْأَشْجَارِ وَالزَّجَاجِ وَالْحَجَرِ، وَشِدَّةُ الْحَجَرِ، وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ وَنُعُومَةُ الْأَرْضِ وَحَرَارَةُ النَّارِ، وَجَرِيَانُ الْبَحْرِ، وَالْكَوَاكِبُ السَّمَاوِيَّةُ، وَعُلُوُّ الْجِبَالِ وَالصُّبْحَانِي وَالْحَدَاقِ وَالْخَرِيفِ وَالزَّبِيعِ، وَبِالْجَمَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ يَذْكُرُهُ ذَاتًا غَيْرَ مَدْرَكَةٍ بِالْأَبْصَارِ. اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ.

الباب الرابع

إثبات بيعة الطريقة شرعاً

وَصَلَ تَخْلُفَ الْأَمَةِ الْيَوْمَ إِلَى حَدِّ أَنْ الصَّدَقَ يَخْتَلِطُ بِالْكَذِبِ،
وَالْجَيِّدُ يَتَّحِدُ مَعَ الرَّذِيءِ، فَكَمَا دَخَلَ عُلَمَاءُ السَّوِّ فِي صُفُوفِ عُلَمَاءِ
الْحَقِّ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ، كَذَلِكَ دَخَلَ فِي زِيٍّ مَشَايِخِ أَهْلِ
الْحَقِّ حَامِلُو الْعِلْمِ الْبَاطِنِ مَتَّبِعُو النَّفْسِ.

وَصَلَ التَّنَزُّلُ الرُّوحَانِي وَالْبَاطِنِي فِي عَامَّةِ النَّاسِ إِلَى حَدِّ أَنْ جَعَلُوا
بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ فَرِيضَةً، وَوَضَعُوا بِهَا إِلَى تَرْكِ الْفَرَائِضِ وَإِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ
الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى زَعَمُوا بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ بِذَعَةِ
وَضَلَالَةٍ وَقَامُوا بِمُخَالَفَتِهَا وَوَقَفُوا ضِدَّهَا، فَيَا أَسْفَى. فَلَا بُدَّ لِأَهْلِ الْحَقِّ
مِنْ مُخَارَبَةِ طَائِفَتَيْنِ: أَهْلِ الْإِفْرَاطِ وَأَهْلِ التَّفْرِيطِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، حَتَّى
يَعْرِضَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ مَنفُوحَةً، وَيُوضَحَ الْحَدَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
وَفِيمَا يَلِي ذَكَرُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِبَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ.

تعريف البيعة: البيعة أخذ العهد من الناس على أمر شرعي ليلتزموا
به سواء أكان العهد لالتزام الشريعة كاملة أم لأمر خاص منها. يتابع
رسول الله ﷺ الصحابة أربعة أنواع والتفصيل فيما يلي:

١ - بَيْعَةُ الْإِسْلَامِ: عِنْدَمَا كَانَ شَخْصٌ يَرِيدُ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ
وَإِظْهَارَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبَايَعِهِ.
خَضِرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ وَبَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ. ذَكَرُ بَيْعَةِ

العقبة الأولى والثانية موجود في كتب الحديث والسيرة المعتمدة.

٢ - **بيعة الجهاد**: أخذ النبي ﷺ في الحديثية من الصحابة عهداً ألا يفروا إن وقعت الحرب، بل يُحاربون العدو ما بقوا. قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ عَتَا الشَّجَرَةَ﴾ [الفتح: ١٨].

إن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وكان من أهل هذه البيعة سئل مرة: على أي شيء بايعتكم رسول الله يوم الحديثية؟ قال: بايعناه على الموت.

[مسند أحمد ج ٤ ص ٥١]

والله تعالى رضي بهذا العمل حتى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار ينحفرون الخندق وينقلون التراب وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقيتاً أبداً

[متفق عليه]

٣ - **بيعة الهجرة**: قال الحارث بن زياد الساعدي: أثبت رسول الله ﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة، فقلت: يا رسول الله! بايع هذا على الهجرة، فقال: «ومن هذا؟» قلت: حوطة بن يزيد وهو ابن عمي، فقال: «إنكم معشر الأنصار لا تهاجرون إلى أحد، ولكن الناس يهاجرون إليكم»، أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

[أسد الغابة ج ٢ ص ٦٥]

٤ - **بيعة التوبة (بيعة الطريقة)**: أحياناً بايع النبي ﷺ الصحابة على ترك بعض المعاصي. وذلك لتعليم الأمة.

روى الشيخان عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ

وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَغْضُوا فِي مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». فَبَايَعْتَاهُ عَلَى ذَلِكَ. متفق عليه.

[شرح السنة ج ١ ص ٦٠]

كلمة [أصحابه] في قوله: «وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ» تدلُّ على أَنَّ هؤلاء المُبَايَعِينَ كَانُوا تَشَرَّفُوا بِبَيْعَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي قُلُوبِهِمْ. بَلَّغَهُمْ نَظَرُهُ رَحِمَةً مِمَّنْ بُعِثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ إِلَى ارْتِفَاعَاتِ رُوحَانِيَّةِ لَنْ يَصَلَ إِلَيْهَا أَوْلِيَاءُ الْأُمَّةِ. بَايَعَةُ بَيْعَةِ هَذِهِ؟ بُويعَ هَؤُلَاءِ الصُّحَابَةُ بِبَيْعَةِ التَّوْبَةِ. يَنْشَأُ فِي بَعْضِ الْأَذْهَانِ أَسْئَلَةٌ نَذْكُرُهَا وَنَذْكُرُ أَجُوبَتَهَا.

س ١: لماذا احتاج الصُّحَابَةُ إِلَى هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَقَدْ وَصَّلُوا إِلَى هَذِهِ الْمَعَالِي؟
جـ: لِتُعْلِمَ الْأُمَّةُ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي الْكَبِيرَةِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ».

س ٢: مَا فَائِدَةُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لِلصُّحَابَةِ؟

جـ: رَجَاءُ نَيْلِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ».

س ٣: تَرَكَ الْكَبَائِرَ لِأَزَمَ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِنَفْسٍ نَطَقَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، فَالْعَهْدُ عَلَى تَرَكِ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَبِالْبَيْعَةِ وَعَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْدُو لِفِعْلِهِ؟

١- أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُورَةِ الْمُؤْتَفِكَةِ بِأَخْذِ مِثْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ مِنْ

الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ، فِي سُورَةِ الْمُتَحِجَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاطِلْنَ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْكُلْنَ يَمْهُنَ بِقَعْرِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَنْجُوهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ٢١٢] . وَكَانَ يُمْكِنُ لَهُمُ التَّوْبَةُ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الْيُتُوبِ وَلَكِنْ فِي الْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَائِدَةٌ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ بِلِسَانِهِ الْمُبَارَكِ عِنْدَ الْبَيْعَةِ ، فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ مَا ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قَالَ تَعَالَى فِي هَذَا الشَّأْنِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ : ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ، وَقَالَ فِي الْآخِرِ : ﴿ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ . فَعُلِمَ أَنَّ فَائِدَةَ الْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ بِسَبَبِهِ ، وَهَذِهِ الْبَيْعَةُ تُسَمَّى الْيَوْمَ بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ .

س ٤ : هَلْ هُنَاكَ رَوَايَاتُ أُخْرَى فِي بَيْعَةِ التَّوْبَةِ؟

ج : نَعَمْ ، هُنَاكَ رَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ . رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ طَائِفَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَلَّا يَسْأَلُوا أَحَدًا . وَنَمَامُ الْحَدِيثِ : أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ : أَلَّا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَلَّامَ تَبَايَعُكَ ؟ قَالَ : « عَلَى أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَاةَ وَالْخَنَسَ وَتُطِيعُوا » (وَأَسْرَ كَلِمَةُ خَفِيَّة) . « وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يَنَاوِلُهُ إِثَاءً .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى التُّضَحِّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

[مسلم ج ١ ص ٧٥]

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ الْأَنْوَاعَ).

[بخاري ج ١ ص ٢٠٣ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ».

[مسلم ج ٣ ص ١٤٩٠ بخاري ج ٤ ص ٢٤٥ مع حاشية السندي]

س ٥: ثُبِتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْبَيْعَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي زَمَنِ الصُّحَابَةِ سِوَى بَيْعَةِ الْخِلَافَةِ وَبَيْعَةِ الْجِهَادِ.

ج: يَكْفِي فِي الْجَوَابِ لِاسْكَاتِ الْخُضْمِ أَنَّهُ إِذَا ثُبِتَ عَمَلٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا حَاجَةَ إِلَى ثُبُوتِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْجَوَابُ الْحَقِيقِيُّ؛ أَنَّهُ ثُبِتَ عَنْ سَيِّدِنَا الصَّدِّيقِ وَسَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلِذَلِكَ يُوجَدُ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ شُجَرَاتُ سَلَاسِلِهِمْ.

كَانَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ يَبَايِعُونَ لِلْخِلَافَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الثُّوبَةِ دَاخِلَةً فِيهَا، وَلَمْ يَبَايِعْ غَيْرُهُمْ حَتَّى لَا يَشْتَبِهَ بَبَيْعَةِ الْخِلَافَةِ، وَلَا تَقَعُ فِتْنَةٌ بَلَى كَانَ يُكْتَفَى بِالصُّحْبَةِ. وَلَمَّا انْتَهَى عَصْرُ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَاقْتَصَرَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ بِتَنْظِيمِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ. أَحْيَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ سُنَّةَ بَيْعَةِ الثُّوبَةِ (بَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا رَأَيْتُ هَذِهِ السُّنَّةَ جَارِيَةً سَارِيَةً فِي الْأُمَّةِ حَتَّى الْيَوْمِ.

س ٦: مَا حُكْمُ بَيْعَةِ الثُّوبَةِ، هَلْ هِيَ فَرَضٌ أَوْ وَاجِبٌ؟

ج: لَيْسَتْ بِفَرَضٍ وَلَا وَاجِبٍ، بَلَى هِيَ سُنَّةٌ، تَعْمُ تَحْيَا الْفَرَائِضَ بِهِذِهِ السُّنَّةِ.

س ٧ : إن لم يبايع أحد فماذا يكون؟

ج : يُعْخَرُ مَنْ مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ السَّنَةِ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ» .

[مشكاة المصابيح ص ٣٠ الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٠]

س ٨ : هل يبايع هذه البيعة كل عالم أو صوفي؟

ج : كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَوَّضَ سَيِّدَنَا الصُّدِّيقَ الْخِلَافَةَ وَالنُّعْمَةَ الْبَاطِنَةَ ، كَذَلِكَ جَرَتْ هَذِهِ السَّلْسِلَةُ مِنَ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَا زَالَتْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ النُّعْمَةُ إِلَى الْيَوْمِ إِلَى أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ضِدْرًا فَضِدْرًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبَايَعَ إِلَّا مَنْ صَحِبَ وَلِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَوَجَدَ النُّعْمَةَ الْبَاطِنَةَ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ هَذِهِ الْعَهْدَةَ . وَمِثَالُ مَنْ بَدَأَ الْبَيْعَةَ بِنَفْسِهِ كَالْأَنْبِيعِ الَّذِي تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ لَا يَنْدُرِي شَجَرَهُ ، فَلَا يَجُوزُ التَّوْبَةُ بِالْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ مِثْلِ هَذَا .

س ٩ : هل يجوز للمرأة أن تبايع الناس؟

ج : لَا شَكَّ أَنَّهُ يُمَكِّنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَبْلُغَ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْوِلَايَةِ ، وَلَكِنْ الشَّرِيعَةُ لَمْ تَحْمِلْ مَسْئُولِيَّاتِ مَنْصِبِ الرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ عَلَى كَوَاهِلِهَا الضَّعِيفَةِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَجْعَلْ أَيَّ امْرَأَةٍ نَبِيَّةً ، فَهِيَ وَإِنْ تَشَرَّفَتْ بِكَوْنِهَا وَابِدَةَ النَّبِيِّينَ ، بَلْ وَضَعَ اللَّهُ ثِقْلَ النُّبُوَّةِ عَلَى كَوَاهِلِ الرُّجَالِ ، فَفَوَّضَتْ وَرَائَهُ الْأَنْبِيَاءُ أَيْضاً إِلَى الرُّجَالِ فَقَطْ ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُبَايَعَ النَّاسُ .

س ١٠ : هل يجب في البيعة النطق بالكلمات بعد وضع اليد في اليد؟

ج : التَّلَقُّقُ بَعْدَ وَضْعِ الْيَدِ بِالْيَدِ فَلْيَعْمَلْ بِهَا وَإِنْ كَانَ عَدَدُ النَّاسِ كَثِيراً ، فَلْيَبْسُطُوا رِءَاءً وَلْيَتَمَسَّكُوا بِهِ جَمِيعاً وَهُوَ أَيْضاً عَمَلٌ نَبَوِيٌّ . كَانَ الْحَجَرُ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ صَغِيراً ، وَكَانَ الْحَامِلُونَ كَثِيراً فَوَضَعَهُ

النبي ﷺ في ردائه فأخذ الجميع الرداء وحملوا الحجر الأسود.

[سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٩]

وإن كان الناس أكثر من ذلك تجوز البيعة بنطق الكلمات بعد النية، هكذا بايع الصحابة المجاهدين على الجهاد. قال ابن الأثير: قال عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه يومئذ - يعني يوم اليرموك -: قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايعني على الموت؟ فبايعه عنه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربع مائة من وجوه المسلمين.

[أسد الغابة ج ٤ ص ٦]

س ١١: هل تبايع النساء بوضع الأيدي في الأيدي؟

ج: كلا: كان من عادة النبي ﷺ أنه كان يبايع النساء من وراء حجاب بغير لمس. عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما مس النبي ﷺ بيده امرأة قط إلا أن يأخذ عليها فإذا أخذ عليها وأعطته قال: «أذهبى فقد بايعتك». أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود.

[جامع الأصول ج ١ ص ٢٥٨]

س ١٢: هل يجوز بيعه الأطفال؟

ج: نعم، يجوز. قال ابن الأثير: إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخضره أبوه الزبير عند رسول الله ﷺ ليبايعه وعمره سبع سنين، فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً تبسم ثم بايعه.

[أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٢، وانظر حياة الصحابة ج ١ ص ٢٥٠]

س ١٣: هل يجوز بيعه غائب؟

ج: نعم، بايع النبي ﷺ الصحابة في الحديبية تحت الشجرة، فأدخل

النبي ﷺ سيدنا عثمان رضي الله عنه في البيعة وَكَانَ حِينَئِذٍ بِمَكَّةَ المَكْرُومَةِ .

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٧ ، سيرة ابن هشام ج ٣٦٥]

س ١٤ : هل يجوز البيعة بواسطة الرسالة أو الهاتف؟

ج : نعم، لما ثبت جواز بيعة الغائب دخلت فيه البيعة بواسطة الرسالة ويجوز البيعة بواسطة الهاتف بدرجة الأولى .

س ١٥ : هل يجوز في وقت واحد مبايعة مشايخ عدة؟

ج : لا، لا يجوز أن يبايع في وقت واحد إلا شيخاً واحداً. مثال: من يبايع كل واحد كالمعلقة يكون غرقاً في كل نوع من الأطعمة، ولكنه يبقى معروماً من التدقيق .
ع : خذ واحداً خذ مُحْكَمًا .

س ١٦ : هل يجب بعد وفاة الشيخ بيعة شيخ ثانٍ؟

ج : نعم، إن لم يحصل تركية النفس وتصفية القلب يجب تجديد البيعة، كطالِبٍ يدرس القرآن الكريم عند أستاذ، فإن توفي الأستاذ لا ينتهي الطالب من الدراسة، بل يرى تكميل الدراسة لازماً. نعم، الذين وجدوا بشاره حصول النسبة لا يجب عليهم تجديد البيعة .

س ١٧ : الذين يخالفون البيعة ألم يدرسوا هذه الأحاديث؟

ج : درسوا. ولكن لم يدرِكوا معانيها، وإلا لم يشككوا على عمل واضحة سنيته. ويمكن تبين حال من يخالفون بيعة الطريقة في كلمات يسيرة هكذا: (كذبوا بنا لم يحيطوا بعلمه) .

س ١٨ : ما هو الغرض من بيعة الطريقة؟

ج : تذكُر فيما يلي أغراض وأهداف البيعة .

١ - لَا يَلْزَمُهَا حُصُولُ الْكَشْفِ وَالْكَرَامَاتِ .

٢ - لَيْسَ فِيهَا ذِمَّةُ الْمَغْفِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٣ - لَا يَلْزَمُهَا النَّجَاحُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَالْعَلْبَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْفُوزِ فِي الْمَحَاكِمِ .

٤ - لَا يَلْزَمُهَا التَّصَرُّفَاتُ كَأَنْ لَا تَأْتِيَ وَسُوءُ ذَنْبٍ .

٥ - لَا يَلْزَمُهَا السُّكْرُ بِحَيْثُ لَا يُعْرَفُ غَيْرُهُ .

٦ - لَا يَلْزَمُهَا رُؤْيَا أَنْوَارٍ أَوْ أَلْوَانٍ .

٧ - لَا يَلْزَمُهَا الرُّؤْيَا الطَّيِّبَةُ فِي الْمَنَامِ .

بَلِ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ الْعَمَلُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِإِرْضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

س ١٩ : اذْكُرُوا أَدْلَةً عَقْلِيَّةً عَلَى إِفَادَةِ الْبَيْعَةِ .

ج : تَوْضِيحُ إِفَادَةِ الْبَيْعَةِ بِثَلَاثَةِ دَلَالٍ :

❖ كَمَا أَنَّ شَابًا يَتَّخِذُ وَظِيفَةً فِي الْعَسْكَرِ وَيَلْبَسُ حُلَّتَهُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ فِي مَكَانٍ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَحْتَرِمُهُ وَيَطِيعُهُ يَرَى إِكْرَامَهُ إِكْرَامَ الْعَسْكَرِ . وَإِهَانَتُهُ إِهَانَةٌ الْعَسْكَرِ، لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ آتَى أَوْ مِنْ أَيِّ أَسْرَةٍ؟ يَفِيدُهُ اعْتِرَازُ نَسَبَةِ الْعَسْكَرِ وَحُلَّتِهِ، كَذَلِكَ كُلُّ مَنْ يُبَايِعُ مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ يَجِدُ عِلَاقَةً زَوْجَانِيَّةً مِنْ مَشَايِخِ الطَّرِيقَةِ فَتَرْدَادُ عِزَّتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ النِّسْبَةِ وَالْعِلَاقَةِ .

❖ طُوبَانٍ جَهَّزَا فِي مَكَانٍ وَاجِدٍ . وَضِعَتْ وَاحِدَةٌ فِي بِلَاطِ الْمَسْجِدِ وَالثَّانِيَةُ فِي الْكَنِيفِ، فَارْتَفَعَتْ رُتْبَةُ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَضَعُوا عَلَيْهَا الْجَبْهَةَ وَسَقَطَتْ رُتْبَةُ الْأُخْرَى حَتَّى لَا يَرَى أَحَدٌ دُخُولَ الْكَنِيفِ خَافِيًا، هَلِهُ هِيَ النِّسْبَةُ . النِّسْبَةُ الطَّيِّبَةُ مُنَحَّتْ عِزَّةٌ وَشَرَفًا، وَالنِّسْبَةُ الْخَبِيثَةُ سَبَبَتْ ذِلَّةً وَإِهَانَةً . هَكَذَا يَجِدُ نَسْبَةَ طَيِّبَةٍ مِنْ يُبَايِعُ مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ، فَيَكُونُ مَكْرَمًا مُحْتَرَمًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

✽ رُكِبَ عَلَى الْمَصْصَحَفِ دَفْعٌ سَادِجَةٌ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهَا كَلِمَةٌ، أَوْ آيَةٌ. قال الفقهاء: كما لا يجوز مَسُّ أَوْرَاقِ كُتُبٍ عَلَيْهَا آيَاتٌ يَدُونُ الْوُضُوءَ، كذلك لا يجوز مَسُّ هَذِهِ الدَّفْعَةِ السَادِجَةِ. يُقَالُ لَهَا دَفْعٌ، وَلَكِنْ ارْتَفَعَتْ رَتَبَتُهُ بِتَرْكِبِهِ بِالْمَصْصَحَفِ. سَبَّحَانَ اللَّهَ! فَمَنْ يَتَّصِلُ بِالْمَشَائِخِ بِوَسِطَةِ الْبَيْعَةِ يَنَالُ عِزَّةً بِالعَلَاقَةِ بِأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَيُعَامَلُ بِهِ مُعَامَلَةُ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. مَا أَثْنُتُ أَغْمَالِنَا؟ مَا عِنْدَنَا سِوَى النَّدَامَةِ.

أَبْقَى اللَّهُ نَسَبَتَكُمْ. مَا رَجَانِي إِلَّا هَذِهِ.

س ٢٠: رَجُلٌ يَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُضْلِعْ حَيَاتَهُ هَلْ لَهُ فَائِدَةٌ؟

ج: هَذَا الرَّجُلُ إِنْ لَمْ يَسْتَفِذْ بِالْبَيْعَةِ فَائِدَةً كَامِلَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَلَا فَائِدَةٍ تَمَامًا. حَقِصَلْ لَهُ فَائِدَتَانِ لَا مَحَالَةَ:

الأولى: أَنَّهُ نَطَقَ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْبَيْعَةِ وَبِرَكَّتِيهَا يُغْفَرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَتِ الْمَشَائِخُ فِي ضَوْءِ الْأَحَادِيثِ: إِنْ مَنْ يَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ يُغْفَرُ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُشْرِكًا مِائَةَ سَنَةٍ وَلَيْسَ هَذَا بَيْسِيرَ.

الفائدة الثانية: إِنْ هَذِهِ النِّسْبَةُ تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ الصَّوْتِ عِنْدَمَا يَضَعُ الْإِرْتِبَاطَ بِالْذَّنْبِ، وَتَنْكَشِفُ لَهُ أَحْوَالُ الْآخِرَةِ. يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ مُذْنِبًا. قَالَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه قَضَلُ الْعَلِيِّ الْقُرَيْشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كَلَّ قَلْبِي وَضِعْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَصْبِغَ (وَمِغَازَ بِنَسْبَةِ اللَّهِ، اللَّهُ) لَا يَمُوتُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

مُلَخَّصُ الْكَلَامِ:

يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ بِوَسِطَةِ سِلْسِلَةِ مَشَائِخِهِ عِلَاقَةٌ رُوحَانِيَّةٌ بِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ. يَعْضُضُ لِلْإِيضَاحِ مِثَالَانِ:

١ - رَجُلٌ يَبْنِي بَيْتًا جَدِيدًا وَيَجْمَلُهُ تَجْمِيلًا فَاحِرًا وَيَسْلُكُهُ وَيَرْكَبُ فِيهِ

المُضْبَح، وَلَكِنْ لَا يُضَيءُ مُضْبَاحُهُ مَا لَمْ يَتَّصِلْ رِيطُهُ بِمَحْطَةِ
الكَهْرُبَاءِ، كَذَلِكَ السَّالِكُ عِنْدَمَا يَرِيطُ عِلَاقَةً مُضْبَاحِ قَلْبِهِ بِوَاسِطَةِ
تَسْلِيكِ مَشَايِخِ السُّلْسِلَةِ بِقَلْبِ النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ الَّذِي هُوَ كَنْزُ
الرَّحِمَاتِ يَتَنَوَّرُ قَلْبُ السَّالِكِ وَتَصِلُ إِلَيْهِ الْأَنْوَارُ وَالْبَرَكَاتُ مِنْ قَلْبِ
النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ بِوَاسِطَةِ مَشَايِخِهِ.

٢ - الْقِطَارُ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ عَرَبَاتٍ، فَإِنْ رُيِّطَ بِهِ عَرَبَةٌ أُخْرَى، فَمَهْمَا
وَضَلَّ الْقِطَارُ وَضَلَّتِ الْعَرَبَةُ، فَتَدْبَرُوا. إِنَّ الْمَشَايِخَ كَالْقِطَارِ،
وَالنَّبِيَّ ﷺ كَمَحْرَكِهِ، وَالسَّالِكُ كَالْعَرَبَةِ الْمُرْتَبِطَةِ، وَهَذَا الْقِطَارُ جَارٍ
إِلَى مَحْطَةِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ هَذِهِ الْعَرَبَةُ مُرْتَبِطَةٌ، فَلَمَّا وَضَلَّتِ
الْقَاطِرَةَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَضَلَّتْ هَذِهِ الْعَرَبَةُ عَرَبَةَ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ.

ع: كَانَتْ الْحِكَايَةُ مَمْتَعَةً جِثَّتْ بِهَا طَوِيلَةٌ.

وَضَلَّتْ إِلَى الْمَقْصِدِ. الَّذِينَ مَا زَالُوا إِلَى الْآنِ فِي شُبُهَاتٍ عَنْ
الْبَيِّنَةِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُبْطِلُوا فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ السَّعَادَةِ الْعَظْمَى، بَلْ لِيَرِيطُوا
عِلَاقَتَهُمُ الْبَاطِنَةَ بِشَيْخٍ جَامِعٍ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ، فَإِنْ مَنْ يَدْخُلُ فِي
السُّلْسِلَةِ بِوَاسِطَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْمَلِيءِ بِالْفِتَنِ يَصْدُقُ عَلَيْهِ
مِثَالُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَ كَانَ مُؤْتًا﴾ [آل عمران: ١٩٧].

عَسَى أَنْ يَفْتَحِمَ كَلَامِي قَلْبَكَ.

الباب الخامس

ضرورة المرشيد

جَعَلَ اللَّهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ كِتَابَ اللَّهِ وَرِجَالَ اللَّهِ سَبِيلاً لِهَدَايَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَمْ مَرَّةً بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَمْ يُرْسِلْ كِتَابًا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ أَنَّهُ أَرْسَلَ كِتَابًا وَلَمْ يَبْعَثْ لَهُ نَبِيًّا. بهذا تتجلى أهمية رجال الله تعالى، وأيضاً لم ينزل العذاب على قوم حتى يُبْعَثَ إليهم نبي إتماماً للحجة. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الأنعام: ١٥] لتربيتهم من مربٍ ولتوكيدهم من مُؤَكِّدٍ، وفيما يلي ذكر بعض الدلائل.

أدلة من القرآن الكريم:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ١٥] قال جلال الدين المصطفوي رحمه الله: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة.

[تفسير الجلالين ص ٥٤١]

وقال شيخ الإسلام، مؤلفاً شُهير أحمد العثماني رحمه الله: أي اتبع طريق الأنبياء وعبيد الله المُخلصين.

[تفسير عثمان ص ٥٤٨]

وقال الشيخ أمير علي رحمه الله تحت هذه الآية: أي اتبع سبيل مَنْ مَالَ إِلَيَّ تماماً وَهُمْ أَوْلَى الْأَنْبِيَاءِ، وثانياً صالحو أمته.

[مواهب الرحمن ج ٨ ص ٨٣]

الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]. قال الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله في التفسير تحت قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٤]

وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تحت قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقرّبكم إليه من طاعته.

[تفسير الجلالين ص ١٣٤]

فلهذا يقول مُحَقِّقُو التفسير: إن المراد بالوسيلة المُرشِدُ الذي يُضَيِّعُ سبباً لِلْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمُسَبِّباً لِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى الْمُجَاهِدَةِ ضِدَّ النَّفْسِ (الْأَشْغَالِ الصُّوفِيَّةِ) فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ.

[مشكاة المصابيح ص ١٥ واللفظ له، والجامع الصغير ج ٢ ص ٦٦٤]

قَالَ السَّخَاوِيُّ عَنْ أَحْمَدَ: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ).

[المقاصد الحسنة ص ٥٩٤]

كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه غُلَامٌ حَبِيبٌ يَقُولُ فِي مُحَاضَرَاتِهِ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْ يَنْزِلُ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ؟ اللَّهُ يَنْزِلُ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَلَكِنْ يُضَيِّعُ السَّحَابُ وَسِيلَةً. مَنْ يَرْزُقُ الْأَوْلَادَ؟ اللَّهُ يَرْزُقُ الْأَوْلَادَ، وَلَكِنْ يَصِيرُ الْوَالِدَانِ وَسِيلَةً. مَنْ يُلْقِي الْأَنْوَارَ فِي الْقَلْبِ؟ اللَّهُ يُلْقِي الْأَنْوَارَ فِي الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُضَيِّعُ الشَّيْخُ وَسِيلَةً. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

الدليل الثالث: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ ﴿التوبة: ١١٩﴾ قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ
الصَّادِقِينَ: قَالَ الضَّحَّاكُ: هُمُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَصْحَابُهُمَا.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٢٠]

لِيُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ مِنَ السَّلَاسِلِ الْأَرْبَعِ تَتَّصِلُ بِوَاسِطَةٍ قَوَاسِطَةٍ إِلَى
سَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ
الْشَيْخُ الْمُفْتِي مُحَمَّدٌ شَفِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (اخْتَارَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
كَلِمَةَ الصَّادِقِينَ دُونَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، فَبَيَّنَ لَنَا عَلَّامَةُ الْعَالِمِ وَالصَّالِحِ
أَنَّهُ مَنْ يَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ وَيَكُونُ صَادِقًا فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَصَادِقًا فِي
قَوْلِهِ وَصَادِقًا فِي عَمَلِهِ).

[معارف القرآن ج ٤ ص ٤٨٥]

وَلَا يُخْفَى أَنَّ مَصْدَاقَ الصَّادِقِينَ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ هُمُ الْمَشَايِخُ
الْعِظَامُ فَقَطْ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] لَمْ يَكْتَفِ عَلَى: ﴿أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:
١٦] بَلْ قَالَ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّ الْمُرِيدَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى مَقَامَاتِ الْهِدَايَةِ الْمُنْكَاشِفَةِ إِلَّا إِذَا
اقْتَدَى بِشَيْخٍ يَهْدِيهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَيَجْتَنِبُهُ عَنْ مَوَاقِعِ الْأَغَالِيطِ
وَالْأَضَالِيلِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّفُوسَ غَالِبَ عَلَى الْخُلُقِ، وَعُقُولُهُمْ غَيْرُ وَافِيَةٍ بِإِدْرَاكِ
الْحَقِّ وَتَمْيِيزِ الصُّوَابِ عَنِ الْغَلَطِ، فَلَا بُدَّ مِنْ كَامِلٍ يَقْتَدِي بِهِ النَاقِصُ حَتَّى
يَنْقَوِيَ عَقْلُ ذَلِكَ النَاقِصِ بِنُورِ عَقْلِ إِلَى مَذَارِجِ السَّعَادَاتِ وَمَعَارِجِ
الْكَمَالَاتِ.

[التفسير الكبير ج ص]

فهذا النص حجة تامة لضرورة المرشد والمرئي .

الدليل الخامس : قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء : ٦٥] قال السيد أمير علي المليح آبادي تحت هذه الآية : في هذه الآية دلالة على أنَّ العبد المذنب لو استدعى عبداً صالحاً متقياً تُقبل توبته ، والذين يتوبون على أيدي مشايخهم توبتهم مِنْ هَذَا النوع .

[تفسير مواهب الرحمن ج ص ١٠٩]

عَلِمَ من الآيات المذكورة أَنَّ كُلَّ مَذْنِبٍ يُطْلَبُ شَيْخاً كاملاً متبع الشريعة والسنة فهو عامل على : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٢٣٥] . وإن بايع على يده بيعة توبة فهو عامل على : ﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [سورة التوبة : ١١٩] . وإن جلس في ضيعة شيخ كامل ينال ثواب : ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩] . وإن اتبع نصائحه فهو من العاملين بقوله : ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان : ١٥] . هذا الطريق يصدق عليه : ﴿حِصْرُطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة : ١٧] الذي يدعو للاهتمام له كل صغير وكبير . نعم إن المشايخ المتبعي الشريعة في هذا الزمن قليل ، ولكن لا يعني هذا أَنَّ الإنسان يهمل طلبه أو ينكر ضرورته .

قال سُقْيَانُ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اسْلُكُوا سَبِيلَ الْحَقِّ وَلَا تَسْتَوْجِسُوا مِنْ قَلَّةِ أَهْلِهِ .

وفيه يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : اتَّبِعْ طُرُقَ الْهُدَى وَلَا يَضُرْك قَلَّةُ السَّالِكِينَ ، وَإِيَّاكَ وَطُرُقَ الضَّلَالَةِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ السَّالِكِينَ .

قال الشيخ عبد الله خفيف رحمه الله : اقتدوا نجمة من شيوخنا لأنهم جمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحَقَائِقِ .

أدلة من أحاديث النبي ﷺ:

مِنْ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَنَّهَا لَا تَتَأَثَّرُ مِنَ النَّفُوسِ مِثْلَ مَا تَتَأَثَّرُ مِنَ النَّفُوسِ، فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَهُمْ الَّذِينَ تَنْزُلُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْخُشْيَةِ وَالْأَسْتِخْضَارِ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي غَيْبِهِ ﷺ، وَالْبُكَ بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ:

الدليل الأول: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا عَنْ الثَّرَابِ، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبُنَا.

الشمائل للترمذي ص ٢٨، مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٨١ طبع بيروت، ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٢، شرح السنة ج ١٤ ص ٥٠، جامع الأصول ج ٨ ص ٥٤٦، الترمذي ج ٥ ص ٥٨٩

فَاغْتَرَفَ الرِّجَالُ الْقُدْسِيُّونَ أَقْثَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ مَا يَوْجَدُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ فِي صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَوْجَدْ بِغَيْرِ صُحْبَتِهِ، كَمَا أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَكْتَسِبُونَ الْفَيْضَ مِنْ مَشَاكِبِ النَّبِيِّ كَذَلِكَ الْمُرِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ يَكْتَسِبُونَ الْفَيْضَ فِي صُحْبَةِ مَشَايِخِهِمْ.

الدليل الثاني: عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّارَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصُّبَّيَّانَ وَلَا عَيْتُ الْمَرْأَةَ فَخَرَجْتُ، فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَأْفَقُ حَنْظَلَةَ. فَقَالَ: «مَه؟» فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً، لَوْ كَانَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ

الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَسْلَمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ». أخرجه مسلم وأخرج الترمذي نحوه.

[جامع الأصول ج ٩ ص ٥١٦]

(يَعْنِي قَدْ تَكُونُ كَيْفِيَّةُ الْحُضُورِ فِي الْعُرُوجِ، وَقَدْ يَعْضُ فِيهِ نَقْصٌ حَتَّى يَسْتَقِيمَ نِظَامُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَاشِرَةِ). وَأَيُّ مِثَالٍ أَوْضَحَ دَلَالَةَ مِنْ هَذَا عَلَى فَيْضَانِ الصَّحْبَةِ وَتَأْثِيرِهَا.

الدليل الثالث: ذَكَرَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَجَمَهُ اللَّهُ قِصَّةً أَنَّ صَاحِبِيَّ اسْمَهُ سَهْلُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصَابَتْهُ الْعَيْنُ فَوَعِكَ مَكَانَهُ وَاشْتَدَّ وَعْكَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي نَظَرَ إِلَى سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ إِلَّا بِرَكْعَتَيْنِ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ» الْحَدِيث.

[الموطأ للإمام مالك مع شرح الزرقاني ج ٤ ص ٣٢٠]

فَمَا رَأَيْكُمْ إِنْ نَظَرَةً فِيهَا عَدَاوَةٌ وَحَسَدٌ وَبُغْضٌ وَحَقْدٌ يَظْهَرُ أَثَرُهَا، فَتَظْهَرُ فِيهَا حُبٌّ وَشَفَقَةٌ وَرَحْمَةٌ وَإِحْلَاصٌ كَيْفَ لَا يَرَى أَثَرُهَا، وَهَذِهِ نَظَرَةٌ أَهْلُ اللَّهِ تَوَجَّدَ فِي إِنْسَانٍ مَتَلَوِّثٍ بِالذُّنُوبِ، وَإِحْسَاسُ التَّدَامَةِ يَظْهَرُ سَائِلًا أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَيْنَا فِي نَظَرَةِ الْوَلِيِّ أَثَرًا عَظِيمًا وَجَدْنَا أَوْضَاعَ الْأَلُوفِ اعْتَدَلَتْ

الدليل الرابع: اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ عِبْدَ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقُطٍ - وَكَانَ حِينَئِذٍ كَافِرًا - هَادِيًا وَدَلِيلًا فِي السَّفَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ الْهَجْرَةِ.

[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٣٣ و ٢٣٨]

فَلَوْ اتَّخَذَ سَائِلٌ مُؤْمِنًا كَامِلًا فِي الْعَصْرِ الْخَاصِرِ دَلِيلًا لِلْوُضُوءِ إِلَى اللَّهِ يَتَنَالُ ثَوَابَ سُنَّةِ اتِّخَاذِ الدَّلِيلِ فِي السَّفَرِ. قَالَ السَّوَلِيُّ الرُّومِي: يَا قَلْبُ إِنْ تَرَدَّدَ هَذَا السَّفَرُ فَاعْتَصِمْ بِذِيْلِ الدَّلِيلِ وَاتَّبِعْهُ فَكُلُّ

مَنْ مَشَى عَلَى طَرِيقِ الْعِشْقِ بِغَيْرِ هَادٍ أَضَاعَ عُمْرَهُ كُلَّهُ، وَلَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَةَ الْعِشْقِ.

الدلائل العقلية:

الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَكَذَلِكَ نَفْسُهُ. يَغْرِضَانِ لِلْإِنْسَانِ أَعْمَالَهُ مَزِينَةً مَزْخَرَفَةً، فَيَكُونُ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَبِحَسْبِهِ عَلَى الْهُدَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وَكَمَا لَا يَجِدُ الشَّجَرُ ثَمَارَهُ ثَقِيلَةً كَذَلِكَ لَا يَرَى الْإِنْسَانُ عَيْبَتَهُ ذَمِيمَةً، فَيَحْتَاجُ لِلِإِضْلَاحِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى مُرَبِّ. وَفِيمَا يَلِي بَعْضُ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ:

الدليل رقم ١: طَالِبٌ يُجِيبُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ فِي عُرْفَةِ الْامْتِحَانِ، فَكُلَّ جَوَابٍ يَكْتُبُهُ يَظُنُّهُ صَحِيحاً (وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يُخْطِئُ فِي جَوَابٍ كَذَا لَا يَكْتُبُهُ) تَأْتِي الْوَرَقَةُ إِلَى الْأَسْتَاذِ فَيَصْحَحُ بَعْضُ الْأَجَوِبَةِ، وَيَخْطِئُ بَعْضَهَا فَحِينَئِذٍ يَغْتَرِفُ الطَّالِبُ أَنَّهُ ضَدَرَ بِهِ الْخَطَأَ، هَكَذَا السَّالِكُ يَذْكُرُ شَيْئاً وَيَزْعَمُ أَنَّهُ يَحْدُثُ نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يَغْرِفُ الشَّيْخُ أَنَّهُ بِسَبَبِ الْعَجَبِ. السَّالِكُ يَضْرِفُ الْمَالَ وَيَرَاهُ سَخَاءً وَيُرْشِدُهُ الشَّيْخُ أَنَّهُ إِسْرَافٌ. بِدُونِ الْمُرْشِدِ يَخَافُ السَّقُوطَ فِي حُفْرَةِ ضَلَالَةٍ، فَيَجِبُ أَنْ تُقْضَى الْحَيَاةُ تَحْتَ ظِلِّ مُرْشِدٍ.

الدليل رقم ٢: يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى التَّعَلُّمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً حَتَّى لَا يُمْكِنَ مَعْرِفَةُ طَرِيقَةِ تَرْكِيبِ الزَّرِّ بِالْقَمِيصِ بِدُونِ التَّعَلُّمِ. أَقْلاً يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الدِّينِ إِلَى التَّعَلُّمِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً».

عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدِّينَ أَصْحَابَهُ حَتَّى قَالُوا: (تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ).

[ابن ماجه ج ١ ص ٢٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات - مصباح الزجاجة ج ١ ص ٥٠]

فَكَيْفَ يَخْصُلُ الَّذِينَ الْيَوْمَ بِدُونِ تَعَلُّمٍ فِي عَصْرِ الظُّلْمَةِ وَالضَّلَالَةِ. فَثَبِّتْ أَنَّ تَعَلَّمَ الدِّينَ مِنَ الْمُرْشِدِ لَازِمٌ وَاجِبٌ.

الدليل رقم ٣: لا يدعي أحد أنه يتعلم الطب بنفسه أو يحصل على فن الهندسة بنفسه، كذلك لا يمكن للإنسان أن يتعلم الدين بنفسه. قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ».

[البخاري ج ١ ص ٤١ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

الدليل رقم ٤: إذا ترعرع شجر على يد بستانٍ يكون مستقيماً ورائعاً وجميلاً، بينما الفطري يكون معوجاً وتكون فروعه الفارغة منتشرة ومعلقة بدون نظام، كذلك الإنسان الذي يتربى عند شيخ كامل يتجمل لحسن خلقه. وللتربية في الشريعة أهمية عظيمة حتى أباحت صيد كلب معلّم بعد تحقق شروط. فعلى السالك أن يتعلم الدين تحت تربية شيخ، قال الشاعر:

إِذَا قَبِلْتَ ذَاتَ الْمُرْشِدِ وَجَدْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَ هَذِهِ النَّفْسَ الْعَاصِيَةَ سِوَى الْمُرْشِدِ، فتمسك بذيل المرشد.

الدليل رقم ٥: يخفي بعض المشايخ أن نملة كانت تريد زيارة بيت الله تعالى، ولكن كانت البحار والجبال والصخارى تضدها، رأَتْ يَوْماً حَمَامَةً مِنْ سَوَاكِينِ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى فَاعْتَصَمَتْ بِقَدَمِهَا، طَارَتْ الْحَمَامَةُ وَوَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَزَارَتْ النَّمْلَةَ بَيْتَ اللَّهِ تَعَالَى.

بيت:

نَمَلَةٌ مَشْكِيئَةٌ تَمْنَتْ الْوُضُوءَ إِلَى الْكَعْبَةِ
أَخَذَتْ قَدَمَ خِمَامَةٍ وَوَصَلَتْ إِلَى الْمَنْزِلِ
الدليل رقم ٦: صَحِبَ كُلُّ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَعَدَّ بِالْحَيَّةِ.

[تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير البيهقي ج ٤ ص ٢٠٥]

حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١٢

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَدَّثَنِي أَبِي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيَّ فِي جَامِعٍ مَضَرَ يَقُولُ
عَلَى مِثَرٍ وَغِظِهِ سَنَةٌ تِسْعٌ وَبِشْنٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ: إِنَّ مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْخَيْرِ نَالَ
مِنْ بَرَكَتِهِمْ. كُلُّ أَحَبِّ أَهْلٍ فَضْلٍ وَصَحْبِهِمْ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ
تَنْزِيلِهِ. قُلْتُ: إِذَا كَانَ بَغْضُ الْكَلَابِ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا، فَمَا
ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَالِطِينَ الْمُحِبِّينَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٣٧١ - ٣٧٢]

قَالَ الشَّاعِرُ الْفَارِسِيُّ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

كُلُّ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَيَّاماً عَدِيدَةً اتَّبَعَ الصَّالِحِينَ صَارَ رَجُلًا

الدليل رقم ٧: شَخْصٌ يُرِيدُ السَّفَرَ الْجَوِّيَّ يَشْتَرِي تَذْكَرَةً شَرِكَةً
جَيِّدَةً وَيَرْكَبُ الطَّائِرَةَ مُعْتَمِداً عَلَى قَائِدِهَا، فَالْقَائِدُ يُوصِلُهُ إِلَى الْمَنْزِلِ،
هَكَذَا السَّالِكُ يَكُلُّ نَفْسَهُ إِلَى الشَّيْخِ لِلْسَّفَرِ الْبَاطِنِيِّ، فَالشَّيْخُ يَذْهَبُ بِهِ
عَلَى طَرِيقِ السُّلُوكِ وَيُصِلُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

أدلة من أحوال الصالحين:

الدليل الأول: وَجَدَ سَيِّدُنَا الْوَحْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصُحْبَةِ
النَّبِيِّ ﷺ دَقَائِقَ مَنْزِلَةٍ. لَوْ مُلِئَتْ الدُّنْيَا بِأَمْثَالِ أَوْسٍ الْقُرْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى لَنْ يَبْلُغُوا غُبَارَ طَرِيقِهِ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: نَقُلُ

القاضي عياض أن رجلاً قال للمعافي بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية، فعصّب غضباً شديداً وقال: لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد.

معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله ويوافق ذلك أن عبد الله بن المبارك المجمع على جلالته وأمانته وتقدمه سئل: يا أبا عبد الرحمن أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن العباد الذي دخل في ألف فارس معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فقال معاوية رضي الله عنه: ربنا لك الحمد فَمَا يَغْدُ هذا الشرف الأعظم؟

[نظير الجنان واللسان لابن حجر المكي ص ١٠، ١١]

فتبين أنه لا بدّيل عن الشخصية. قال غارف:

صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ زَمَانًا خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ خَالِصَةٍ مِائَةِ مِائَةٍ

الدليل الثاني: أخذ الحسن البصري العلم الظاهري عن ثمانية عشر صحابياً مع ذلك أخذ العلم الباطني عن سيدنا علي رضي الله عنه واكتسب أنوار الولاية.

الدليل الثالث: كان سفيان الثوري يقول: لو لا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرّياء.

[اللمع ص ٢٢]

الدليل الرابع: استفاض الإمام الأعظم أبو حنيفة والإمام مالك رحمهما الله تعالى من الشيخ جعفر الصادق رحمه الله تعالى، فقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله بعد رابطة سنتين: (أولاً السُّنَّانِ لَهْلَكَ النِّعْمَانُ).

الدليل الخامس: ذهب إبراهيم الأدهم يوماً للقاء الإمام الأعظم،

فقال الإمام: جاء سيدنا إبراهيم، فسأل الطلاب وكيف ذلك؟ فقال: نحن مُشْتَغِلُونَ في خدمة الأبدان وهو مُشْتَغِلٌ في خدمة رب الأبدان، ويُقال ليمثل هذا الرجل: رباني.

الدليل السادس: أوصى الإمام الأعظم رحمه الله تعالى الإمام أبا يوسف رحمه الله تعالى أن أكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا منك ذلك.

الدليل السابع: استفاض الإمام الشافعي من الإمام محمد بن حسن الشيباني وقال قولاً مشهوراً:

صَحِبْتُ الصَّوْفِيَّةَ فَمَا انْتَفَعْتُ مِنْهُمْ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ، سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: الْوَقْتُ سَيْفٌ فَإِنْ قَطَعْتَهُ إِلَّا قَطَعَكَ، وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تُشْغِلْهَا بِالْحَقِّ، وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ. يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْقَوْلِ: قُلْتُ: يَا لِهَمَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، مَا أَنْفَعَهُمَا وَأَجْمَعَهُمَا، وَأَدْلَاهُمَا عَلَى عُلُومٍ قَائِلَهُمَا وَيَقْظَتِهِ. وَيَكْفِي فِي هَذَا ثَنَاءُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى طَائِفَةٍ هَذَا قَدَرُ كَلِمَتِهِمْ.

[مدارج السالكين ج ٣ ص ١٢٩]

الدليل الثامن: كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يذهب إلى شيخ في وقتٍ (بشر الحافي) فسأله الطلاب يوماً: أنت من كبار العلماء لماذا تذهب إلى من هو ليس بعالم؟ فأجاب الإمام أحمد جواباً مذكوراً في التاريخ وقال: أنا عالم بكتاب الله، وبشر عالم بالله سبحانه وتعالى، وللعالم بالله فضل على العالم بكتاب الله تعالى. الله أكبر كبيراً.

الدليل التاسع: سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل ما الإخلاص؟ فقال: الإخلاص هو الخلاص من آفات الأغمالي، فسئل ما التوكل؟ فأجاب: الثقة بالله، فسئل ما الرضا؟ فقال: تسليم الأمور إلى الله،

فُسئِلَ ما المَحَبَّةُ؟ فقال الإمام أحمد بن حنبل: سَلُوا عَنْ هَذَا السَّوَالِ بِشْرًا الحَافِي لَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَجِيبَ عَنْ هَذَا مَا دَامَ حَيًّا.

الدَّلِيلُ العَاشِرُ: كَانَ مَرْبِي الإمام الغَزَالِي فِي العُلُومِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالبَاطِنِيَّةِ الخَوَاجِه أَبُو عَلِي الفَارْمَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ شَيْخٌ عَظِيمٌ مِنْ مَشَايِخ السَّلْسِلَةِ النَقْشَبَنْدِيَّةِ. يَقُولُ الإمام الغَزَالِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَئِنْ أَخَذْتُ الطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي عَلِي فَارْمَدِي وَانْتَصَلْتُ مَا كَانَ يَشِيرُ إِلَيْهِ مِنْ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ وَاسْتَدَامَةِ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ جَزَتْ الْعُقُوبَاتِ وَتَكَلَّفَ تِلْكَ الْمَشَاقُّ وَحَصَلَتْ مَا كُنْتُ أَطْلُبُهُ).

[مكاشفة القلوب ص ٣٥]

الدَّلِيلُ الحَادِي عَشَرَ: كَانَ الإمام فُخْر الدِّين الرَّازِي قَدْ بَايَعَ الشَّيْخَ نَجْم الدِّين كُبْرَى.

الدَّلِيلُ الثَّانِي عَشَرَ: كَانَ العَارِفُ الكَامِلُ المَوْلَى الرُّومِي رَحِمَهُ اللَّهُ مُبَايَعاً عَلَى يَدِ الشَّيْخِ شَمْسِ تَبْرِيز، وَفِيهِ يَقُولُ المَوْلَوِي: لَنْ يُقَالَ لَهُ مَوْلَى أَهْلِ الرُّومِ مَا لَمْ يَكُنْ تَابِعاً لَشَمْسِ تَبْرِيز.

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ عَشَرَ: كَانَتْ بَيْعَةُ مِثْلِ مَوْلَانَا الحَامِي المَشْهُورِ فِي الْأَفَاقِ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الخَوَاجِه عبيد الله أَحْرَارِ السَّمَرْقَنْدِي مِنْ مَشَايِخ السَّلْسِلَةِ الْعَالِيَةِ النَقْشَبَنْدِيَّةِ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ عَشَرَ: كَانَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ شَرِيفُ الْجَرَجَانِي مُبَايَعاً عَلَى يَدِ الخَوَاجِه علاء الدِّين العَطَّار. يَقُولُ الْجَرَجَانِي فِي كِتَابِهِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا لَمْ أَصِلْ فِي خِدْمَةِ الْعَطَّار.

أَلَفَ الشَّاهُ وَلِيُّ اللَّهِ كِتَاباً فِي ذِكْرِ حَيَاتِهِ اسْمُهُ: الْجِزَةُ اللَّطِيفُ فِي تَرْجُمَةِ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهِ: بَايَعْتُ وَالِدِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَاسْتَفْلَتْ فِي الْأَوْرَادِ الصُّوفِيَّةِ، وَخَاصَّةً أَوْرَادِ الْمَشَايِخِ

النقشبندية وانتفعت بتلقيتهم وتوجههم حتى أخذت آداب الطريقة والجريه الصوفية وأصلحت سلسلتي الروحانية.

[من ديباجة حجة الله البالغة اردو ص ١٠]

الدليل الخامس عشر: كانت علاقة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي الباطنية بالخواجه الباقي بالله رحمه الله من مشايخ السلسلة النقشبندية.

الدليل السادس عشر: يقول الشاه ولي الله المحدث الدهلوي: لعلهازة الأرض التجسدة طريقان: **الأول:** أن ينزل عليها من المطر ما يسيل بالنجاسة، **والثاني:** أن تلمع عليها الشمس حتى تحرق النجاسة، كذلك لأرض القلب مظهران: ذكر الله تعالى وهو كالمطر، والشيخ الكامل وهو كالشمس يتطهر القلب بالذكر، ويتوجهات الشيخ الكامل أيضاً.

الدليل السابع عشر: كان المحدث الشهير، والمفسر الكبير القاضي ثناء الله الفاني فتي داخلاً في السلسلة النقشبندية على يد الشيخ الميرزا مظهر جان جاتان رحمه الله، ولذلك سمي كتابه في التفسير: بالتفسير المظهري.

الدليل الثامن عشر: كان مولانا محمد قاسم النانوتوي ومولانا رشيد أحمد الجنجوهي رحمهما الله تعالى من شمس وأقمار العلم، ومع ذلك كان لهما علاقة البيعة بالشيخ الحاجي أمداد الله المهاجر المكّي رحمه الله تعالى، وقد درس الشيخ رحمه الله تعالى إلى الكافية أي إلى الدرجة الثانوية العامة فقط.

الدليل التاسع عشر: استفاد بعض العلماء من عدة مشايخ. ففاز الخواجه أبو سعيد بمقام الرجاء من الشيخ الزازي، ومقام الغيرة من

الشَّاهِ شَجَاعُ الْكَرْمَانِي، وَمَقَامُ الشُّفَقَةِ مِنْ أَبِي حَفْصِ الْحَدَّادِ.

الدليل العشرون: يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوبَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَسْتَازِي فِي التَّصَوُّفِ الشَّيْخُ جُنَيْدُ الْبَغْدَادِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي عِلْمِ الْفِقْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ شُرَيْحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي النَّحْوِ ثَعْلَبُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ إِبْرَاهِيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَفَى بِهِذِهِ الْعُلُومُ لِإِضْلَاحِ النَّفْسِ. فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَشَاهِيرِ الْأُمَّةِ وَجَدَ مَنَازِلَ عَالِيَةً بِالتَّرْتِيبِ تَحْتَ ظِلِّ شَيْخٍ كَامِلٍ، وَإِنْ أَرَادَ الْيَوْمَ سَأَلُكَ أَنْ يَبْلُغَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَكَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ الَّتِي وَجَدَ بِهَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ نِعْمَةَ الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

عَلَامَاتُ الشَّيْخِ الْكَامِلِ:

لَا بُدَّ لِلْعَالِسِينَ عَلَى مَسْنَدِ الْإِرْشَادِ مِنْ وَجُودِ صِفَاتٍ حَسَنَةٍ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

فِي إِحْدَى الْيَدَيْنِ كَأْسُ الشَّرِيعَةِ وَفِي الْأُخْرَى قِلْعَةُ حُبِّ اللَّهِ

كُلُّ مَتَّبِعِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ لَا يَعْرِفُ اسْتِخْدَامَ أَحَدٍ هَذِينَ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (لَا بُدَّ لِلشَّيْخِ الْكَامِلِ مِنْ وَجُودِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْآتِيَةِ كَامِلَةً: التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْذَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ)، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ طَالِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا لَيْسَ بِأَهْلٍ لِيَكُونَ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ، قَالَ شَاعِرٌ:

سَلَّمْنَا أَنَّكَ أَسْتَازُ الْعَضْرِ وَشَيْخُ الْهُدَى

وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي هَلْ أَنْتَ رِيَّاسِي

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِلشَّيْخِ الْكَامِلِ عَلَامَاتٍ هِيَ:

١ - أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ نِسْبَةٍ . (مجازاً من شيخ من المشايخ مأموراً بنشر السلسلة) .

٢ - أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ عِلْمٍ . (الجاهل كالأعمى وَمَنْ يَتَّخِذِ الْأَعْمَى دَلِيلًا يَهْوِي فِي الْخُقْرَةِ) .

٣ - أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ تَصَرُّفٍ (أَي بَضْذُقْ عَلَيْهِ) ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

٤ - أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ إِرْشَادٍ (وهذه الصفة ليست لازمة بل هي أولى) .

وَمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِشَيْخٍ أَبَدًا . قَالَ شَاعِرٌ :

هَهُنَا أَلْفُ نَكَاتٍ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ

وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَخْلُقُ رَأْسَهُ يَعْرِفُ الْإِضْلَاحَ

ذَكَرَ الشَّيْخُ ابْنُ عَرَبِيٍّ لِلشَّيْخِ الْكَامِلِ ثَلَاثَ صِفَاتٍ : ١ - لَهُ دِينٌ

كَدِينِ الْأَنْبِيَاءِ . ٢ - لَهُ تَدْبِيرٌ كَتَدْبِيرِ الْأَطْبَاءِ . ٣ - لَهُ سِيَاسَةٌ كَسِيَاسَةِ

الْمُلُوكِ . قَالَ شَاعِرٌ :

هَذَا هُوَ إِمَامُ زَمَانِكَ حَقِيقَةُ الَّذِي

يَهْرُوكُ عَنْ كُلِّ خَاضِرٍ وَمَرْجُودٍ

يَرِيكَ فِي مِرَاةِ الْمَوْتِ وَجْهَ الْحَبِيبِ

يَجْعَلُ حَيَاتَكَ أَشَدَّ ضُغُوبَةً

يُشْعِرُكَ إِحْسَاسَ الْفَقْدَانِ وَيَحْرُكُ ذَمَكَ

يَحْدُكُ بِالْفَقْرِ وَيَجْعَلُكَ سَبْقًا

الشَّيْخُ الْكَامِلُ فِي بَادِي الرَّأْيِ كَعَامَّةِ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَخْتَلِفُ

عَنْهُمْ كَثِيرًا فِي الْبَاطِنِ ، كَالْمَاءِ الْمُرِّ ، وَالْمَاءِ الْعُلُوِّ ، الصُّورَةُ وَاحِدَةٌ

وَالسَّيْرَةُ مُخْتَلِفَةٌ . أَكَلِ الْفَاسِقِ وَالصَّالِحِ خُبْرًا وَاحِدًا يَنْشَأُ فِي

أَحَدِهِمَا الشَّهْوَةُ ، وَفِي الثَّانِي الْعِشْقُ الْإِلَهِيُّ . أُنْبِتِ الْأَرْضُ

قَصْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا صَارَ قَصَبَ الْقَلَمِ، وَالثَّانِي قَصَبَ السَّكَّرِ. أَكَلَ
الطَّبِيانَ عُشْباً وَاحِداً حَدَّثَ فِي الْوَاحِدِ الْبَعْرَاتِ، وَفِي الثَّانِي
الْمِسْكُ. مَضَّتِ الذَّبَابُ وَالشَّغْلُ مِنْ وَزْدٍ وَاحِدٍ صَارَ فِي الْوَاحِدِ
السَّمُ، وَفِي الثَّانِي الْعَسَلُ، الشَّيْخُ الْكَامِلُ فِي الظَّاهِرِ كَعَامَةِ النَّاسِ
وَفِي الْحَقِيقَةِ يَخْتَلِفُ عَنْهُمْ. قَالَ شَاعِرٌ:

لَا أَفْزُقُ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي وَلَكِنْ
أَذَانُ الْمَطْوُوعِ شَيْءٍ وَأَذَانُ الْمَجَاهِدِ شَيْءٌ آخَرُ
يَطِيرَانُ فِي فِضَاءٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ
لِلنَّاسِ عَالَمٌ وَلِلشَّاهِدِينَ عَالَمٌ آخَرُ

فَإِنْ تَيْسَّرَ لِسَالِكٍ شَيْخٌ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِذِيْلِهِ وَأَنْ
يَرَى صُخْبَتَهُ كَالْكِيْمِيَاءِ الْأَحْمَرِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ تَيْسَّرَ لِأَحَدٍ شُعَيْبٌ فَالْمَسَافَةُ
بَيْنَ الرِّغْيِ وَالْكَلِيمَةِ قَدَمَانُ

الباب السادس

في آداب الشيخ

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[الحجرات: ١١]. وقال فيه، مقام آخر: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾

[الحجرات: ٢]. المقصود من الآيات البينات توجيه المؤمنين إلى الآداب،

قال عليه الصلاة والسلام: «أَذِنِي رَبِّي فَأَحْسَن تَأْدِيبِي».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

فَعَلِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ رِعَايَةِ الْآدَابِ. قال

قَائِلُ:

موشی اے دل بھری محفل میں چلانا نہیں اچھا

ادب پہلا قرینہ ہے محبت کے قریبوں میں

تَرْجَمَتُهُ: اهْدَا يَا قَلْبُ فَإِنَّ الْجَهْرَ لَا يَحْسُنُ فِي الْمَجْلِسِ الْخَافِلِ إِذِ

الْأَدَبُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الْمَحَبَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ أَدَبٌ).

وَقَالَ شَاعِرٌ:

أَذْبُوا النَّفْسَ إِلَيْهَا الْأَصْحَابُ طَرِيقُ الْعِشْقِ كُلُّهَا آدَابُ

نَذَكَّرُ فِيمَا يَلِي عِدَّةَ آدَابٍ، لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنَ الْمُحَافَظَةِ

عَلَيْهَا، وَأَيُّ مَالِكٍ يَتَأَدَّبُ بِهَا سَوْفَ يَرْتَقِي بِسُرْعَةٍ، وَإِنْ تَغْفَلَ بَعْدَ

مَعْرِفَةِ الْآدَابِ حَرَمَ مِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ. رُوِيَ هَذِهِ الْآدَابُ عَنِ

الشَّيْخِ عَبْدِ الْمَالِكِ الصَّدِيقِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأُخِذَتْ كَمَا هِيَ مِنْ

الشجرة الطيبة، ثم أضيفت إليها أشياء لا يضطرار الحاجة إليها بعنوان الفائدة لشرحها لتيسير تفهيمها على السالكين كأنما رُفعت السجادة بالطلس.

الأدب الأول: لا ينظر السالك إلى ظاهر حال المرشد وأُسرته ووجاهته ومهنته ولا يحتقره، بل ينظر إلى تلك النعمة والفيضان اللذين وهبهما الله تعالى للشيخ وسيلتين لمعرفة الله تعالى، ويستفيد من صُغته بكمال الصدق واليقين.

فائدة: مريض يأخذ العلاج من الطبيب لمهارته في الطب لا ينظر إلى ظاهر حال الطبيب، ولا إلى وجاهته. هكذا ينبغي للسالك أن ينظر إلى نعمة الشيخ الباطنية لا إلى شيء آخر منه. عن سهل بن سعد الساعدي رحمه الله أنه قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رجلٌ من أشرف الناس: هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرَّ رجلٌ آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا».

[بخاري مع حاشية السندي ج ٣ ص ١٢١ باب فضل الفقر من كتاب الدعوات، وقال النووي: متفق عليه - انظر رياض الصالحين مع شرح نزهة المتقين ج ١ ص ٢٦٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركُم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

[اسلم ج ٣ ص ١٩٨٧ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا،
يعني بلالاً.

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٢ ص ٣٠٦]

وَكَانَ يَقُومُ عِنْدَمَا يَرَى بِلَالاً فِي زَمَنٍ خِلَافَتِهِ وَيَقُولُ: جَاءَ سَيِّدُنَا
بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَلِمَ أَنَّ الظَّاهِرَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَرَامَةِ لَيْسَ
بِشَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى ظَاهِرِ أَحْوَالِ الشَّيْخِ،
بَلْ يَنْظُرَ إِلَى نِقْمَتِهِ الْبَاطِنَةِ وَالْحَقِّ أَنَّ غَرَضَ الْعَطْشَانِ الْمَاءَ الْبَارِدَ، فَلَا
يَبَالِي أَنَّ الْمَاءَ فِي كَأْسِ الثَّرَابِ أَوْ إِنَاءٍ لَامِعٍ مِنَ الْفِضَّةِ، وَأَمَّا الْقَوْمِيَّةُ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعْرًا وَبِقَابِلٍ لِيَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ مَهْرَ عَلِيٍّ شَاهَ بَايَعَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ
السِّيَالُوي رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ بَايَعْتَ عَلِيَّ يَدِ بَدَوِيٍّ وَأَنْتَ
شَرِيفٌ؟ فَأَجَابَ الشَّاهُ: رَأَيْتُ أَزْضَ الزَّارِعِ خُضْرَاءَ فَبَايَعْتُهُ.

الأدب الثاني: لِيَعْتَقِدَ السَّالِكُ أَنَّ مَرْشَدَهُ أَنْفَعُ النَّاسِ لَهُ، وَأَنْ أَمَرَ
إِصْلَاحَ الْبَاطِنِ وَخُضُوعَ الْمَعْرِفَةِ بِتَيْسَرٍ مِنْ هَذَا الْمُرْشِدِ وَلَا يَكُنْ أَقْفَا،
وَإِنْ التَفَّتْ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى يُحَرِّمُ مِنَ الْقُبُوضِ وَالْبَرَكَاتِ.

قائدة: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَوْفٌ كُنُوزٍ عَلَى عِلْمٍ﴾ [يوسف: ٧٦].

فَنَقُولُ: إِنَّ الشَّيْخَ قَدْ لَا يَكُونُ أَعْلَمَ لَكُنْهُ فِي حَقِّ السَّالِكِ أَنْفَعُ الْبَيْتِ
فَمَا يَتَيْسَرُ لِلطُّفْلِ مِنَ الْحُبِّ وَالشُّفْقَةِ مِنْ أُمِّهِ لَا يَتَيْسَرُ مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى،
مَعَ أَنَّ النِّسَاءَ الْآخَرَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُنَّ أَفْضَلَ مِنْ أُمِّهِ عَقْلاً وَأَحْسَنَ خُلُقاً
وَأَطْيَبَ فِي صِفَاتٍ أُخَرَ.

وما أحسن ما قيل:

إِنَّ حُبَّ الْأُمِّ جَبَلٌ هَمَلَايَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَبْلُغَ شَامِخَاتِهَا.

إِنَّ حُبَّ الْأَمِّ هُوَ بَخْرٌ عَمِيقٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى عُمُقِهَا.
حَنَانُ الْأَمِّ زَهْرٌ دَائِمٌ الْبَهْجَةِ لَا يَوْتِرُ عَلَيْهِ الْخَرِيفُ وَالزَّرِيعُ.

هكذا السَّالِكُ ما يَجِدُ مِنَ النُّفْعِ عِنْدَ الْمُرْشِدِ لَا يَجِدُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ.

السَّالِكُ يَفْتَحُ لَهُ بَابُ الْإِفَاضَةِ قَدْرَ حُسْنِ ظَنِّهِ فِي مُرْشِدِهِ. كَانَ
مُرْشِدُ مَجْدَدِ الْأَلْفِ الثَّانِي الشَّيْخُ الْبَاقِي بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَادِئاً قَلِيلَ الْمَقَالِ
جداً. مَرَّةً قَالَ لَهُ شَخْصٌ: عِظْ لَنَا يَا سَيِّدِي حَتَّى يَسْتَفِيدَ السَّالِكُونَ،
فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ شَيْئاً مِنْ سَكُونِنَا لَنْ يَنْتَفِعَ شَيْئاً مِنْ كَلَامِنَا.

قَالَ خُضْرَةُ مَجْدَدِ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كُنْتُ أَنَا
وَسَائِلِكُنِ ثَلَاثَةٌ أُخُوَّةٌ فِي الطَّرِيقَةِ وَظُنُونُنَا فِي حَقِّ الْمُرْشِدِ مُخْتَلِفَةٌ. كَانَ
أَحَدُنَا يَظُنُّ أَنَّ الشَّيْخَ كَامِلٌ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ مُكَمَّلٍ لِلآخَرِينَ، وَكَانَ يَظُنُّ
الثَّانِي أَنَّ الْمُرْشِدَ كَامِلٌ وَلَكِنْ لَيْسَ بِصَاحِبِ إِرْشَادٍ، وَكَانَ ظَنِّي أَنَّهُ إِنْ
تَيَسَّرَ لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ شَيْخٌ كَامِلٌ فَهُوَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ تَيَسَّرَ لَهُ
النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ تَيَسَّرَ لِي بَعْدَهُ شَيْخٌ كَامِلٌ، فَمِنْ حُسْنِ ظَنِّي هَذَا اجْتِنَانِي
اللَّهُ تَعَالَى لِتَجْدِيدِ هَذَا الدِّينِ فَصَارَ مَجْدِداً لِلأَلْفِ الثَّانِي، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ لَا يَكُونَ أَفْقاً وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِ مُرْشِدِهِ لِكَسْبِ الْفَيْضِ،
وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَشْهَدَ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَرِّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ
قَبْلُ﴾ [الفصص: ١٢].

الأدب الثالث: وَلْيَكُنْ كَامِلَ الْإِطَاعَةِ لِمُرْشِدِهِ لِأَنَّ بَابَ الْفَيْضِ لَا
يُفْتَحُ بِغَيْرِ حُبِّهِ وَحُسْنِ اعْتِقَادِهِ وَمُقْتَضَى الْحُبِّ الطَّاعَةُ وَالْخِدْمَةُ.

فائدة: سَفَرُ الْهَجْرَةِ لِسَيِّدِنَا الصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِثَالُ نَادِرٍ
عِنْدَ الصُّوفِيَةِ لِطَّاعَةِ الْمُرْشِدِ وَخِدْمَتِهِ وَحُبِّهِ وَحُسْنِ اعْتِقَادِهِ. جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ
لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ إِلَى بَيْتِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي
الْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: «الصُّحْبَةُ». قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما شَعَرْتُ قطَّ قَبْلَ اليوم أن أحداً يَنْكِى مِنَ الفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَنْكِى يَوْمَئِذٍ، ثم قال أبو بكر: يا نبي الله! إِنَّ هَاتَيْنِ رَاجِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَغْدِثُهُمَا لِهَذَا، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَسْمَعَ لهُمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ، ثُمَّ بَاتِيَهُمْ إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْخَبَرِ، وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ قُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرْغَى عَنَّمَهُ نَهَارَهُ ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا (بَاتِيَهُمَا) إِذَا أَمْسَى فِي الْغَارِ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُضِلُّهُمَا. وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْغَارِ لَيْلًا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَسَ الْغَارَ لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبْعٌ أَوْ حَيَّةٌ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ اخْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ، خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَأُتِيتُ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ، قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتُ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ، وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَسْكُنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ.

أَصِيبُ الشَّيْخِ دُوسْتِ مُحَمَّدِ الْقُنْدَهَارِيِّ رَجَمَهُ اللَّهُ مَرَّةً بِمَرَضٍ فَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عُثْمَانُ الدَّقَانِي رَجَمَهُ اللَّهُ يَخْرُجُ مِنْ قَرْيَةِ مُوسَى زَيْتِي الشَّرِيفَةِ مَا شِئًا عَلَى قَدَمَيْهِ إِلَى بَلَدَةِ دَرَابِنَ وَبَيْنَهُمَا قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كِيلُومِتْرًا فَيَأْخُذُ الدَّوَاءَ وَيَرْجِعُ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ فِي تَمْرِيطِهِ طَوِيلَ اللَّيْلِ. فَعَلَّ ذَلِكَ أَيَّامًا مُتَوَاصِلَةً. اشْتَغَلَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْمَالِكِ مِنْ سُكَّانِ شَوْكٍ قَرِيشِي

فِي رَغِي غَنَمِ الشَّيْخِ فَضَّلَ عَلِي الْقَرِيشِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيباً مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى صَارَ مَعْرُوفاً بِاسْمِ (بَكْرٍ وَالٍ) وَمَعْنَاهُ (رَاعِي الْغَنَمِ). أَخْبَرَ مُرْشِدُهُ الْعَالَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْمَالِكِ الصَّدِيقِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اشْتَرَى مَرَّةً شَنْطَلَةً ثَمِينَةً جَدّاً وَقَالَ بَعْدَ مَا سَتَلَ: سَأَضَعُ فِيهَا أَحْجَاراً لَا اسْتِنْجَاءَ مُرْشِدِي. تَقُولُ الْعَرَبُ: إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ يَحِبُّ مَطِيعٌ، وَهَذَا الْحُبُّ وَالْخِدْمَةُ اسْتَبَابُ جَلْبِ الْفَيْضَانِ.

الآدَبُ الرَّابِعُ: لِيَتَّخِذَ الشَّيْخُ مَا اسْتَطَاعَ خِدْمَةً مَالِيَةً وَخِدْمَةً بَدَنِيَّةً وَلَا يَمْنُ عَلَيْهِ، بَلْ يَعْتَرِفُ بِإِحْسَانِ مَنْ الشَّيْخُ أَنَّهُ تَفَضَّلَ بِقَبُولِ الْخِدْمَةِ وَلَا يَطْلُبُ مُقَابِلَهُ شَيْئاً وَلَا يَطْمَعُ، وَلِيَتَّخِذْهُ مَا اسْتَطَاعَ لَوَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَفُوزَ بِكَمَالِ الْإِيمَانِ.

فائدة: قَالَ السَّيُوطِيُّ: أَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ فِي السُّنَنِ، وَالْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَعَلَيْهِ عِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّلَهَا فِي صَدْرِهِ بِخَلَّالٍ، فَتَزَلَّ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا لِي أَرَى أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّلَهَا فِي صَدْرِهِ بِخَلَّالٍ؟ فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولُ: قُلْ لَهُ: أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَثِي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اسْتَخِطُّ عَلَى رَبِّي؟ أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٩]

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْضِي فِي مَالِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا يَفْضِي فِي مَالِهِ نَفْسَهُ.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٨]

سُبْحَانَ اللَّهِ، يَا حَبِذَا مَالِكَ يَتَّخِذُ الشَّيْخَ وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِإِحْسَانٍ.

كما قال قائل:

مفت منكر خدمة سلطان به كنى مفت از دشمن كه بخدمت گذاشت

ترجمته:

لَا تَفْتَنَّ عَلَى السُّلْطَانِ إِنَّكَ تَخْدُمُهُ
اِغْتَرِفَ مِنْهُ بِإِحْسَانٍ إِنَّهُ قَبْلَكَ لِيَخْدُمْتَهُ

الآداب الخامس: يُسْرَعُ فِي أَتْبَاعِ أَمْرِ الْمُرْشِدِ، وَلَكِنْ لَا يَقْتَدِ بِفِعْلِهِ بغير إذنه، لأنه قد يَعْمَلُ حَسَبَ حَالِهِ وَمُرْتَبَتِهِ، وَفِيهِ ضَرَرٌ لِلسَّالِكِ لارتفاعه من مُسْتَوَاهُ، وَلَكِنْ يَقْتَدِي بِقَوْلِهِ لِنِشْأِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُنَاسِبَةِ بِالشَّيْخِ.

قائده: هذا الآداب مأخوذٌ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ. رَوَى أَنَسُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَأَبُو سَعِيدٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْوِصَالِ، وَفِي رِوَايَةٍ: شَفَقَةً لَهُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إِنْ أَيْتَ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَاكْمُلُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ».

[البخاري رقم ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ ج ١ ص ٣٨، ٣٩ بتحقيق فؤاد

عبد الباقي]

يَبْغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يُسْرَعَ فِي امْتِثَالِ أَمْرِ الْمُرْشِدِ وَإِنْ رَأَاهُ يَسْتَغْلِ فِي عَمَلٍ خَاصٍّ يَسْتَاذِنُهُ وَيَتَعَذُّهُ بِعَدِّ إِذْنِهِ، إِنْ لَمْ يُوْذَنْ لَهُ يَظُنُّ نَفْسَهُ ضَعِيفاً نَاقِصَ الْهِمَّةِ وَيَعْتَرِفُ بِلِسَانِهِ أَنَّ عَمَلَ الْمُرْشِدِ أَقْوَى لِنِشْأِ الْحُبِّ وَالْمُنَاسِبَةِ بِالْمُرْشِدِ.

الآداب السادس: وَفِي مَجْلِسِ الْمُرْشِدِ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ بِحَذَائِرِهِ،

فَلَا يَقْرَأُ وَرَدًا وَلَا يُصَلِّي نَافِلَةً بغير إذنه إِلَّا الْقِرَائِضَ وَالسُّنَنَ، بَلْ يَغْتَنِمُ صُحْبَتَهُ الْمُؤَثَّرَةَ أَثَرُ كِيمِيَاءِ لِيَجِدَ مِنْهُ نَظْرَةَ الشَّفَقَةِ وَلِيَأْخُذَ نَصِيحَتَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ الْبَاطِنَةِ. قَالَ مَشَايِخُ الطَّرِيقَةِ النَقْشَبَنْدِيَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِنْ

رَبَطَ الْقَلْبَ بِقَلْبِ الشَّيْخِ عِنْدَ حُضُورِهِ أَنْفَعُ مِنَ الْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ .

فائدة: الْجُكْمَةُ عَنِ النَّهْيِ عَنِ الثَّقَلِ وَالْوِزْدِ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ أَنَّ
لِلسَّالِكِ أَنْ يَعْمَلَ هَذَا فِي غَيْبَتِهِ أَيْضاً، فَلْيَسْتَفِذْ مِنْ صُحْبَةِ الشَّيْخِ الْفَائِدَةَ
الْبَاطِنِيَّةِ، وَلْيَلْتَفِتْ إِلَيْهِ التَّفَاتُ تَاماً سَمْعاً وَفِكْراً.

یک چشم زدن غافل از اس شاهانه باشی شاید کرنگا ہے کدآ گاوه باشی

ترجمتہ:

لَا تَغْفُلْ عَنِ ذَلِكَ الْمَلِكِ طَرَفَةً عَيْنٍ
عَسَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَا تُلْتَفِتُ إِلَيْهِ

إِنَابَةُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ يُقَالُ لَهَا: الْوُقُوفُ الْقَلْبِيُّ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ الْقَلْبِيَّةُ
فَهِيَ أَنْ يَظُنَّ السَّالِكُ نَفْسَهُ خَالِياً وَيَرْبِطُ قَلْبَهُ بِقَلْبِ الشَّيْخِ وَيَحْسُبُ أَنَّهُ
يَأْتِيهِ الْفَيْضُ فِي قَلْبِهِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ، يَرْتَقِي السَّالِكُ بِالذِّكْرِ أَيْضاً
وَبِعَنَايَاتِ الْمُرْشِدِ أَيْضاً. وَالسَّبِيلُ الَّذِي يَعْبُرُ بَدُونِ مُرْشِدٍ فِي سَنَوَاتٍ
يُمْكِنُ أَنْ يَغْبُرَ بِعَنَايَاتِ الْمُرْشِدِ فِي سَاعَاتٍ.

ولذا قيل:

یک زمانہ صحیحہ با اولیاء بہتر از صد سالہ طاعت ہے یا

ترجمتہ: مُجَالَسَةُ الْأَوْلِيَاءِ حِينَمَا مَا خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ مِائَةِ سَنَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ
الرِّيَاءِ.

قال الشيخ محمد معصوم رحمه الله:

سایہ بہر بہتر از ذکر حق

ترجمتہ: ظِلُّ الشَّيْخِ أَنْفَعُ لِلسَّالِكِ مِنْ ذِكْرِ الْحَقِّ.

قال عَارِفٌ: إِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَأَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُمْ، وَإِذَا
جَلَسْتُمْ فِي مَجَالِسِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَأَمْسِكُوا قُلُوبَكُمْ، وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَحَافِلِ

الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فَأَمْسِكُوا أَبْصَارَكُمْ، وَجَدِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ ضُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةَ سَاعَاتٍ مَا لَمْ يَجِدْ غَيْرُهُمْ مِنْ مُجَاهِدَاتِ الْقَبْ سَنَةٍ. وَمِنْ أَيْنَ إِلَى أَيْنَ أَبْلَغْتَ خَبَاراً نَظَرَةً وَاحِدَةً مِنَ الشَّيْخِ الْبَاقِي بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الأدب السابع : ليجلس في ضُحْبَةِ الشَّيْخِ متأدباً متواضعاً ساكناً وليستمع كَلَامَهُ الطَّيِّبَ بغايةِ فِكْرٍ، وَلَا يَنْظُرُ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَلَا يَتَكَلَّمَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلْيَتَكَلَّمْ عِنْدَ الْضَّرُورَةِ بِكَلَامٍ مُوجِزٍ، وَلْيَتَنَظَّرْ جَوَابَهُ بِغَايَةِ التَّوَجُّهِ، وَلْيَتَكَلَّمْ بِهَدْوٍ وَرَفَقٍ، وَلَا يَرْفَعْ صَوْتَهُ عَلَى صَوْتِ الْمُرْشِدِ، وَلَا يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ تَكُونُ سَبَبَ ضَيْقٍ أَوْ خِفَّةٍ لِلْمُرْشِدِ.

فائدة : عندما يستمع السَّالِكُ إِلَى مَوْعِظَةِ الشَّيْخِ بِطَلَبِ صَادِقٍ يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ بِقِيَمَاتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ لِيُذَكِّرَ إِنْ كَانَ لَمْ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِنْهَاءِ عَنِ التَّكَلُّمِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ مُفَكِّراً يَفْكُرُ فِي نُكْتَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ يَلْقَى تَوَجُّهَاتِهِ الْبَاطِنِيَّةَ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ الْإِنْهَاءَ أَوْ يَكُونُ مُتَفَكِّراً فِي أَمْرٍ هَامٍّ، فَالْكَلَامُ بِدُونِ الْإِذْنِ حَيْثُمَا يُوْدِي إِلَى انْقِبَاضِ الطَّبَعِ.

وَأَيْضاً لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ أَثْنَاءَ الْكَلَامِ عَلَى صَوْتِ الْمُرْشِدِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَاسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ مِنْ أَحَادِيثِ الْإِنْصَاتِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى حُكْمِ الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. لِيَسْتَمِيعَ إِلَى كَلَامِ الْمُرْشِدِ بِغَايَةِ فِكْرٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ: لِيَكُنِ الْمُرْشِدُ لِسَاناً وَالسَّالِكُ أُذُنًا.

الأدب الثامن: لا يميز نفسه بحضرة الشيخ، بل يظهر نفسه حقيرة محتاجة مملئة بالطلب والشوق.

فائدة: لا يتكلم بين يدي المرشد بكلام يظهر به التفوق العلمي على الحاضرين، ولا يظهر جلالة أو هيبة الدنيوية، ولا يظهر بعمله أنه مُستشار الشيخ أو صاحب سره، ولا أن المرشد عطف عليه، فجميع هذه الأمور تسمن النفس وتدل على الأنانية، فليلتزم الطاعة والتواضع ما استطاع.

زمیں کی طرح جس نے عاجزی واکساری کی خدا کی رحمتوں نے اس کو اُٹھانا آسان ہو کر ترجمتہ:

مَنْ تَوَاضَعَ مِثْلَ الْأَرْضِ وَتَذَلَّلَ
تَصْبَحُ لَهُ رَحْمَاتُ رَبِّهِ سَمَاءً وَتَغْمَدُهُ

الأدب التاسع: لا يفعد مفعد المرشد، ولا يضع قدمه على سجادة.

فائدة: أصله عمل سيدنا الصديق رضي الله عنه. روي أن النبي ﷺ كان يخطب على الدرجة الثالثة أي العالية من المنبر، وكان الصديق رضي الله عنه زمن خلافته يخطب على الدرجة الثانية، وهذا من الأدب. وإنما ينهى عن الصلاة على سجادة المرشد لأن فيه ادعاء المساواة ظاهراً.

الأدب العاشر: لا يأكل ولا يشرب ولا يتوضأ بين يديه بغير إذنه، ولا يستعمل إناءه، ولا يتطهر ولا يتوضأ مقام طهارته ووضوئه، ويحترمه في غيبته كما يحترمه بحضرته حتى يفور بالإخلاص.

فائدة: لا يستعمل بين يدي المرشد في الأكل والشرب بغير الإذن حتى يأذن المجلوس فيجلس على المائدة، وإن لم يأذن تأخر بطيب

الْقَلْب. تَنْظُرُ عَيْنُ الْمُرْشِدِ مَا لَا تَنْظُرُهُ عَيْنُ السَّالِكِ. دُسْتُورُ مَشَايِخِ السَّلْسِلَةِ الشَّاذِلِيَّةِ الْغَالِيَةِ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ الْفُيُوضَاتِ وَالتَّوَجُّهَاتِ فِي الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَيُطْعِمُونَهَا لِلْسَّالِكِينَ، وَبَعْضُ الْمَشَايِخِ مِنْهُمْ يَأْخُذُونَ الْمِيشَاقَ مِنَ الْخُلَفَاءِ عِنْدَ التَّخْلِيفِ أَنْكُمْ سَوْفَ تُلْقَوْنَ التَّوَجُّهَاتِ فِي الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَتُقَدِّمُونَهَا لِلْسَّالِكِينَ.

رَوَيْ فِي كُتُبِ التَّصَوُّفِ الْمَعْتَبَرَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ أَطْعَمَ السَّالِكَ شَيْئاً عِنْدَ التَّخْلِيفِ. كَانَ الشَّيْخُ مُزِيدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَتَابِعُ جَمِيعَ السَّالِكِينَ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى الْمَائِدَةِ مُتَابِعَةً دَقِيقَةً، وَكَانَ يَرْتَبِي زَجْراً وَتَوْبِيخاً وَكَانَ يَقُولُ: رَأَيْتُ شَيْخَ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدَ زَكْرِيَا رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ قَوِيَّ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَائِدَةِ حَتَّى مَنُ حَضَرَ مَائِدَتَهُ عِدَّةٌ مَرَاتٍ اغْتَدَلَتْ عِدَّةٌ تَعَوَّجَاتِهِ.

وَلَا يَبْدَأُ بِالْأَكْلِ قَبْلَ الشَّيْخِ، فَعَن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا لَا يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الطَّعَامِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْدَأُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢ ص ٣٢١ حديث رقم ٢١١٨]

حِكَايَةٌ: وَضِعَتْ لِلشَّيْخِ الْحَاجِّ أَمْدَادُ اللَّهِ الْمُهَاجِرِ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَائِدَةٌ مُسْتَوَلَّةٌ عَلَى أَطْعِمَةٍ لَذِيذَةٍ، وَكَانَ مَوْلَانَا رَشِيدُ أَحْمَدِ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَاضِراً فِي خِدْمَتِهِ، فَوَضَعَ الشَّيْخُ الْحَاجُّ خَبْزاً وَغَدَساً قَلِيلاً فِي الطَّبَقِ وَوَضَعَهُمَا فِي يَدِ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: اجْلِسْ بِجَنِّبِ الْمَائِدَةِ وَكُلْ هَذَا الطَّعَامَ فَجَعَلَ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَأْكُلُ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَسُرُورٍ. قَالَ الْحَاجُّ بَعْدَ لَحْظَةٍ زَاجِراً: أَيُّ رَشِيدِ أَحْمَدِ! كُنْتُ أَرِيدُ أَنْ أَجْلِسَ فِي مَوْضِعِ الْأَخْدِيَّةِ، وَلَكِنْ أَكْرَمْتُكَ وَأَجْلَسْتُكَ عَلَى الْمَائِدَةِ، ثُمَّ تَابَعَ الْحَاجُّ انْطِبَاعَاتٍ وَجْهِيهِ، فَقَالَ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَغَايَةَ أَدَبٍ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي إِنِّي أَهْلٌ أَنْ أَجْلِسَ فِي مَوْضِعِ الْأَخْدِيَّةِ، وَهَذَا

فَضَّلْ مِنْكَ وَإِحْسَانٌ. فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ الْحَاجَّ أَنَّهُ مَا ثَارَتْ نَفْسُهُ بِسَمَاعِ
هَذَا الْكَلَامِ الْمَرْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ظَهَرَتْ ثَمَرَاتُ الذِّكْرِ.

الأدب الحادي عشر: لَا يَنْسُطُ رِجْلَيْهِ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ
الْمُرْشِدُ وَلَا يَتَضَعُ إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ حَبِثًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

فائدة: كَرِهَ الْفُقَهَاءُ بَسْطَ الرِّجْلَيْنِ وَالبَصْقَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ، وَإِنْ
لَمْ تَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِأَنَّ بَيْتَ اللَّهِ مَرْكَزُ الْأَنْوَارِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ، هَكَذَا قُلِبَ
الْمُرْشِدُ مَوْزِدًا لِلتَّجَلِّيَّاتِ الدَّائِيَةِ، فَوَجِبَتْ مُزَاعَاةُ تِلْكَ الْأَدَابِ لِلْمُرْشِدِ.
رَوَى ابْنُ مَاجَه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ:
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: «مَا أَطْيَبُ وَأَطْيَبُ رِيحِكَ،
مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ
أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ مَالَهُ وَدَمُهُ وَإِنْ نَظَرْنَا بِهِ إِلَّا خَيْرًا».

[سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٩٧]

الأدب الثاني عشر: لَا يَضَعُ قَدَمَيْهِ عَلَى ظِلِّ الْمُرْشِدِ وَلَا يَقُومُ مَا
اسْتَطَاعَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ ظِلُّهُ عَلَى الْمُرْشِدِ.

فائدة: وَطَاءَ شَيْءٍ تَحْتَ الْقَدَمِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْقَارِهِ، فَلَا يَنْبَغِي
لِلْمَسَالِكِ أَنْ يَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى ظِلِّ الْمُرْشِدِ لِأَنَّهُ يُشْتَبِهُ اسْتِهْزَاؤُهُ، فَيَحَاوِلُ أَنْ
لَا يَقَعَ ظِلُّهُ عَلَى الْمُرْشِدِ، لِأَنَّ انْقِطَاعَ الضِّيَاءِ قَدْ يَسَبِّبُ الاضطرابَ
الطَّبْعِيَّ. وَلَا يَحْسَبُ هَذِهِ الْأَدَابُ بَسِيطَةً، لِأَنَّ الذَّرَاتِ الصَّغِيرَةَ عِنْدَمَا
تَجْتَمِعُ نَصْبُحُ كَثَبَةً زَمَلًا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ حَبَّةَ لَا تَمَلَأُ كَوْمَةً، لَكِنْ تُسَاعِدُ
حُبُوبًا تَمَلَأُ كَوْمَةً.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيْمِ: لَا تَسْتَصْغِرُوا ذُنُوبًا بَلْ انْظُرُوا إِلَى عَظَمَةِ مَنْ
تَعْصُوهُ. وَبِنَاءً عَلَى هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: لَا تَسْتَخْقِرُوا أَدَبًا بَلْ رَاعُوا ذَاتَ
الْمُرْشِدِ الَّذِي أَصْبَحَ وَسِيلَةً لِلْوُضُوءِ إِلَى الْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ. حَكَى الشَّيْخُ

مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ طَالِباً صَادِقاً حَضَرَ فِي خِدْمَةِ الشَّيْخِ فَضَّلَ عَلَيِ الْقَرِيشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ: إِنَّ لَطَائِفِي تَوَقَّفَتْ مُنْذُ أَيَّامٍ لَا أَذْرِي مَا سَبَبُهُ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: انْظُرْ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ارْتِكَابُ سُوءِ آدَبٍ وَيَكُونُ هَذَا جَزَاءَهُ، فَفَكَّرَ طَوِيلًا حَتَّى تَذَكَّرَ أَنَّ عَصَا الشَّيْخِ كَانَتْ مَوْضُوعَةً قَبْلَ أَيَّامٍ وَهَذَا السَّائِلُ جَاوَزَ عَلَيْهَا فَجَرَتْ لَطَائِفُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

الآدَبُ الثَّالِثُ عَشَرَ: لَا يَمْشِي أَمَامَ الشَّيْخِ وَلَا يَسْتَحْيِي فِي الْمَشْيِ خَلْفَهُ بَلْ يَخْتَبِئُ سَعَادَةً.

فائدة: الْمُرَادُ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمَشْيِ أَمَامَهُ أَلَّا يَتَقَدَّمَ فِي الشَّهَارِ بِلَا حَاجَةٍ، فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى الْمَشْيِ أَمَامَهُ لِحَاجَةٍ فَلَا بَأْسَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّقَدُّمُ أَوْلَى كَالْمَشْيِ أَمَامَهُ لِيَلَّا مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ فِي الطَّرِيقِ حَيَوَانٌ مُؤْذٍ أَوْ حُفْرَةٌ أَوْ حَجَرٌ يَزِلُّ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ يَأْمُرُ الشَّيْخُ بِالتَّقَدُّمِ لِسَبَبٍ، فَالْتَّقَدُّمُ حِينَئِذٍ عَيْنُ آدَبٍ، إِذِ الْأَمْرُ فَوْقَ الْآدَبِ. خَرَجَ حَضْرَةُ مُرْشِدِ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ الشَّرِيفِ لِيَزِيَارَةَ شَخْصٍ فَقَالَ لِلْمُضَيَّفِ: امْشِ أَمَامَنَا فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ الطَّرِيقَ فَقَالَ: لَا بَلْ تَقْدَمُ أَنتَ يَا سَيِّدِي وَأَنَا أَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ، فَكَلَّمَا يَأْتِي لَفَةً فِي الطَّرِيقِ اخْتِاجَ الشَّيْخِ أَنْ يَتَنَبَّهَ إِلَى الْخَلْفِ وَيَسْأَلَ: إِلَى أَيِّ جِهَةٍ تَذْهَبُ؟ فَأَمَرَ الشَّيْخُ بَعْدَ قَلِيلٍ مَرَّةً ثَانِيَةً أَنْ يَتَقَدَّمَ فَاغْتَدَّرَ وَقَالَ: لَا يَا سَيِّدِي أَنَا بِالتَّخَلُّفِ أَجْدَرُ. فَلَمَّا رَدَّ أَمْرَهُ مَرَّةً ثَالِثَةً بِهَذَا الْجَوَابِ رَفَعَ الشَّيْخُ عَصَاهُ غَاظِباً وَقَالَ: هَلْ أَنتَ شَيْخِي أَوْ أَنَا شَيْخُكَ فَجِئْتَنِي أَذْرِكَ الْحَقِيقَةَ وَتَقْدَمُ.

الْأَصْلُ فِي غَايَةِ الْأَحْوَالِ أَلَّا يَتَقَدَّمَ الْمُرِيدُ الشَّيْخَ بِلَا ضَرُورَةٍ، فَفِي غُبُونِ الْأَخْبَارِ، أَنَّهُ سُئِلَ عُمَرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ تَعْلِيمِ وَتَرْبِيَةِ ابْنِهِ وَحَسَنَ تَأْدِيبِهِ فَقَالَ: مَا مَشَيْتُ نَهَاراً إِلَّا وَهُوَ خَلْفِي وَلَا مَشَيْتُ لَيْلاً إِلَّا وَهُوَ أَمَامِي وَلَا صَعَدَ سَقْفاً أَنَا تَحْتَهُ. قَالَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُنْتُ أَمْسِي خَلْفَ شَيْخِي كَالْكَبْشِ الْأَلْبِفِ.

الأدب الرابع عشر: يقوم المريد إذا قام الشيخ ويقعد بعد قعوده.

فائدة: من الإكرام أن يقوم المريد عندما يقوم الشيخ، ويجلس عندما يجلس الشيخ. بغض الناس يسألون أن النبي ﷺ نهى أصحابه مرة عن القيام، فلماذا يقوم الناس إكراماً في مجالس الشيوخ؟ هؤلاء ما يقومون في هذا الموضع، وما يستحبون الذين يقومون، وهذا السؤال ناشئ عن قلة العلم. من حسن الشريعة المحمدية أنه إذا كان في قضية فريقان يؤمر كل منهما بأداء حقوق الفريق الثاني حتى تستمر الأمور بأسلوب حسن، وتقوم بينهما علاقة الحب والإكرام، ففي جانب واحد أمرت الشريعة المريد بالقيام لتقدير الشيخ والامتثال بالحديث: «أنزلوا الناس منازلهم».

[الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٩]

وبجانب آخر أمر الشيخ أن يكره أن يقوم له الناس حتى يسلم من العجب والكبر، فيزعم المريد القيام كالواجب، ويأمر المريد بالرفق بالقعود حتى يبقى ارتباط الحب والاعتقاد. أحاديث النهي عن القيام مغروفة، ولتذكر ههنا ثلاثة أحاديث عن القيام:

الأول: روى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَسْجِدِ يَحْدِثُنَا فَإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَامًا حَتَّى تَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَغْضَ بُيُوتِ أَرْوَاجِهِ».

[رواه أبو داود رقم ٤٧٧٥ في الأدب باب في الحلم، والنسائي ٨/

٣٣، ٣٤ في القسامة، جامع الأصول ج ١١ ص ٢٥٣، وبديل

المجهود ج ٥ ص ٢٣٥]

الثاني: روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نَزَلَ أَهْلُ قَرْيَظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرْسَلَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ عَلَى جِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَرِيباً مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ».

[رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٨٩ واللفظ له والبخاري ج ٣ ص ٤٤]

فَقَامَ الْأَنْصَارُ إِكْرَاماً لِسَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ الْمُرِيدُ لِشَيْخِهِ عَمَلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَلَى صَاحِبِهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

الثالث: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْ نِسَاءً يُصَلِّينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ انْصَرَفْنَ وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مَعَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَقُومُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٤٨]

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا قَالَتْ: كُنْ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ فَمَنْ، وَتَبَتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى خَلْفَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٧٥]

الأدب الخامس عشر: لِيَكُنْ مَوَاقِفُ الْحَضْرَةِ الشَّيْخِ وَبَغْيَتِهِ وَلِيَجْعَلَ ظَاهِرَهُ كِبَاطِيئِهِ أَيْ لَا يَكُنْ أَيْ اخْتِلَافٍ بَيْنَ مَا فِي قَلْبِهِ وَمَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ.

فائدة: الْمُرِيدُ الَّذِي لَا يَكُونُ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ الشَّيْخِ وَخَلْفَهُ هُوَ كَمَرِيضٍ يُخْفِي عَنِ الطَّيِّبِ مَرَضَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَرِيضَ لَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْمَرَضِ. كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: (عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يُبَيِّنَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ لِمُرْشِدِهِ كَمَا تُبَيِّنُ الْبَنْتُ كُلَّ مَا لَهَا لِأُمِّهَا). فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ كَمَا أَبَاحَتْ كَشَفَ السِّرِّ عِنْدَ الطَّيِّبِ لِلْعِلَاجِ كَذَلِكَ أَبَاحَتْ بَلْ أَوْجَبَتْ كَشَفَ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِلْعِلَاجِ الرُّوحَانِيِّ أَمَامَ الْمُرْشِدِ. فَإِنَّ أَخْفَى الْمُرِيدِ عَلَى الْمُرْشِدِ يَتَحَمَّلُ هُوَ الْخَسَارَةُ.

قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ أَغْلَقْتُمْ الْبَابَ لِإِخْفَاءِ الْغُيُوبِ لَا يَزَالُ الصُّدُقُ خَارِجاً
وَلَا يُقَيَّدُ الذِّكْرُ حَيْثُ نَزَدَ.

وَقَالَ شَاعِرٌ مَا مَغْنَاهُ: مَا زِلْتُ ذَكَرْتُ حَتَّى سَجِقَ لِسَانِي لَكِنْ لَمْ
يَتَوَطَّنِ الذِّكْرُ مِنْ قَلْبِي فَقَدْ وَقَعْتَ فِي مَصِيبَةٍ أَلْقَيْتَ فِي غُنْفِكَ عَقُوداً ثَقِيلَةً
وَسُبْحَةً وَلَكِنْ قَلْبُكَ مَعْقُودٌ بِالْأَنَامِ فَكَيْفَ يُوَثِّرُ عَلَيْكَ الذِّكْرُ؟

الأدب السادس عشر: يرى جميع أقوال المرشدين وأفعاله سديدة ولا
يُخْطِئُهُ وَلَا يَأْتِي فِي الْقَلْبِ شُبْهَةٌ أَوْ شَكٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئاً يَذْكُرُ قِصَّةَ
سَيِّدِنَا مُوسَى وَسَيِّدِنَا خُصْرٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فائدة: العلاقة بين المريد والمرشد ليست كعلاقة التلميذ والأستاذ،
بَلْ كَعَلَاقَةِ الْمَرِيضِ وَالطَّبِيبِ، كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ الْخَطَأَ
إِلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّبِيبِ كَذَلِكَ لَيْسَ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَنْسَبَ الْخَطَأَ إِلَى أَيِّ
شَيْءٍ مِنَ الْمُرْشِدِ. قَالَ الشَّيْخُ قَاضِي ثَنَاءِ اللَّهِ الْفَانِي فَتَى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
إِرْشَادِ الطَّالِبِينَ: (المرشد إن كَانَ مَوْضُوعاً بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالتَّقْوَى، فَلَا يُوْجِهُ
إِلَيْهِ الْإِغْتِرَاضُ إِنْ صَدَرَ مِنْهُ أَحْيَاناً أَمْرٌ يُخَالِفُ الشَّرْعَ، بَلْ يَنْبَغِي تَأْوِيلُهُ
وَحَمْلُهُ عَلَى الْإِضْطِرَارِ أَوْ الْإِسْتِغْرَاقِ أَوْ عَدَمِ وَقُوفِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ رَجُلًا
غَيْرَ مُتَّصِفٍ بِأَوْصَافِ الشَّيْخِ الْكَامِلِ وَطَرِيقِهِ طَرِيقُ فُسُوقٍ، فَهَذَا الرَّجُلُ
لَيْسَ بَوْلِي قَطُّ وَلَا يَنْبَغِي تَأْوِيلُ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ).

كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُرْشِدَ الشَّيْخِ الشُّبْلِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ حِفَاطِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كَانَ قَدْ بَايَعَهُ مِائَتُ أُلُوفٍ مِنَ
السَّالِكِينَ وَكَانَتْ مِائَتُ الزَّوَايَا عَامِرَةً بِبَرَكَتِهِ. كَانَ يَمُرُّ مَعَ جَمَاعَتِهِ بِقَرْيَةٍ
مَسْبُوحِيَّةٍ فَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى بَنَاتٍ مَسْبُوحِيَّةٍ فَقَدَّ نِعْمَتَهُ الْبَاطِنَةَ فَوَدَعَ الشَّيْخُ
الشَّيْخَ الشُّبْلِيَّ وَأَعَادَ السَّالِكِينَ، وَطَلَبَ مِنْ وَالِدِ الْبَنَاتِ نِكَاحَهَا، فَقَالَ:
أَنْتَ غَرِيبٌ. نَعَمْ لَوْ تَقِيمُ عِنْدَنَا وَتَرْعَى خَنَازِيرَنَا سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ يَسْهَلُ

الأمر. فوافق الشيخ فكان يخرج صباحاً ويترعى الخنازير ويعود ليلاً، وكذلك مضت سنة كاملة وكان حب الشيخ راسخاً في قلب الشيخ الشبلي كان يعرف أنه شيخ كامل بلا شك ولكن وقع في بلاء. فذهب الشيخ الشبلي بعد سنة إلى شيخه فلما وصل إلى تلك القرية رأى أن الشيخ قائم وعليه جبة وعمامة كان يخطب فيهما للجُمُعة آخذاً بيده تلك العصا يحرس القطيع، فدنا إليه وسأله عن الأوضاع وقال: يا سيدي هل أنت إلى الآن حافظ لجميع القرآن. فسكت الشيخ قليلاً، ثم قال: أحفظ آية واحدة فقط: ﴿وَمِنْ يُؤْنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] ثم سأل هل تحفظ الأحاديث؟ فقال: أحفظ حديثاً واحداً فقط: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَافْتُلُوهُ».

[رواه البخاري جامع الأصول ج ٣ ص ٤٨١]

ثم أغول الشيخ ونظر إلى السماء وقال: اللهم ما كنت أظن منك هذا الظن، فبكى الشيخ الشبلي بكاء عويلاً. بعد لأي رجع الشيخ الشبلي إلى وطنه. وصل في الطريق إلى جانب نهر فرأى شيخه عبد الله الأندلسي رحمه الله متبسماً ضاحكاً بشوشاً، فسر الشيخ الشبلي رحمه الله سروراً لا نهاية له، فقال: يا سيدي! ما هذه المعضلة؟ فقال الشيخ: حينما كنت مررت بقرية المسيحيين وقع في قلبي: ما أجهل هؤلاء المسيحيين حيث جعلوا المسيح عليه السلام ابناً لله تعالى، فأخذت فوراً ونوديت: إن كنت مسلماً فهل هذا صنيعك أو هي مؤهبة منا، وسلبت معه التهمة الباطنة وألقاني الله في البلاء.

(علِمَ من هذه القصة أن هناك أموراً ليس لها عند الغوام أهمية قد يؤاخذ المقربون بتركها). رجع الشبلي بشيخه وعاد رونق الزوايا.

وللسالكين في هذه القصة عبر:

١ - أن لا يتسبوا كمالاتهم إلى أنفسهم.

٢ - لَوْ صَدَّرَ مِنْ شَيْخٍ صَاحِبِ الاسْتِقَامَةِ أَمْرٌ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فَلْيُحْمِلُوهُ عَلَى الْبَلَاءِ .

٣ - أَنْ لَا يَقْتَتُوا بِأَحْوَالِهِمْ وَوَارِدَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّاتِهِمْ .

٤ - أَنْ لَا يَقْتَتُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَيِّ حَالٍ .

حُسْنُ اعْتِقَادِ الشَّيْخِ الشَّيْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَحَبَّهُ لَهُ مَنَارَةٌ ضَوْءُهَا لِلسَّالِكِينَ .

الأدب السابع عشر: لَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بِشِدَّةِ الشَّيْخِ وَعِتَابِهِ وَلَا يَتْرُكُ لِسْرِهِ الظَّنَّ طَرِيقاً إِلَيْهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الشَّيْخِ لِلطَّالِبِ تَعْمَلُ عَمَلُ التَّلْمِيعِ .

قائلة: كَمَا أَنَّ بَسْتَانِيًّا يَقْطَعُ مِنَ الشَّجَرَةِ أَجْزَاءَهَا الزَّائِدَةَ فَيَطِيبُ نَمَازُهَا وَتَكُونُ جَمِيلَةً الْمُنْظَرِ، أَوْ كَمَا أَنَّ طَبِيباً قَدْ يَفْصِدُ الْجِرَاحَاتِ وَيَخْرِجُ الْمَادَّةَ الْفَاسِدَةَ وَقَدْ يَضْمَدُ حَتَّى يَشْفَى الْمَرِيضُ، كَذَلِكَ الْمُرْشِدُ الْكَامِلُ قَدْ يَعَامِلُ الْمُرِيدَ مَعَامَلَةَ الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ، وَقَدْ يُعَاتِبُهُ وَيَزْجُرُهُ حَتَّى يُنْشِئَ فِيهِ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ. عِتَابُ الْمُرْشِدِ يَعْمَلُ لَأَمْرَاضِ الْمُرِيدِ الْبَاطِنَةِ عَمَلُ التَّرْيَاقِ. وَلِأَنَّ الْمُرْشِدَ يَزْجُرُ بِالْإِخْلَاصِ لِأَجْلِ التَّوْبَةِ فَيَعْتَبِرُ الْمُرِيدُونَ هَذَا الزَّجْرَ وَالتَّوْبِيخَ قَطْعَ سُكَّرٍ فِي غِلَافٍ مَوْسَجٍ فَيَزِدَادُ حُبُّهُمْ .

كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِلْمُرْشِدِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَزِمَ السُّكُوتِ، فَإِنَّ سَكَتَ الْمُرْشِدِ عَلَى تَقْصِيرَاتِ الْمُرِيدِينَ وَلَا يَنْصَحُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَا فِي الْخَلْوَةِ، فَكَيْفَ يَتِمُّ إِصْلَاحُ الْمُرِيدِينَ. رُؤْيَا أَخْطَاءِ وَتَقْصِيرَاتِ الْمُرِيدِينَ وَعَدَمُ الْجُهْدِ لِإِصْلَاحِهِمْ مَدَاهِنَةٌ بَيِّنَةٌ تَنَالُ بِهِ الْمُرْشِدِيَّةَ. وَلَكِنْ لَا تَتِمُّ تَرْبِيَةُ الْمُرِيدِينَ. كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: إِنْ الْخَلْوَى تَعْمَلُ لِلشَّيْخِ وَالْعَالِمِ عَمَلُ الْإِسْمَةِ أَيَّ يَتَغَلَّقُ الْقَلْبُ بَعْدَ أَكْلِ الْخَلْوَى. يَجِبُ ذُبْحُ الْأَغْنِيَاءِ خَاصَّةً بِسَكِينِ الْاسْتِغْنَاءِ وَكَانَ يَقُولُ: مَا لَمْ يَكُنْ غَضَبٌ لَمْ يَتَعَلَّمْ أَدَبٌ. وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ أَقَامَ الْمُرْشِدُ الْمُرِيدَ عَلَى

مُلْتَقَى الطَّرِيقِ وَضَرَبَهُ بِالنُّغْلِ بِلَا ذَنْبٍ، فَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَأْخُذَ النُّغْلَ وَيُعْطِيَهُ
لِلشَّيْخِ. عِتَابُ الْمُرْشِدِ بِلَا سَبَبٍ لَا يَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ. يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ
الْعَرَضُ مُلَاحِظَةً أَنَّهُ هَلْ تَشْتَعِلُ نَفْسُ الْمُرِيدِ أَمْ لَا؟ الْمُرْشِدُ يُعَاتِبُ الْمُرِيدَ
بِاعْتِقَادِ أَنَّهُ كَحَسَنَاءِ سُودَ وَجْهَهَا بِالْجَبْرِ الْأَسْوَدِ مَا أَنْ تَغْسِلَ الْجَبْرُ يَظْهَرُ
وَجْهَهُ كَالْقَمَرِ عَلَى أَنَّ الْعَرَضَ بِالْعِتَابِ وَالْغَضَبِ إِضْلَاحُ الْأَحْوَالِ لَا تَوَاجُدُ
الْحَقْدُ فِي الْقَلْبِ. وَإِنْ مُرْشِدٌ يَحْقُدُ الْمُرِيدِينَ لِأَخْطَائِهِمْ وَتَقْصِيرَاتِهِمْ فَلَمْ
يَبْقَ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الْحَقْدُ. غَضَبُ الْمُرْشِدِ عَارِضٌ يَتَحَوَّلُ مُحِبَّةً وَرَحْمَةً إِنْ
صَلَحَ الْمُرِيدُ. الْمُرْشِدُ عِنْدَمَا يُعَاتِبُ الْمُرِيدَ لَا يَحْسِبُ نَفْسَهُ حَبِثًا أَفْضَلَ
وَلَا يَحْسِبُ الْمُرِيدَ أَذْنًى وَأَخْسَ، وَتَكُونُ حَالَةُ الْمُرْشِدِ عِنْدَ زَجْرِ الْمُرِيدِ
كَجَلَادٍ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ أَنْ يَجْلِدَ أَمِيرًا لِأَجْلِ الْخَطَا الْفُلَانِي، فَالْجَلَادُ يَجْلِدُ
الْأَمِيرَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ السُّلْطَانِ، وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَلِيءٌ بِحُبِّ الْأَمِيرِ وَتَوْقِيرِهِ دُونَ
الْبَغْضِ وَالتَّخْفِيرِ. فَالْمُرْشِدُ يَزْجُرُ وَيُلْقِي التَّوْجِهَاتِ وَيَدْعُو لِلْمُرِيدِينَ
بِاسْطِطَاءِ يَدَيْهِ فِي خَلَوَاتِ بَصْفِ اللَّيْلِ. وَبُثِّتَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
عِنْدَمَا يُعَاتِبُ أَحَدًا يَدْعُو لَهُ أَيْضًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي آتَاكَ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تَخْفِيَهُ، إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتَهُ أَوْ شَتَمْتَهُ، أَوْ جَلَدْتَهُ أَوْ لَعَنْتَهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً
وَرِكَاتًا وَفَرِيَةً تَقَرَّبَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[شرح السنة ج ٥ ص ٨]

الْمُرْشِدُ إِنْ تَوَجَّهَ إِلَى أَحَدِ الْمُرِيدِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَوَجَّهُ إِلَى آخَرٍ،
فَلَا يَضِيقُ صَدْرُ الثَّانِي، بَلْ لِيَعْتَقِدَ أَنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ الطَّبِيبُ بَعْضَ
الْمَرْضَى فِي شُعْبَةِ الْعِثَايَةِ الْمُرَكَّزَةِ، وَيَدْخُلُ الْبَعْضُ فِي الشُّعْبَةِ
الْعَامَّةِ، كَذَلِكَ الْمُرِيدُونَ يَرَوْنَ لِمُتَوَجَّهِ الشَّيْخِ قَرَفًا ظَاهِرًا وَلَكِنْ لَا
تَفَاوُتَ فِي قُلُوبِهِ.

الأدب الثامن عشر: إِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ فَلْيَعْرِضْهَا لَهُ بِطَرِيقِ

مناسب، وإن لم تحل الشبهة يحمله على قُصور فهمه، وأنه غير صالح للجواب.

فائدة: السالكون الذين يقرؤون علاقة الحب والاختيار بمرشديهم، لم يوجد فيهم سوء الاعتقاد، وإن وقع سؤال في نفوسهم يُلْقَى جوابه في نفوسهم أيضاً ببركة توجهات المرشد، وإن لم يكن فالله سبحانه وتعالى يُجْري على لسان المرشد خلال التحدث جواباً يتحير منه السالكون. قال شاعر ما بغناه:

بِأَمْنٍ لِقَاؤُكَ حَلَّ كُلِّ سُؤَالٍ
بِكَ تُكْشَفُ الشُّبُهَاتُ بِأَقْيَلِ وَقَالِ

وجود شبهة في قول المرشد أو فعله أكبر كَبِدِ شَيْطَانِي للسالكين يقع فيها المبتدئون لأجل قلة المحبة والاختيار ورابطة الشيخ. ويتبني أن يعلم أصل هو: أنه إذ حققت قبل التبعية في المرشد جميع الصفات والعلامات التي يجب أن تكون في شيخ كامل فلا تُعطى الشيطان فرصة للإلقاء سوء الظن. من أسباب الحرمان أن يظن الإنسان نفسه أعقل الناس وينظر إلى المرشد نظر نقدي وفحص.

كَانَ أَبُو جَهْلٍ يَرَى النَّبِيَّ ﷺ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَوْ رَأَاهُ مَرَّةً مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَنَجَا. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَنْظُرُ بِسُوءِ الظَّنِّ وَالشَّكِّ إِلَى مَنْ هُوَ سَبَبٌ لِبِصَالِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَرِيضَ هُوَ ذِهْنُهُ وَيُظْهِرُ الْقُصُورَ فِي شَيْخِهِ. اعْلَمُوا أَنَّ الْمُرْشِدَ كَالْمِرَآةِ يَرَى فِيهِ الْمُرِيدُ صُورَةَ تَقْصِيرَاتِهِ وَفَقْأَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرَآةُ الْمُؤْمِنِ».

[رواه أبو داود والترمذي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٤]

فَلَوْ حَدَّثَتْ شُبُهَةٌ يَجِبُ اِطْلَاعُهَا لِلْمُرْشِدِ بِطَرِيقٍ مُنَاسِبٍ. حَضَرَ إِلَى الشَّيْخِ الْمِيرْزَا مَظْهَرِ جَانِ جَانَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَاهِنٌ هِنْدُوسِي وَقَالَ:

أَوْتَيْتُ كَشَفَ الْقُلُوبِ مِنْ سَيْنٍ وَأَرَى قَلْبَكَ أَسْوَدَ حَالِكًا، فَسَأَلَهُ الشَّيْخُ : وَكَيْفَ حَصَلَتْ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ : بِمَخَالَفَةِ النَّفْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . فَقَالَ الشَّيْخُ أَتَيْنَا الْكَلَامَ : لِمَاذَا لَا تُسَلِّمُ؟ فَقَالَ : لَا أُرْغَبُ فِيهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ : خَالَفَ نَفْسَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَيْضًا، فَقَالَ الْكَاهِنُ الْهِنْدُوسِي وَأَسْلَمَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : انْظُرْ إِلَى قَلْبِي الْآنَ كَيْفَ تَجِدُهُ؟ فَقَالَ : الْآنَ يَطْهَرُ لِي نُورٌ عَلَى نُورٍ . فَقَالَ الشَّيْخُ : طَهَّرَ لَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ صُورَةَ قَلْبِكَ فِي .

أما السؤال عن القضايا العلمية وحل الإشكالات فينبغي السؤال عنها بطريق مناسب ومحل ملائم . هذا هو المقصود من قوله تعالى : ﴿ قَتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقَامُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٧] .

ولكن ليس بمغفول أن يدور دائماً في ذاكرتي «لَمْ» و«لَا» .

الأدب التاسع عشر : لا يتخذ صورة البحث والجدل ، ولا يرد كلام المرشيد وإن كان الحق إلى جانب المرشد ، بل ليعتقد أن خطأ المرشد خير من صوابه .

فائدة : هذا الأدب أشبه بأحوال المرشدين القدماء ، فإن وقع الاختلاف مع المرشد في الأمور العلمية فلا يجوز ترك ذيل الأدب . أمر الشاه عبد العزيز الشيخ سيد أحمد بتصور الشيخ فاعذر إليه بغاية أدب . فأشاد الشاه عبد العزيز بيتاً معناه :

لَوْ أَنَّ سَجَادَتَكَ بِخَمْرِ إِنْ أَمَرَكَ بِهِ شَيْخٌ كَامِلٌ

فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلطَّلَابِ عِلْمٌ بِآدَابِ وَطَرِيقِ الْمُتَرَبِّلِ

فَقَالَ : يَا سَيِّدِي يُمْكِنُ لِي أَنْ أَشْرَبَ الْخَمْرَ بِأَمْرِكَ ثُمَّ أَتُوبَ ، وَلَكِنْ تَصَوَّرَ الشَّيْخُ عِنْدِي شُعْبَةً مِنَ الشَّرْكِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ ، فَقَامَ الشَّيْخُ وَعَانَقَ السَّيِّدَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، غَلَبَكَ التَّوْحِيدُ فَسَنَمِشِي بِكَ عَنْ طَرِيقِ آخَرٍ .

الأدب العشرون: لا يعرض المريد ما يخالف رأي الشيخ في صورة البحث والجدل، وإن كان الحق إلى جانب المريد. كان رأي النبي ﷺ في غزوة بدر أن يطلق سراح الأسارى بشروط، بينما كان رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يضرب أعناق هؤلاء الأسرى. فنزل الوحي كان موافقاً لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحكم الشرع أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد لا محالة، فخطأ الشيخ له حكم خطأ اجتهدائي. فعلى المريد أن يظن أن خطأ الشيخ خير من صوابه.

سها النبي ﷺ مرة فسلم على تمام ركعتين في رباعية فأصبح هذا السهو رحمة للأمة وتبيئت مسائل سجدة السهو وكان الصديق رضي الله عنه يقول: يا ليتني كنت سهو محمد ﷺ. أي وجد النبي ﷺ على هذا السهو من الأجر ما لا يساويه أجور جميع حياته رضي الله عنه.

قائدة: كشف عيوب الناس ونقدهم والتعليق عليهم عادة من هو مخروم من قرب الله تعالى، وإلا فمتى يكون للصديق فرصة لأن يترك ذكر الحبيب ويضيع وقته فيما لا يغنيه. قال الشاه غلام علي الدهلوي رحمه الله تعالى: الشيخ السعدي ذكر التصوف في بيتين وقال ما معناه:

وصاني شينخي المرشد الكامل الشهاب
وصيتين اتيتن على مثن ماء
الأولى أن لا تنظر إلى حسناتك
والثانية أن لا تنظر إلى سيئات غيرك

فيمكن أن يقال: عطر التصوف يذكر في كلمتين: أن لا يكون حسن الظن في نفسه، وأن لا يكون سيء الظن في غيره. أي لا ينظر إلى محاسنه ولا يلاحظ عيوب غيره.

الأدب الحادي والعشرون: أن يحب أقرباء المرشد وأهل قرابته ويلين لأصدقائه وأحبائه وأيضاً يلين لإخوان الطريفة والطلابين، ويجتنب عن غيبته وعن مخالفته حتى يفوز بالامتناع.

فائدة: آية حب المرشد أن يحب المرشد أهل المرشد وأقرباءه، وهذا مستفاد من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْهِ لَمَّا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

روى علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

الأدب الثاني والعشرون: يعرض على المرشد أخواله الباطنة (حسنة أو سيئة) لأن المرشد طبيب روحاني يصلح بعد العلم والاطلاع، ولا يلتزم المرشد السكوت ثقة بكشف الشيخ.

فائدة: كما أن المريض يُخبر الطبيب الجسماني عن أحواله إن لم يخبره يتقدم إلى الموت، كذلك ينبغي للسالك ألا يزال يطلع المرشد وهو طبيبه الروحاني على الكيفيات والواردات والآيآت قلوب. ويجب في هذا الأمر الاجتناب عن الإفراط والتفريط. أما الإفراط فهو أن يُخبر عن كيفياته كل صغير وكبير سوى شيخه. والواردات والكيفيات عرائس باطنة ونعم خفية وهل يظهر أحد غيره على عرويه؟

والتفريط ألا يُخبر شيخه عن أحواله ويُزعم أن مرشده صاحب كشف يعرف بنفسه. فالطريق السوي أن يُخبر دائماً شيخه عن أحواله. قالت الصوفية: إن اتخذ السالك الاتباع والاطلاع دُشوراً فلا يحول دون تقدمه شيء.

الأدب الثالث والعشرون: ما رآه في المنام يذكره للمرشد وإن جاء في ذهنه تعبير يذكره أيضاً.

فائدة: بغض السالكين يكون لطيف الطبع وبغضهم يكون كثيف الطبع قليل رؤيا المنام. وكثرة الرؤيا ليست دليلاً على الفضيلة، وقلة الرؤيا ليست دليلاً على النقص. والرؤيا ثلاث:

١ - حديث النفس وهو كل ما يفعله السالك في النهار أو يفكر فيه ويجتمع في ذهنه فيراه في المنام.

٢ - أضغاث أحلام وهي الخيالات المنشئة يراها في المنام مصورة.

٣ - الرؤيا الصالحة وهي الرؤيا الصادقة، وقيل: إنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

والتمييز بين أقسام الرؤيا هذه صعب، لا يحل هذه المشكلة إلا صاحب البصيرة الباطنة، ينبغي للسالك أن يذكر للشيخ كل ما رأى في المنام من غير زيادة ولا نقصان. فإن عبر المرشد فيها، وإلا يسكت، وليعلم أن إظهار تأويلها لا يفيدني، أو أن هذه الرؤيا ليست صالحة للتعبير.

ذكر أمور هامة لتعبير الرؤيا:

١ - تعبير بعض الرؤيا يكون كما ترى في المنام تماماً.

٢ - بعض الرؤيا تعبيرها على ضد ما ترى، كأن رأى شخصاً أنه مات فإنه يحيا مدة طويلة.

٣ - تعبير بعض الرؤيا موقوف على التمثيل، رأى المليك سبع بقرات سمان وأخر عجاف، ففسر سيدنا يوسف عليه السلام عن البقرات السمان بسنة خصبة وعن البقرات العجاف بسنة مجيبة.

٤ - رُؤيا يَرَاهَا رَجُلَانِ يَخْتَلِفُ لهُمَا تَعْبِيرَانِ، رَأَى رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّهُ يُوَدُّ فَوْجَ الْعِزَّةِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

ورأى فَاسِقٌ أَنَّهُ يُوَدُّ فَأَخَذَ سَارِقًا وَخَصَلَ لَهُ ذَلَّةً تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَدْنَى يَدُكَ إِلَى يَدِهَا الْغَيْرِ إِنَّكُمْ لَسِرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

٥ - تَرَى فِي فَضْلَيْنِ رُؤْيَا وَاحِدَةً يَخْتَلِفُ تَعْبِيرُهَا. [إِنْ] رَأَى فِي الشِّتَاءِ نَارًا أَصَابَهُ خَيْرٌ، وَإِنْ رَأَاهَا فِي الصَّيْفِ أَصَابَهُ شَرٌّ.

٦ - قَدْ تُكُونُ الرُّؤْيَا فَاسِدَةً فِي الظَّاهِرِ، وَلَكِنَّهَا رُؤْيَا صَالِحَةً. رَأَتْ السَّيِّدَةُ زَبِيدَةُ زَوْجَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ أَنَّهَا عَزِيَانَةٌ وَأَنَّ الْإِنْسَ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورَ تَزْنِي بِهَا فَحَزْنَتْ وَاسْتَيْقَظَتْ وَخَافَتْ أَنْ لَا يَصِيبَهَا حُزْنِيٌّ، وَلَكِنْ كَانَ تَعْبِيرُهَا أَنَّهَا سَتُشْبِعُ نَهْرًا يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ وَالْحَيَوَانَاتُ وَالطَّيُورُ وَالِدَوَاجِنُ وَتَكُونُ لَهَا صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ. رَأَى شَخْصٌ أَنَّهُ يَزْنِي بِأَمَةٍ فَحَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأُمِّ الْأَرْضُ وَبِالزَّنا الاسْتِمْتَاعُ بِالْأَرْضِ فَوَجَدَ نَفْعًا عَظِيمًا مِنْ أَرْضِهِ.

وعلى السَّالِكِينَ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَصْلِهِ أَنَّهُ لَوْ رَأَى رُؤْيَا صَادِقَةً فَمَا لَمْ يَظْهَرَ فَمَاذَا تُفِيدُ؟ فَلَوْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ أَصْبَحَ مُلِكًا وَلَكِنْ أَيْ فَايِدَةٍ مَا لَمْ يَسْمَلْكَ فِي الْخَارِجِ. رَأَى سَيِّدُنَا يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ لَهُ سَاجِدِينَ، وَلَكِنْ وَقَعَ فِي الْبَيْتِ وَبِيعَ فِي مِصْرَ وَعَمِلَ خَادِمًا فِي بَيْتِ غَزِيرٍ مِصْرِيٍّ، وَوَقَعَ فِي بِلَإٍ وَمَكَتْ فِي السَّجْنِ تِسْعَ سَنَوَاتٍ ثُمَّ وَجَدَ مُلْكًا وَتَمَّتْ رُؤْيَاهُ. وَلَمَّا كَانَ هَذَا خَالَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فَمَا مَعْنَى الْقَرْحِ عَلَى الرُّؤْيَا الْفَاسِدَةِ؟ وَهُنَاكَ بَعْضُ السَّالِكِينَ يَشْتَعِلُونَ دَائِمًا فِي ذِكْرِ رُؤْيَاهُمْ كَأَنَّهُمْ مُلُوكُ عَالَمِ الرُّؤْيَا. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْقِطُ بِالرُّؤْيَا كِبَارًا عِظَامًا وَيَقْبِضُ الْإِنْسَانَ بِالْعُجْبِ وَالْاِفْتِخَارِ، فَذَاتُ الْمُرْشِدِ هُوَ الَّذِي يُنَبِّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى هَذِهِ الْمَكَائِدِ مِنَ الشَّيْطَانِ مُحَافِظَةً عَلَى الْإِيمَانِ.

حكاية: كَانَ لِحُجَيْنِدِ الْبَغْدَادِيِّ مُرِيدٌ يَرَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، وَيَذْكُرُ فِي الشَّهَارِ هَذِهِ الرُّؤْيَا لِلنَّاسِ، حَتَّى اشْتَهَرَتْ قِصَصُهُ وَمَقُصَّتْ سَنَةً كَذَلِكَ، حَضَرَ فِي خِدْمَةِ الشَّيْخِ مَرَّةً فَرَأَى الشَّيْخُ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِي شَبَكَةِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْعُجْبِ. فَقَالَ: إِنَّ رَأَيْتَ الْجَنَّةَ بَعْدَ هَذَا فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَظَنَّ الطَّالِبُ أَنَّ الشَّيْخَ يَحْسُدُهُ، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ لَمَّا رَأَاهُ يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ تَذَكَّرَ أَنَّ الشَّيْخَ أَوْصَى لَهُ بِقِرَاءَةِ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (وهذا بركة توجه الشيخ حقيقة) فقال: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) فَلَمَّا قَالَهَا انْتَهَتْ جَمِيعُ الْمَنَاطِرِ، وَرَأَى هُنَالِكَ عِظَاماً مَوْضُوعَةً، فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَرِيدُ أَنْ يَنْتَهَبَ إِيْمَانَهُ.

بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرَى فِي الْمَنَامِ شَيْوَحًا وَيُظَنُّ أَنَّهُ يَجِدُ فَائِدَةً بَاطِنِيَّةً (مِنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ بَدُونِ تَوَسُّطِ شَيْخِهِ) وَلَكِنَّهَا خَدِيعَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ وَالشَّيْطَانُ يَرِيدُ أَنْ يَقْلَعَ رَابِطَتَهُ بِشَيْخِهِ، وَهُنَاكَ بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرَوْنَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا كَثِيرَةً بَعْضُهَا أَعْجَبُ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي التَّيَزَامِ الشَّرِيعَةِ يَتَكَاسَلُونَ، وَهَذِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ عَلَى وَقُوعِهِمْ فِي النِّسْنَةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي».

[رواه أحمد والبخاري والترمذي] [الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٠٢]

يَقُولُ الشَّيْخُ مُجَدِّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي فِي مَكْتُوباتِهِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي هُوَ مَوْجُودٌ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُسَوَّرَةِ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَادِعَ فِي كُلِّ صُورَةٍ سِوَاهَا، سِوَاءَ أَكَانَتْ صُورَةً وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَوْ صُورَةً أَحَدٍ مِنْ آبَائِهِ أَوْ أَجْدَادِهِ، فَالسَّالِكُونَ الَّذِينَ يَصْعُقُونَ أَسَاسَ رُوحَانِيَّاتِهِمْ عَلَى الرُّؤْيَا فِي حَقَرٍ عَظِيمٍ. خُلَفَاءُ بَعْضِ الرُّؤَايَا يَتَدَاوَنَ الْكَلَامَ بِالرُّؤْيَا وَيُخْتَمُونَ بِالرُّؤْيَا. قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

العُشُّ الَّذِي يُضْنَعُ عَلَى فَرْعٍ ضَعِيفٍ غَيْرُ قَوِيٍّ

جاء في بغض الزوابات: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَرَأَ بِمَكَّةَ النَّجْمَ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩]، أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ تِلْكَ الْغَرَائِيقَ الْعُلَى وَأَنَّ شَقَاعَتَهُنَّ تُرْتَجَى، قَالُوا: مَا ذَكَرَ آلِهَتُنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَسَجَدَ وَسَجَدُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِنَّا نَنفَخُ فِيهِ السَّيْفَ فِي أُذُنَيْهِ، فَيَسْمَعُ اللَّهُ مَا يُفْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ مَأْكَدَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النجم: ٢٥٢].

[تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٧]

قال ابن كثير رحمه الله: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَوْقَعَ فِي مَسَامِعِ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ فَتَوَقَّعُوا أَنَّهُ صَدَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، بَلْ إِنَّمَا كَانَ مِنْ ضَيِّعِ الشَّيْطَانِ لَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٩]

فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ جَعَلَ صَوْتَهُ كَصَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَرَأَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ حَتَّى يَتَخَدِّعَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فْهَذَا مَقَامُ فِكْرٍ وَتَدَبُّرٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَنْشَأْ مِنْ حَدِيثَةِ الرُّجَالِ الطَّاهِرِينَ، كَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَبِخُضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَاذَا نَحْنُ مِنْهُمْ حَتَّى نُدَّعِي دَعْوَى كَبِيرَةً، وَسَالِكَ الْيَوْمَ مَا أضعَفَ رُوحَانِيَّتُهُ وَمَا أَبْعَدَهُ مِنْ مَشْكَاةِ الشُّبُهَةِ، وَهَلْ مِنْ ضَعُوبَةٍ فِي إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ فِي عَصْرِ الْفِتْنَةِ وَفِي حَالَةِ التُّؤَمِ. فَلْيَتَفَكَّرِ السَّالِكُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُضِلُّنَا مُتَّبِعِينَ أَقْطَافًا فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ إِضْلَالُنَا بِالْمَنَامِ صَغْبًا. فَلَا يَتَقَنَّ عَلَى الْمَنَامَاتِ وَكُلَّ مَا رَأَى فِي الْمَنَامِ يَذْكُرُهُ لِمُرْشِيهِ وَيَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخَضُّرُونَ).

الأدب الرابع والعشرون: كُلُّ وَرْدٍ وَدُعَاءٍ يَعْلَمُهُ الْمُرْتَبِدُ يَتَّخِذُهُ عَادَةً

ويترك كل وزر سواه. سواء بدأه بنفسه أو علمه أخذ. نعم، الأعمال
المسئونة مستثناة.

فائدة: تقول العامة: لا يأخذ المريض في وقت واحد إلا دواء
طبيب واحد، فكذلك لا يعمل السالك إلا بالأوزاد التي علمه إياها
شيخه وأصله ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْكَ الْمَرَاضِعَ﴾ [الفصص: ١٢]. لو اتخذ أوزاداً
أخرى بنفسه أو بتعليم غيره يخسر. الأوزاد للمبتدئ كالدواء، وللمُنْتَهِي
كالغذاء ونية الآخر في الأوزاد ليست بقبيحة: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وعلى السالك ألا يستكثر عمله فيفتخر ولا يستغنىه قِيَّاس. وهذا
السِرُّ مَكْنُونٌ في قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. الدليل
على الأوزاد صباحاً ومساءً قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾
[النور: ٣٦].

الأدب الخامس والعشرون: لا يشتغل بالأوزاد بحضرة الشيخ فإن
كان لا بد من القراءة فليجلس حيث لا يراه.

فائدة: ما يستفيد السالك بحضرة المرشد بالرابطة القلبية لا يجد
بالذكر والأوزاد. مثل المرشد كمثل الشمس، ومثل المرشد كمثل الورد
والفاكهة، فكما يحسن لذة الفواكه بحرارة الشمس، أو يحصل الزوادة
للأوزاد كذلك تأتي الأثوار في قلب السالك بتوجه المرشد، وإن أراد
السالك أن يشتغل في وزر فليشتغل فيه بحيث لا يراه المرشد.

الأدب السادس والعشرون: كل فيض باطني يصل إليه يعتقد بركة
مرشده، ولو رأى في المنام أو المراقبة أنه يصل الفيض من شيخ آخر،
فليزعم أن لطيفة من لطائف المرشد تمثلت في صورة ذلك الشيخ.

فائدة: كما أن مضباحاً مرتبطاً بسلك فما تصل إليه من الكهرباء

تَصِلُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ السُّلُكِ سَوَاءٌ نَأْتِي مِنَ السَّدِّ الْعَالِي بِتَرْبِيَلًا، أَوِ السَّدِّ الْعَالِي بِمَنْجَلًا، كَذَلِكَ كُلُّ قَبِيضٍ بَاطِنِي يَجِدُهُ الْمُرِيدُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ وَإِنْ كَانَ يَأْتِي مِنْ شَيْخٍ آخَرَ. فَإِنْ رَأَى سَالِكٌ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ الْقَبِيضُ مِنْ شَيْخٍ آخَرَ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَطِيفَةً مِنْ لَطَائِفِ شَيْخِهِ يُوَصِّلُ إِلَيْهِ الْقَبِيضَ مَصُورَةً بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ جِهَةً قَلْبِ الْمُرِيدِ وَاحِدَةً.

وهذا كما قيل: خُذْ وَاحِدًا خُذْ مُخْتَمًا.

سَافَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْقُرْمَنِي مَرَّةً إِلَى مَقْبَرَةِ خَضِرَةِ الْمُجَدِّدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ مَعَهُ فِي هَذَا السَّفَرِ عِدَّةٌ مِنْ مُرِيدِيهِ وَخُلَفَائِهِ مِنْهُمْ الشَّيْخُ زَوَّارُ حُسَيْنِ الشَّرِيفِ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْكُوَهَانْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، اشْتَغَلُوا فِي الْمُرَاقَبَةِ طَوِيلًا، حَتَّى كَلِمَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ فِي عِدَّةِ أُمُورٍ، ثُمَّ طَلَبَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ أَنْ يَتْرُكَ خُلَفَاءَهُ (الشَّرِيفُ زَوَّارُ حُسَيْنِ شَاهِ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْكُوَهَانْدِي وَغَيْرُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ) لَعِدَّةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ لَخُلَفَائِهِ: إِنِّي أَرِيدُ السَّفَرَ فَاقْضُوا مَاذَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ الْكُوَهَانْدِي: يَا سَيِّدِي هَلْ تَأْمُرُنَا أَنْ نَمْكُثَ هَهُنَا أَوْ هُوَ مَفُوضٌ إِلَى رَأْيِنَا، إِنْ نَشَأَ نَمْكُثُ وَإِنْ نَشَأَ نُسَافِرُ مَعَكَ؟ فَقَالَ الْمُرْشِدُ: هَذَا عَلَى رَأْيِكُمْ إِنِّي بَلَّغْتُ رِسَالَةَ خَضِرَةِ الْمُجَدِّدِ، فَقَالَ الشَّيْخُ الْكُوَهَانْدِي: يَا شَيْخَنَا نَذْهَبُ مَعَكَ، مُجَدِّدُنَا أَنْتَ فَقَطْ لَا غَيْرُ.

سُبْحَانَ اللَّهِ! هَكَذَا يَكُونُ ارْتِبَاطُ الْمُرْشِدِ، الدَّعْوَةُ مِنَ الْمُجَدِّدِ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ السَّلْسَلَةِ وَيَبْلُغُ الرِّسَالَةَ شَيْخُهُ وَمُرْشِدُهُ، فَمَا أَعْجَبَ مَعَ هَذَا كُلَّهُ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي إِنْ مُجَدِّدُنَا سَيَادَتُكَ. فَكَانَ هَؤُلَاءِ يُعْطُونَ كَيْفِيَّاتٍ لَا يَصِلُ سَالِكُ الْيَوْمِ غُبَارَ طَرِيقِهِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

حكاية: كَانَتْ فِي أُسْرَةِ الشَّيْخِ أَبِي سَعِيدِ الْخَزَارِ خَرْقَةٌ موروثةٌ مِنَ الْأَجْدَادِ وَاشْتَهَرَ أَنَّ مَشَايِخَ هَذِهِ الْأَمْرِ أَلْقَتْ تَوْجِهَاتِهِمْ فِي تِلْكَ الْخَرْقَةِ،

وقد ظهرت منها البركات مراراً، ولمّا أجاز الشيخُ مُرشده مَنحه خُرقةً، وكان الشيخُ يتبركُ بالخرقتين، فلمّا ابتلي بمرَضِ الموتِ قال لِخادِمِهِ: التي عليّ الخُرقةُ حتّى أَسْتَفِيدَ مِنْ بَرَكَاتِهِ. فسأل الخادِمُ: أيّ الخُرقتين؟ فقال الشيخُ: أنا أكرِّمُ كثيراً خُرقةَ أبائي وأجدادي، ولكنّ أريدُ الآنَ خُرقةَ شَيْخِي، فإنّي أريدُ أنْ أَمُوتَ مُسْتَعْرِقاً في أنوارِ شَيْخِي ومُرْشِدِي في آخِرِ أَيَّامِي.

الأدب السابع والعشرون: يُروى للنَّاسِ مِنْ كَلَامِ المُرْشِدِ مَا يَفْهَمُونَهُ. وما يَرَاهُ فَوْقَ فَهْمِ العَوَامِ لَا يَذْكُرُهُ أَبَداً، فَبَعْضُ الكَلَامِ يَكُونُ لِلْخَوَاصِّ فَقَطْ.

فائدة: لَا يَلِيْقُ بِالسَّالِكِ أَنْ يَتَقَلَّ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ حَضْرَةِ المُرْشِدِ مِنْ أُمُورِ المَعْرِفَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَبَعْضُ الْأُمُورِ يَحْتَاجُ لِفَهْمِهَا إِلَى كَفَافَةٍ وَبِدُونِ الكَفَافَةِ لَا يَنْفَعُ مِثْلُ هَذَا الكَلَامِ بَلْ قَدْ يَضُرُّ.

قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، اُنْحَبِثُوا أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، رواه البخاري، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا أَنْتَ مُحَدِّثٌ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ).

رواه مسلم؛ [فتح الباري ج ١ ص ٢٢٥ ملخصاً]

الأدب الثامن والعشرون: إِنْ أُعْطِيَ جَاهُ أَوْ مَنَصِبٌ فَلْيَقْبَلْهُ لِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَقْبَلْ إِلَى أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ.

فائدة: إِنْ وَهَبَ الشَّيْخُ مَنَصِباً أَوْ رُتْبَةً فَلْيَحْسِبْهُ نِعْمَةً غَيْرَ مَرْتَقِبَةٍ، وَلْيَقْبَلْهُ رَوْحاً وَقَلْباً وَلْيُسْكِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَالشَّرْطُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الْقَبُولِيَّةُ لَا الكَفَافَةُ. إِنْ شَاءَ يَبْلُغُ مِنَ التَّرَابِ إِلَى الْأَفْلاكِ، مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: أَهْوَاءُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا. اجْتَنِبْ فُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ مِنْ طَائِفَةِ قَطَاعِ الطَّرِيقِ

وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَوْلِيَاءِ، وَأَخْرَجَ خَالِدًا مِنْ عِبَادِ الْأَصْنَامِ وَالْبَيْسَةِ تَاجَ سَيْفِ
اللَّهِ. قَالَ قَائِلٌ:

إِنْ لَغَتْ نَظْرُكَ كَرَمَ فَجَمِيعِ الْعُيُوبِ فُتُونُ

قَالَ لِلطَّيْنِ الْقَلِيلِ الْمُتَلَفَى تَحْتَ الْأَقْدَامِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً. تَجْرِي رِيحُ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَةِ فَلَا تَتَأَخَّرُ صِيرُورَةُ الْمَرْدُودِ مَقْبُولًا
وَالْتَرَابِ ذَهَبًا. إِنْ شَاءَ أَجْلَسَ كَلْبًا فِي صَفِّ الْأَوْلِيَاءِ وَذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ
بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَهُمْ نَسِيطُ ذِرَاعِيهِ﴾ [الكهف: ١٨] ويزيد في الرتبة. إِنْ قَارَ
مَشْرُبُ الرَّحْمَةِ يَجْدِبُ الْمُطْلُوبَ نَفْسَ الطَّالِبِ فَأَيُّ سَبَبٍ لِلْجَزْمَانِ بَلْ
سَيُضْبِعُ التَّرَابُ ذَهَبًا. وَأَمَّا أَنْ يَظُنَّ السَّالِكُ أَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ فَسَوْفَ لَا
يَكُونُ أَهْلًا إِلَى مَوْتِهِ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ صَارَ أَهْلًا لَهُ فَهَذَا دَلِيلٌ عَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ.

الأدب التاسع والعشرون: لَا يَقْصِدُ إِلَى شَيْخٍ آخَرَ يَذُونُ إِذَنْ شَيْخِهِ
لَأَجْلِ الْبَيْعَةِ حَتَّى يَقُورَ بِثَرْوَةِ السَّعَادَةِ.

فائدة: الْأَوْضَاعُ الْمُمَكِّنَةُ لَاسْتِفَادَةِ السَّالِكِ مِنْ مَشَائِخِ غَيْرِ شَيْخِهِ

هِيَ:

١ - أَنْ يَكُونَ مَعَ شَيْخٍ عِلَاقَةُ الْبَيْعَةِ وَلَكِنْ اِحْتِيَاجُ الْمُسَافِرِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ،
لَأَجْلِ الْمَعَاشِ أَوْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَوْضَاعُ ذَلِكَ الْبَلَدِ سَيِّئَةٌ جَدًّا،
وَالِاتِّصَالُ بِالشَّيْخِ صَغْبٌ وَلَكِنْ تيسَّرَ لَهُ ضُجْبَةُ شَيْخٍ هُنَاكَ مِنْ نَفْسِ
السَّلْسِلَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتَخَذُ بِإِذْنِ مُرْشِدِهِ هَذَا الشَّيْخَ مُرْشِدًا، فَيَكُونُ الشَّيْخُ
الْأَوَّلُ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ، وَالثَّانِي شَيْخَ التَّعْلِيمِ. فَالْعِلَاقَةُ بِشَيْخَيْنِ اثْنَيْنِ
مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْقَوْمِ.

٢ - اِمْتَدَّتْ عِلَاقَةُ الْبَيْعَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ أَيُّ فَائِدَةٍ فِيْبَايَعِ شَيْخًا
آخَرَ بِإِذْنِ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ، إِذِ الْمَقْصُودُ الْإِصْلَاحُ.

٣ - يَكُونُ شَيْخٌ مِنْ أَكَابِرِ شَيْخِهِ حَيًّا وَيُرِيدُ أَنْ يُبَايِعَهُ لِحُصُولِ الْبَرَكَاتِ بِإِذْنِ

الشيخ بيعة بركة. الشيخ محمد عبد المالك الصديقي أعطى الشيخ مرشد العالم الدروس، ثم بعته إلى مدينة شيخه مسكين فور حتى ينال توجهات أخرى، فأعطى له الشيخ السيد فضل علي القرشي التوجهات عدة أيام وأعطى له الإجازة والخلافة وبايعه، فتحققت هذه البيعة الثانية برضى الشيخ.

الأدب الثلاثون: إن انتقل الشيخ من هذه الدار الفانية فليدع له ويوصل له الأجر والثواب حتى تدوم علاقة روحانية.

فائدة: جميع أعضاء السالك مستغرق في إحصانات من كان له ذريعة للوصول إلى الله تعالى، فإن توفي فليعتبر إيصال الثواب كأنه يهدي له كل يوم، ويمكن إيصال الثواب بقراءة القرآن والصلاة النافلة والصدقة وبناء المساجد والمدارس.

قال العلامة الشامي في باب صلاة الجنائز، وفي باب الحج عن الغير يمكن إيصال ثواب جميع العبادات النافلة سوى الفرائض والواجبات، وقال العلماء: من يحج عن غيره يكون حج بدل عنه يبشر به روحه في السماء ويجعل هذا الحاج عن الغير من القائمين عند الله تعالى.

الباب السابع

إنشاء الزوايا

رؤية عَيْنِ الظَّاهِرِ مِنَ الْإِنْسَانِ يُقَالُ لَهُ : بَصَارَةٌ، ورؤية عَيْنِ الْبَاطِنِ يُقَالُ لَهُ : بَصِيرَةٌ. تُسَلَّبُ بَصِيرَةُ الْإِنْسَانِ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَبِعَمَى الْقَلْبِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٢٤٦]. قَالَ الْإِمَامُ النَّسْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّفْسِيرِ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ : أَيَّ فَمَا عَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنِ الْإِبْصَارِ، بَلْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْاِغْتِيَارِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَرْبَعُ أَعْيُنَ : عَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ وَعَيْنَانِ فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا أَبْصَرَ مَا فِي الْقَلْبِ وَعَمِيَ مَا فِي الرَّأْسِ لَمْ يَبْصُرْهُ، وَإِنْ أَبْصَرَ مَا فِي الرَّأْسِ وَعَمِيَ مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يُلْفَعُهُ. وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَعْيُنَ الْأَمْعَى لَا تُفِيدُ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ أَعْمَى قَالَ شَاعِرٌ :

دل یتا بھی کر خدا سے طلب آکھ کا نور دل کا نور نہیں

ومعناه :

اسأل الله تعالى القلب البصير إِذْ نُورُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنُورِ الْقَلْبِ
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ التَّرِيقُ الَّذِي يُبْصِرُ الْقُلُوبَ بَلْ يُخَيِّبُ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ يَتَنَبَّأُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]. قَالَ الْإِمَامُ النَّسْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : قِيلَ : هَذَا تُمَثِيلٌ لِأَثَرِ الذِّكْرِ فِي الْقُلُوبِ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُهَا كَمَا يُخَيِّبُ الْغَيْثُ الْأَرْضَ.

وَعَلَّمْنَا أَنَّ الْبَقَاعَ الَّتِي يَعْلَمُ فِيهَا ذِكْرُ اللَّهِ تَنْبِيْهَا لِلْقُلُوبِ الْعَاقِلَةِ يَغْنِي
إِنْصَاراً لِلْقُلُوبِ الْعُمِّيِّ، وَإِحْيَاءَ لِلْقُلُوبِ الْمَيِّتَةِ يُقَالُ لَهَا رَوَايَا. وَسَيُذَكَّرُ
عَلَى شَرْعِيَّةٍ إِنْشَائِهَا أَدْلَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

أدلة من القرآن المجيد:

الدليل الأول: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِي يُؤْتِي أَيْنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا
أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا كِنَزٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٣٦، ٣٧].
قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ إِدْرِيسُ الْكَانْدَهْلَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ
يُذَكِّرُ مُنَاسَبَةً هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا: الْآنَ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَهْلُ الْهَدَايَةِ؟
وَأَيْنَ يُوجَدُ هَذَا النُّورُ أَيْ نُورُ الْهَدَايَةِ؟ فَيَقُولُ: يُوْجَدُ النُّورُ فِي مَسَاجِدَ
وَرَوَايَا يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً... إِلَى أَنْ قَالَ... وَيُذَكَّرُ فِيهَا
اسْمُهُ، دَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الْأَذْكَارِ مِنَ التَّنْسِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّلَاوُعِ، وَالْمُرَادُ
بِهَذِهِ الْيُبُوتِ مَسَاجِدُ وَرَوَايَا.

[معارف القرآن للشَّيْخِ الْكَانْدَهْلَوِي ج ٥ ص ١٣٢]

الدليل الثاني: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي
مَسِيرِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] قَالَ الْمُفَسِّرُونَ
لِتَوْضِيحِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي مَسِيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]
هُمُ الَّذِينَ أُخْصِرَهُمُ الْجِهَادُ فَمَنْعَهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
لِاسْتِغَالِهِمْ بِهِ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ لِلْكَسْبِ، وَقِيلَ: هُمْ أَصْحَابُ الضَّقَةِ.

[تفسير النسفي ج ١ ص ١٩٠]

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ الْحَقَّانِي الدَّهْلَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أُخْصِرُوا فِي
مَسِيرِ اللَّهِ﴾ مَثَلُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَرَكُوا أَهْلَهُمْ وَتَزَوَّجُوا
الْحَضْرَةَ فِي خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَوَّرَتْ فُيُوضُهُمْ جَمِيعَ الْعَالَمِ بَعْدَهُ ﷺ.

[تفسير الحَقَّانِي ج ٦ ص ١٨]

وقال الشيخ مولانا محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله:
﴿الَّذِينَ أَحْمِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي الذين اشتغلوا في خدمة الدين
 وتخصيل العلوم الظاهرة والباطنة، يحفظون القرآن الكريم، ويتعلمون
 علم الدين ويجاهدون ضد الأعداء الظاهرة والباطنة، والمراد من الأغذاء
 الظاهرة الكفار، ومن الأعداء الباطنة النفس الأمارة بالسوء، فكما أن
 الجهاد والقتال للضرب على رقاب الكفار أفضل العبادات هكذا
 المجاهدات والرياضات أفضل العبادات. وزد في الحديث الشريف:
«والمجاهد من جاهد نفسه».

[معارف القرآن للكاندهلوي رحمه الله ج ١ ص ٤١٢]

وقال القاضي ثناء الله الفاني فتى رحمه الله: **﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ**
أَحْمِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ليلفقراء الذين حبسوا في سبيل الله أي
 اشتغلوا في تخصصيل العلوم الظاهرة والعلوم الباطنة أو في الجهاد.

[تفسير المظهر ج ٣ ص ٧٧]

وقال السيد أمير علي في تفسيره مواهب الرحمن نقلاً عن غرائب
 التفسير قوله: **﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْمِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يدخل فيهم
 الذين حبسوا أنفسهم في مجالس مراقبة الله تعالى لا يستطيعون ضرباً في
 الأرض، أي لا يتبعون من مجالس المراقبة لطلب الرزق والحوائج
 اللازمة من جهة أن يغلب عليهم الحال، ويعملونهم ذكر الله تعالى،
 ويستغفرون في مشاهدة مولاهم، ويظري عليهم الحب شدة والعشق كثرة
 فلا يستطيعون الجهد في كسب المعاش.

الذليل الثالث: قال الله عز وجل: **﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**
رَبَّهُم بِالْقَدْوَةِ وَالْقِسِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أمر الله تعالى في هذه الآية بمجالسة ومداواة فقراء دين الإسلام

وأهل الخُرقة لأبي أُكْسِينَة صُوفِيَّةٍ مثل أَصْحَابِ الصُّفَّةِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُشْتَغِلُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَالذَّعَاءِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَعِبَادَتَا الْمُخْلِصُونَ كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ. أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنِيْفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَعْضِ بَيْتِهِ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَاللَّيْلِ﴾ فَخَرَجَ يَلْتَمِسُهُمْ فَوَجَدَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِمْ: ثَائِرُ الرُّأْسِ وَجَافُ الْجِلْدِ، ذُو الثُّوبِ الْوَاحِدِ. فَلَمَّا رَأَاهُمْ جَلَسَ وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أَمْتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ».

[الدر المشهور ج ٥ ص ٣٨١]

وفي حديث آخر عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَعَكُمْ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتُ».

[الدر المشهور ج ٥ ص ٣٨٠]

يَعْنِي إِنَّكُمْ رُفَقَائِي فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَعَنْ ثَابِتٍ قَالَ: كَانَ سَلَمَانٌ فِي عَصَابَةٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَحَزَّ النَّبِيُّ ﷺ فَكَفَرُوا فَقَالَ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ» قُلْنَا: نَذْكُرُ اللَّهَ قَالَ: «فَإِنِّي رَأَيْتُ الرُّخْمَةَ تَنْزُلُ عَلَيْكُمْ أَحَبِّتُ أَنْ أَشَارِكَكُمْ فِيهَا».

[الدر المشهور ج ٥ ص ٣٨٢]

وَمِنْ مِثْلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ اسْتَنْبَطَتِ الصُّوفِيَّةُ ضَرُورَةَ إِتْقَانِ الزَّوَايَا، بِتَجَلُّسٍ فِيهَا السَّالِكُونَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ يَفْعَلُونَ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِ الصُّفَّةِ فَرَأَى فَقَرَهُمْ وَجَهَدَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ: «أُبَشِّرُوا يَا أَصْحَابَ الصُّفَّةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَمْتِي عَلَى التَّغَبُّ الَّذِي أَنْشَأَ عَلَيْهِ رَاحِيَةً يَمَا فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

[كشف المعجوب]

فهنيئاً للذين يعيشون في الزوايا ويُقيمون فيها كأصحابِ الصُفَّةِ
 الغاملين بآية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧١]
 وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ وَقَتْلَ الْإِنْتِهَىٰ نَسِيلاً﴾ [المزمل: ٢٨].

ولا شك أن لجمعية القلوب تدخلاً خاصاً وأثراً عظيماً في استبْلَغاتِ
 رَحْمَةِ اللَّهِ ورَأْفَتِهِ، ولذلك شُرِعَتِ الصَّلَاةُ بجماعةٍ ولأجله يوجه جميع
 الحُجَّاج إلى الله تعالى على هَيْئَةٍ واحدةٍ في عَرَصَةٍ واحدةٍ عَرَصَةُ عَرَفَاتٍ،
 ولذا أُمِرَ المشايخ ألا يَقْصُرُوا في المُجَالَسَةِ مع مثل هؤلاء الطالبيين.

قال الشيخ الكاندهلوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَسِيرُ
 نَفْسِكَ﴾ وجب على غَالِمِ الشريعة وشيخ الطريفة أن يَغْتَنِمَ مُجَالَسَةَ الْفُقَرَاءِ
 وَصُحْبَتَهُمْ وبأذن للجميع في الدخول في مجلسه.

[معارف القرآن للشيخ الكاندهلوي رحمه الله ج ٤ ص ٤١٢]

فثبت أن المَقْصُودَ من إنشاء الزوايا العَمَلُ عَلَى هذه الآية
 المذكورة. قَالَ قائل:

خوشامهدهر دهره و خانقاهي كدروسه بويستل وقال محمد

ومغناه:

حَبَّذَا الْمَسْجِدُ وَالْمَدْرَسَةُ وَالزَّوَايَةُ يَكُونُ فِيهَا قِيلَ وَقَالَ مُحَمَّد (رحمته الله عليه)
 (يَرْدَادُ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)) أدلة من الحديث.

الدليل الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا
 شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ
 عِنْدَهُ».

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه، الترغيب والترهيب ج

٢ ص ٤٠٦ المشكاة حديث رقم ٢٢٦١]

الدليل الثاني: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ».

[رواه أحمد والطبراني؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٣]

في هذا الحديث إشارة عظيمة للذين يُقِيمُونَ فِي حُدُودِ الزَّائِيَةِ.

الدليل الثالث: عَنْ أَبِي الذَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِيَبْعَثَنَّ اللَّهُ أَقْوَاماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ التَّوَرُّ عَلَى مَنَابِرِ اللَّوْلُو يَغِيْطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ». قَالَ: فَجِئْنَا أَغْرَابِيَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفُهُمْ. قَالَ: «هُمْ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى وَبِلَادِ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ».

[أخرجه الطبراني بإسناد حسن؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٦]

قال شيخ الحديث مولانا محمد زكريا رحمه الله آخِذاً مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: الْيَوْمَ يَطْعَنُ عَلَى الْمُقِيمِينَ فِي الزَّوَايا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَيَتَهَمُونَ بِكُلِّ تَهْمَةٍ يَلُومُهُمُ اللَّائِمُونَ حَقَّ اللَّوْمَةِ. قُولُوا فِيهِمُ الْيَوْمَ مَا تُرِيدُونَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَتِ الْعَيْنُ غَدَاً انْكَشَفَ الْغَطَاءُ عَمَّا كَسَبَ هَؤُلَاءِ الْجَالِسُونَ عَلَى الْخَصَائِدِ وَهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْعُرْفَاتِ.

فَسَوْفَ تَرَى إِذَا انْكَشَفَ الْغُبَارُ أَفْرَسَ تَحْتَ رَجُلِكَ أَمْ جَمْعًا

الدليل العقلي: إِنَّ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا تَعْلِيمٌ طَبَّ جِسْمَانِيٍّ وَلَا مَدْرَسَةٌ لَمْ يَوْجَدْ طَبِيبٌ وَلَا مُعَالِجٌ، فَتَمَلَأَ الدُّنْيَا بِالْأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ، هَكَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْتَبٌ لِلطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ تَمَلَأَ الدُّنْيَا مِنَ الْمُصَابِينَ بِالْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، فَالزَّوَايا مَسْتَشْفِيَّاتٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ يَحْصُلُ مِنْهَا الدَّوَاءُ لِلْقَلْبِ.

وَاعْلَمَ أَنَّ عِلَاجَ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ شِفَاءٌ لِجَمِيعِ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ . قَالَ شَاعِرٌ :

دل مروہ دل نہیں اسے زعمہ کردو بارہ کہ بھی ہے امتوں کے مرض کہن کا چارہ

و معناه :

الْقَلْبُ الْمَيْتُ لَيْسَ بِقَلْبٍ اجْعَلْهُ حَيًّا

إِذَا هُوَ الْعِلَاجُ الْوَحِيدُ لَأَمْرَاضِ الْأُمَّةِ الْقَدِيمَةِ الْمَزْمَنَةِ

نَعَمْ ، لَوْ أَنَّ شَخْصًا لَا يَرَى الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ مَرَضًا فَلَا تُخَاطِبُهُ ،

وَمِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ لَا تَنْفَعُهُ الطَّوَامِيرُ . فَاللَّهُ يَنْجِزِي خَيْرَ الْجَزَاءِ لِمِثْلِ

هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ يَبْقَوْنَ الْيَوْمَ فِي عَصْرِ الظُّلْمَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الْأَعْمَالِ

الْخَالِفَةِ الدَّقِيقَةِ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ ، وَارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ ،

وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ .

الباب الثامن

في المعتقدات معتقدات المريدين

١ - **مسألة:** تَنْقِيصُ رُتْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّيَمُّسُ عُيُوبِهِمْ، وَعَدَمُ رِعَايَةِ آدَابِهِمْ حَرَامٌ.

قائدة: الَّذِينَ يَلْتَحِقُونَ بِالْمَقْبُولِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِطَيِّ مَنَازِلِ الْقُرْبِ بِالتَّقْوَى وَالطَّهَارَةِ وَالذَّكْرِ وَالْعِبَادَةِ، يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْإِلَهِيِّينَ: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ إِرَاحَتُهُمْ إِرْضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَاؤُهُمْ كَأَنَّهُ إِيْذَاءُ اللَّهِ تَعَالَى.

يَسْتَدِلُّ عَلَى رِعَايَةِ آدَابِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُوَاجَهَتِهِمْ مِنْ الْإِحْتِرَامِ وَالْمَحَبَّةِ بِأَدْلَةٍ ثَلَاثَةٍ:

١ - قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ فِي شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَبْتَغِي اللَّهُ تَعَالَى يَدْخُلُ الْأَوْلِيَاءُ الْكَامِلُونَ فِي شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، بَلِ الْأَمَّاكُنُ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهَا أَقْدَامُهُمْ تَدْخُلُ فِي شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شُعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٥٧].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مَوْجُودَتَانِ مِنْذُ وُجِدَتْ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ عُدَّتَا مِنْ شُعَائِرِ اللَّهِ عِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِمَا قَدَمَانِ مُبَارَكَتَانِ لِأَمَةِ صَالِحَةٍ صَابِرَةٍ، هَاجَرُ رِضَى اللَّهِ عَنْهَا، فَعَلِمَ أَنَّ الْكَامِلِينَ الْمَقْبُولِينَ حَيْثُ وَصَلَتْ

أَفْذَاهُمْ تَعَدَّ هَذِهِ الْأَمَاكُنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلْيَعُدَّ هَؤُلَاءِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٢ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «إِنَّ الْغَبْدَ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوَافُلِ». ثُمَّ يَخْصُلُ لَهُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ مَا يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيَمَا رَوَاهُ عَنْهُ نَبِيُّهِ ﷺ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» فَإِكْرَامُ رِجَالٍ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِمْ هَذَا الْقَوْلَ، إِكْرَامُ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣ - الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَكْرُوهَةٌ وَإِذَاؤُهُمْ قَبِيحٌ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ».

[البخاري مع حاشية السندي ج ٤ ص ١٢٩]

فَإِذَا لَمْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ إِيْذَانُ اللَّهِ بِالْحَرْبِ، وَعِنْدَمَا يَغْضِبُ اللَّهُ تَسْقُطُ الْعِمَائِمُ مِنَ الرُّؤُوسِ وَتُزَالُ الْخُمُرُ وَيَذَلُّ الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ وَلَا يَتَّقِي أَهْلًا لِمُقَابَلَةِ النَّاسِ، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ غَضَبِكَ.

وَالْعُلَمَاءُ الْمُتَشَدِّدُونَ الْمُتَحَرِّفُونَ الَّذِينَ يَقْبِسُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فُرْصَةٌ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ وَسُوءِ اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا أَنَّ التَّوْحِيدَ بِدُونِ آدَبٍ وَالْأَدَبُ بِدُونِ تَوْحِيدٍ دَاخِلٌ فِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ، الْأَدَبُ مَعَ التَّوْحِيدِ دَلِيلُ كَمَالٍ.

٢ - مَسْأَلَةٌ: الْعُلُوُّ فِي تَعْظِيمِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا مَغْضَبَةٌ.

فَائِدَةٌ: بَعْضُ النَّاسِ يَغْلُوْنَ فِي آدَابِ الْمَشَائِخِ وَتَعْظِيمِهِمْ حَتَّى يَسْجُدُوا لَهُمْ تَعْظِيمًا، وَهَذَا حَرَامٌ دَاخِلٌ فِي الشَّرْكِ، غَلَبَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حُبُّ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ لِقَلْبَةِ الْحُبِّ، وَصَرَّخَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِفَبَاحْتِهِ وَشَنَاعَتِهِ، وَهَنَّاكَ أَنْاسُ يَتَّخِذُونَ الشَّيْخَ إِلَهًا صَغِيرًا

ويزعمون أنه يملك الشفع والضرة. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله يحفظك الله يحفظك الله يحفظك الله يحفظك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٤٥٩]

إيضاح شناعة الغلو في تعظيم أولياء الله تعالى بمثال:

رجل يقول لزوجته: اخدميني والدي وأكرميه، فمهما تخدم الزوج والذه رضي زوجها، وإن غلبت بالخدمة حتى تعامله كما تعامل الزوج لا يرضاه الزوج أبداً ولا يغفر لها هذا الذنب، وكذلك أمر الله تعالى باحترام أوليائه ولكن بقيود وحدود، وإن غلب أحد في التعظيم يستحق العذاب وسخط الله عليه.

٣ - مسألة: كل طريقة ردتها الشريعة فهي زلغلة وإلحاد.

عزل الطريقة عن الشريعة لا يجوز بل الحقيقة أن الطريقة خادم الشريعة. بعض المشايخ الجهال لكتمان أعمالهم القبيحة يقولون بالتفريق بين الشريعة والطريقة. قد ضلوا وأضلوا أصحابهم، وبغضهم لا يصلون ويقولون: صلاتكم خمسة أوقات وصلاتنا كل وقت. ذكر لسيد الطائفة الشيخ الجنيد البغدادي رحمه الله أن طائفة من الصوفية الجهال تقول: نحن وصلنا فلا حاجة لنا إلى الصلاة والصيام فقال الشيخ:

(صديقوا في الوصول ولكن إلى سقر)

٤ - مسألة: قد يعرف أولياء الله تعالى بعض الأمور بالكشف والإلهام خرقاً للعادة.

فائدة: لا يعني هذا أن أولياء الله تعالى يعلمون الغيب. لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَ مَقَالِيقِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

نعم، يخبر الله تعالى بأنباء الغيب ما شاء ومن شاء من أنبيائه وأوليائه، واعتقاد أن الشيخ يعلم كل شيء كل وقت ضلالة بينة. بلغ الجهل اليوم إلى منتهاه حتى يقول البعض: إن سنائير بيت شيخنا تعلم الغيب أيضاً. والحقيقة أن من رزق كشف القلوب لا تثبت له الحقيقة كل وقت متى أراد الله تعالى كشف الحجاب، على أن الكشف لا يجب أن يكون دائماً صحيحاً، بل يحتمل الخطأ.

حكاية: كان الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى يذهب مع الناس إلى عمارة، فلما أن بقي مسافة قليلة سأله رجل فقال: إن كشف الأولياء قد تتأخر عن وقتها، وأخبار الأنبياء لا تتأخر عن وقتها، فهل يخطئ كشف الأولياء؟ فسأل الشيخ: أي عمارة قدامنا؟ فقال: السج، فقال: أفيد شك أم هو يقيني؟ فقال السائل: لا، بل هو السج بلا ريب، فقال: كم يبعد السج من ههنا؟ فقال: قريب من مائة قدم، فقال: هل يمكن أن يكون بـذلك المائة مائة إلا خمسة أو مائة وخمسة؟ فقال: نعم. إنه ظن وليس بيقين، فقال: هكذا كشف الأولياء يحتمل الخطأ إذ هم يرونه من بعيد.

فلما انتهى إلى باب السج ولم يبق منه إلا قدامان، قال الشيخ: أي عمارة هذه؟ فقال السائل: هي السج. فقال: كم مسافة بينك وبين السج؟ فقال: قدامان. فقال: هل يمكن أن يكون بـذلك قدامين ثلاثة

أَقْدَامٍ أَوْ قَدَمٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ الشَّيْخُ: هَكَذَا حَالُ كَشْفِ الْأَنْبِيَاءِ
يَرَوْنَهُ حَقًّا وَيَرَوْنَهُ مِنْ قَرِيبٍ.

[الأرواح الثلاثة ص ٢٥٨]

٥ - مسألة: عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ اسْتِغْنَاتُهُمْ.

فائدة: عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ حَرَامٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَاعَلَرَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
[محمد: ١٩].

الإِشْرَاقُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ هُوَ الشُّرْكُ وَهُوَ جَرِيمَةٌ لَا
تَحْتَمِلُ الْعَقُوبَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

حكاية: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوْحِيدَ مِنْ امْرَأَةٍ
قَصَّارٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَكَيْفَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: كُنْتُ مُسْتَعْلَاً يَوْمًا فِي
الْعِبَادَةِ، إِذْ قَصَّارٌ وَامْرَأَتُهُ يَجُورَانِي يَخْتَصِمَانِي. كَانَ الْقَصَّارُ يَرِيدُ نِكَاحًا
ثَانِيًا وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَقُولُ: تَحَمَّلْتُ لِأَجْلِكَ الْعُسْرَ وَالشَّدَّةَ إِنْ وَجَدْتُ
الطَّعَامَ أَكَلْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ صَبَرْتُ. تَحَمَّلْتُ كُلَّ مَشَقَّةٍ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَمَّلَ
لِأَجْلِكَ مَشَقَّةَ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ تُشْرِكَ أَحَدًا فِي حُبِّي. قَالَ
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: فَتَنَظَّرْتُ فِي الْقُرْآنِ فِإِذَا هَذِهِ آيَةُ أَمَامِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

حكاية: كَانَ شَيْخٌ كَثِيرًا يَقُولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوْحِيدَ مِنْ امْرَأَةٍ فَقَالَ
رَجُلٌ: وَكَيْفَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: جَاءَتْ سَائِلَةٌ امْرَأَةً وَقَالَتْ: أَفْتِنِي أَنَّهُ لَا
يَجُوزُ لِرَجُلٍ إِتِكَاحُ امْرَأَةٍ أُخْرَى عَلَيَّ فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَفْتِي بِهَذَا وَقَدْ
أَبَاحَتْ لَهُ الشَّرِيعَةُ؟ فَمَا زِلْتُ تَصِرُ وَأَنَا أَرْفُضُ وَأَخِيرًا تَنَفَّسَتْ نَفْسًا بَارِدًا
وَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي! أَمْرُ الشَّرِيعَةِ حَاجِزٌ وَإِلَّا أَكْشِفُ لَكَ وَجْهِي فَتَرَى
حُسْنِي وَجَمَالِي فَتَضْطَرُّ أَنْ تُفْتِنِي أَنْ مَنْ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ مِثْلَ هَذِهِ حُسْنًا

وَجَمَالاً لَا يَبْتَاحُ لَهُ الزَّوْجَةُ الثَّانِيَةُ؟ ثُمَّ ذَهَبَتْ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَنِي التَّوْحِيدَ فَقُلْتُ: إِنَّ امْرَأَةً تَفْتَحِرُ هَكَذَا بِحُسْنِهَا الْفَانِي وَلَا تُبَيِّعُ أَنْ تَرَى مَعَهَا امْرَأَةً أُخْرَى، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، كَيْفَ يُحِبُّ أَنْ يُشْرِكَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا يَجُوزُ اسْتِعَانَةُ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا يُؤْخَذُ كُلُّ يَوْمٍ مِثَاقٌ ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] عدة مرات.

وَيُتَّبَعِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْلِنُوا بِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] و: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٦ - مسألة: السجود للقبور ووضع الجبهة لها والطواف بالقبور شرك.

فائدة: جعل الله سبحانه وتعالى للأطعام والطيور والسباع صوراً تخضع رؤوسها لأكل الغذاء، بينما وهب الله تعالى لأشرف المخلوقات الإنسان صورةً يبلغ غذاؤه إلى فمه بواسطة الأيدي لا يحتاج للأكل إلى وضع رأسه كي لا يخضع لغيره تعالى، جبهة خلقت لتخضع له فقط، ولذلك نهى عن سجوده لغير الله ولو تعظيماً في الشريعة المحمدية كما نهى عن سجوده للقبور ووضع الجبهة عليها، ولا يجوز ما يفعله بعض الناس من تقبيل جذران المزارات. وأدى شاعر هذا الكلام في بيت له ومعناه:

لِتَقْبِيلِكَ أَنْتَ تُقْبِلُ اسْوَدَّ الْحَجَرِ
وَأَلَا فَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي حَجَرِ

٧ - مسألة: الدعاء بتوسل الأولياء جائز.

فائدة: التوسل: أن يدعوا هكذا مثلاً: اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَتِي كَذَا بِحُرْمَةِ الْخَوَاجَةِ غُلَامٍ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُدْعَوْ هَكَذَا: اللَّهُمَّ

إِنَّ الْخَوَاجَةَ غُلَامٌ حَبِيبٌ عَبْدٌ لَكَ صَالِحٌ وَأَنَا أَحِبُّهُ فَبِرْكَةِ حَبِيبِي لَهُ أَقْضَى حَاجَتِي. وَمِثْلُ هَذَا التَّوَسُّلِ مُبَاحٌ جَائِزٌ وَالتَّعَبُّدُ حَرَامٌ غَيْرُ جَائِزٍ. وَحَالُ الْعَامَّةِ أَنَّهُمْ يَخْصِبُونَ الشُّرَكَ تَوَسُّلاً بَيْنَمَا الْعُلَمَاءُ الْمُتَشَدِّدُونَ يَرَوْنَ التَّوَسُّلَ شُرْكَاً. وَالْحَقِيقَةُ لَا تُذَرِّكُ إِلَّا بِصُخْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

٨ - **مسألة:** طَلَبُ الْحَاجَاتِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَخْيَاءُ كَانُوا أَوْ أَمْوَاتاً غَيْرُ جَائِزٍ.

فائدة: لَا يَجُوزُ طَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. بَغْضِ النَّاسِ يَقْصِدُونَ الْمَقَابِرَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ اللَّهَ، دُعَاؤُنَا مِنْكُمْ وَدُعَاؤُكُمْ مِنَ اللَّهِ. وَبَغْضِ الْجُهَالِ يَعْلَقُونَ فِي بُيُوتِهِمْ صُورَ الشُّيُوخِ يَسْلُمُونَهَا مُبَكِّرِينَ كُلَّ صَبَاحٍ وَيَقُولُونَ: يَا سَيِّدَنَا نَأْكُلُ مِمَّا تَرْزُقُونَا. وَبِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْجُهَالِ أَنْزَلَتْ: ﴿وَلِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٩ - **مسألة:** الْوَلِيُّ مَهْمَا تَقَدَّمَ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ نَبِيٍّ.

فائدة: الْوِلَايَةُ أَمْرٌ كُنُسِيٌّ أَيْ يُنْكَرُ حُصُولُهَا بِالْإِزْتِيَاظِ وَالْمُجَاهَدَةِ، بَيْنَمَا النُّبُوَّةُ وَهَيْئَةٌ وَعَطَاءٌ الْخَبِيرُ أَفْضَلُ مِنْ كُنُسِ نَفْسِهِ، فَالنُّبُوَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْوِلَايَةِ وَإِنْ كَانَتْ وَلَايَةُ النَّبِيِّ نَفْسَهُ.

١٠ - **مسألة:** لَا يَسْتَعْنِي نَبِيٌّ عَنْ أَوْامِرِ الشَّرْعِ سِوَى الْمَجْدُوبِ، فَإِنَّهُ يُسَلِّبُ عَقْلَهُ.

فائدة: لَا يَأْتِي فِي مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ مَقَامٌ يُعْفَى فِيهِ الْإِنْسَانُ عَنْ أَوْامِرِ الشَّرْعِ مَعَ بَقَاءِ عَقْلِهِ وَصُخْرِهِ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبِدْ رَبِّكَ حَقٌّ بِأَيْدِكَ الْقَبِيدُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وَيُقَالُ الْيَوْمَ: لِعَزْرِيَّانِ التَّنَصُّفِ نِصْفٌ وَلِيٍّ، وَلِعَزْرِيَّانِ الْكُلِّ وَلِيٌّ كَامِلٌ. بَغْضِ الْجُهَالِ يَعْلَمُونَ مُرِيدَهُمْ هَذَا الدَّرْسَ: نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مَذْنِبِينَ وَلَكِنْ سَوْفَ نُتَجَبَّحُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَسْتَدْلُونَ بِأَنَّ الْبَوْلَ وَإِنْ كَانَ نَجِساً وَلَكِنْ

يُطْفِئُ النَّارَ وَيُنْشِئُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مَقْبُوضِينَ بِالسَّلَامِ لِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ
فَكَيْفَ يَنْجُونَ الْآخَرِينَ وَكَيْفَ تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُمْ.

حكاية: كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَرَّةً
جَالِساً يُرَاقِبُ فِي الْغَابَةِ، إِذْ ظَهَرَ لَهُ ضَوْءٌ وَجَاءَهُ صَوْتُ: إِنَّا رَضِينَا
بِعِبَادَتِكَ وَغَفَرْنَا لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْآنَ أَنْ
تَعْمَلَ أَوْ لَمْ تَعْمَلْ. فَقَالَ الشَّيْخُ فِي قَلْبِهِ: إِنَّ هَذِهِ الْبَشَارَةُ لَمْ تَنْزِلْ لِمِثْلِ
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَيْفَ بُسِّرْتُ بِهَا؟ لَا شَكَّ أَنَّهُ شَيْطَانٌ
فَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا قَرَأَ الشَّيْطَانُ وَمِنْ طَعْنَةٍ أُخْرَى وَهُوَ يَقْرَأُ، قَالَ: يَا
عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيراً بِهَذِهِ الْمَكِيدَةِ امْتَنَعْتَ أَنْتَ
بِعِلْمِكَ، فَقَالَ مَبَاشَرَةً: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَقَالَ: يَا رَجِيمُ إِنِّي لَمْ
أَمْتَنِعْ بِسَبَبِ عِلْمِي بَلِ امْتَنَعْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ.

وَإِذَا يَسْتَعِيدُ مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ الْكَامِلُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رُفِعَ عَنْهُ قَيْدُ الشَّرِيعَةِ؟ أَمَّا الْمَجْدُوبُ فَهُوَ كَالْمَجْنُونِ رُفِعَ عَنْهُ
الْقَلَمُ، وَالشَّرِيعَةُ نَتَهَى الْجُمْهُورُ عَنْ اتِّبَاعِ الْمُجَانِبِينَ وَالْمَجَازِبِ، فَلْيَتَدَبَّرِ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُجَانِبِينَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْوَصُولَ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ
الْمَجَانِبِينَ، فَكَيْفَ يَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ سَائِلُ الْآخِرَةِ بِاتِّبَاعِ مَجْدُوبٍ؟
هَذَا خَيَالٌ وَمَحَالٌ وَجُنُونٌ.

١١ - مسألة: الْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْأَوْلِيَاءُ مَحْفُوظُونَ عَنْهَا.

١٢ - مسألة: الصُّحَابَةُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَمِ.

فائدة: هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُصْطَفَيْنِ. قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَعْلَاهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة: ١٨].

وكانت علامات هذه الجماعة موجودة في الثوراة والإنجيل . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وميزة هذه الجماعة أنه لما كان يقول رسول الله ﷺ : «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» . كانوا يقولون : «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» .

قال المنافقون عن هذه الجماعة سُفَهَاءُ في قولهم : ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الْأَنْفَهَاءُ ﴾ [البقرة : ١٣] فردَّ الله عليهم مَقُولَتَهُمْ حيث قال : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الْأَنْفَهَاءُ ﴾ [البقرة : ١٣] .

يقول الله تعالى في مدح هذه الجماعة : ﴿ يَسَّالُ صَدَقَاتُهَا عَنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ تَجَنَّبَهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .
هذه الجماعة قال فيهم أهل السنة والجماعة : الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عِدُولٌ .

[الإصابة ج ١ ص ٦]

يُشَرُّ أفراد هذه الجماعة بقوله عليه الصلاة والسلام : «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بَأْيَهُمْ أَفْضَلُتُمْ أَهْتَدَيْتُمْ» .

[مشكاة المصابيح ص ٥٥٤]

١٣ - مسألة : لِيُعْتَقَدَ فِي مُشَاجَرَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ كِلَا الْقَرِيقَتَيْنِ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَطَأِ اجْتِهَادِي .

فائدة : سُبِّلَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مُشَاجَرَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . فَقَالَ : عَصَمَ اللَّهُ أَيْدِيَنَا مِنَ التَّلَوُّثِ بِدِمَائِهِمْ . فَلِمَ نَأْذِي تَلَوُّثَ بِهَا أَلَيْسَتْ قَالَ السَّيِّدُ عَبْدُ السَّامِرِ نَجْمٌ دَامَتْ بَرَكَاتُهُمْ شِعْرًا مَعْنَاهُ :
الصَّحَابَةُ وَلَوْ أَفْتَحْتُمْ لَوْ سَعْدَاءَ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءَ وَأُولَئِكَ شُهَدَاءَ

وَلَيْكُنْ نُصَبَ عَيْنِيهِ كُلِّ حِينٍ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ مِنْ بَعْدِي غَرَضًا ، فَمَنْ

أَحَبُّهُمْ فُحْبِي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

أرواه الترمذي؛ مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٩٦

١٤ - مسألة: قَالَتِ الصُّوفِيَّةُ: بَاطِنُ الشَّيْخِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فائدة: لَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ الشَّيْخَ حَاضِرٌ وَنَاطِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُرِيدَ مَهْمَا يَكُنْ تَبَلَّغَهُ تَوَجُّهَاتٌ مِنْ شَيْخِهِ.

١٥ - مسألة: كَرَامَةُ وَلِيِّ لَا تَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ.

فائدة: الْكَرَامَةُ هِيَ صُدُورُ أَمْرِ فَوْقَ الْعَادَةِ وَلَهَا أَسْبَابٌ ثَلَاثَةٌ:

الأول: قَدْ تَصَدَّرَ الْكَرَامَاتُ مِنَ الْكَامِلِينَ حَتَّى يَزْدَادَ قُبُولُهُمْ لَدَى الْجُمْهُورِ.

والثاني: قَدْ يَكُونُ صُدُورُ الْكَرَامَةِ مِنَ الْوَلِيِّ لِتَقْصِيرٍ بِهِ حَتَّى يَتَنَبَّهَ الْأَوْلِيَاءُ الْمُخْتَلِفُونَ يَخْفُونَ كَرَامَاتِهِمْ كَمَا تَخْفِي الْعَامَّةُ عُيُوبَهُمْ.

والثالث: قَدْ تَصَدَّرَ الْكَرَامَاتُ مِنَ الثَّاقِفِينَ وَالتَّفْصِيلُ مَا يَلِي:

كُلُّ وَلِيٍّ يَحْتَاجُ لِعُبُورِ مَرَاتِبِ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ لِأَرْبَعِ خُطُوبٍ كُلُّ خُطُوةٍ تُسَمَّى سَيْرًا.

الخطوة الأولى: هِيَ السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَيُقَالُ لَهَا الْعُرُوجُ أَيْضًا وَيَسِيرُ الْوَلِيُّ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ إِلَى عَالَمِ الْأَمْرِ.

الخطوة الثانية: هِيَ السَّيْرُ فِي اللَّهِ وَيُقَالُ لَهَا الْقَنَاءُ أَيْضًا وَيَجِدُ الْوَلِيُّ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ السَّيْرَ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

الخطوة الثالثة: هِيَ السَّيْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُقَالُ لَهَا التَّزَوُّلُ أَيْضًا يَرْجِعُ فِيهَا السَّالِكُ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ.

الخطوة الرابعة: هِيَ السَّيْرُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَيُقَالُ لَهَا الْبَقَاءُ أَيْضًا

يُكْتَمَلُ فِيهَا قُرْبُ السَّالِكِ فَبِعَيْشٍ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ، فَظَاهِرُهُ مَعَ الْخَلْقِ وَبَاطِنُهُ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ السَّالِكَ مِنْهُمَا اكْتَمَلَ عُرْوَتُهُ اكْتَمَلَ نُزُولُهُ، وَمِنْهُمَا اكْتَمَلَ نُزُولُهُ تَكُونُ حَيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الْأَسْبَابِ حَتَّى يَضَعَبَ الْفَرْقُ بِنَظَرَةِ ظَاهِرَةٍ بَيْنَ الرَّجُلِ الْعَادِي وَبَيْنَ الْوَلِيِّ، فَالْكَامِلُونَ يَعْيشُونَ فِي الْعَوَامِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعْرِفَتَهُمْ، وَنَظَرًا لِأَنَّ نُزُولَ الْأَنْبِيَاءِ اكْتَمَلَ نُزُولِ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ الظَّاهِرَةُ سَاجِدَةً فِي بَادِيِ النَّظَرِ يَرَاهُمُ النَّاسُ وَيَقُولُونَ: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّهَامَ وَيَتَبَسَّى فِي الْأَسْبَابِ﴾ [الفرقان: ١٧].

وَحَيَاةُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كَانَتْ سَاجِدَةً جَدًّا حَتَّى يَغْسُرَ فِي بَغْضِ الْأَخْيَانِ إِذْ ذَاكَ الْحَقِيقَةِ، بَلْ كَانَ الْكَفَّارُ يَقُولُونَ: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤٦].

أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، وَجَعَلُوا يُصَافِحُونَ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَاءَ أَغْرَابِيٌّ مَرَّةً وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ حَتَّى سَأَلَ مَنْ مِنْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ الْكَامِلُونَ يَعِيشُونَ ظَاهِرًا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، فَيُعَامَلُونَ مُعَامَلَةَ الْأَسْبَابِ حَسَبَ أَضَلِّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي يَبِي *.

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ؛ جَامِعُ الْأَهْوَالِ ج ٤ ص ٤٧٦]

فَيَقْلُ صُدُورُ الْكَرَامَاتِ عَنْهُمْ. فَجَمَاعَةُ الصَّخَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ جَمَاعَةً اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ عُرْوَتُهُمْ كَامِلًا كَانَ نُزُولُهُمْ أَيْضًا كَامِلًا، فَكَانَ صُدُورُ الْكَرَامَاتِ مِنْهُمْ قَلِيلًا جَدًّا حَتَّى كَانَهَا لَا شَيْءَ بِالنَّسَبَةِ إِلَى كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى النُّقْصِ بَلْ يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ.

وَهُنَاكَ أَمْرٌ آخَرُ يَجِبُ مَلَاخَظَتُهُ، وَهُوَ أَنَّ أَيَّ سَالِكٍ مِنْهُمَا نَقَصَ

عُرُوجُهُ نَقَصَ نُرُوءُهُ، وَلَمَّا نَقَصَ نُرُوءُهُ فَقَدْ يَتَوَقَّفُ أَمْرُهُ بِمَا فَوْقَ عَالَمِ
الْأَسْبَابِ، فَيُضْطَرُّ عَنْ أُمُورٍ تُخَالِفُ الْأَسْبَابَ، وَتُسَمَّى كَرَامَاتٍ؛ فَهَذَا
يَدُلُّ عَلَى النُّقْصِ. وَفِيمَا يَلِي أَمْثَلَةٌ تَوْضِيحُ مَا قُلْنَا.

المثال الأول: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كَامِلِي أَوْلِيَاءِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ، وَحَامِلِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ، سَبَقَ أَهْلَ عَصْرِهِ، أَخَذَ الْحُرْقَةَ
مِنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَحِبَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ بَنْدَرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، كَانَ عُرُوجُهُ كَامِلًا وَنُرُوءُهُ أَيْضًا كَامِلًا، فَكَانَتْ
حَيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الْأَسْبَابِ. كَانَ حَبِيبُ الْعَجْمِيِّ مِنْ مُرِيدِي الْحَسَنِ
الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ ظَاهِرِي وَلَمْ يَكُنْ عُرُوجُهُ
كَامِلًا وَلَا نُرُوءُهُ، وَقَصَصُ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ مُخْتَاجَةٌ إِلَى التَّخْقِيقِ.

كَانَتْ الشَّرْطَةُ تَطْلُبُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُكَلِّفَ
بِوُضُوفَةٍ خُكُومِيَّةٍ، وَلَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ يُرَغَّبُ فِيهَا، فَهَرَبَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ حَتَّى اخْتَفَى فِي غُرْفَةِ حَبِيبِ الْعَجْمِيِّ وَقَالَ: يَا حَبِيبُ لَا تُخْبِرْ
أَحَدًا أَنِّي اخْتَفَيْتُ هُنَا، بَيْنَمَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ الشَّرْطَةُ فَسَأَلُوا حَبِيبًا
الْعَجْمِيَّ: هَلْ رَأَيْتَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، اخْتَفَى فِي هَذِهِ
الْحُجْرَةِ، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، فَخَافَ كَأَنَّ الْأَرْضَ
خَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ. دَخَلَتِ الشَّرْطَةُ فِي الْحُجْرَةِ فَأَخْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْ أَبْصَارِهِمْ، فَتَشَوَّاهُنَا وَهَنَّا فَلَمْ يَرَوْا الشَّيْخَ فَرَجَعُوا. فَخَرَجَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ وَقَالَ: يَا حَبِيبُ! لِمَ أَخْبَرْتَ الشَّرْطَةَ أَنِّي فِي الْحُجْرَةِ؟ فَقَالَ: يَا
شَيْخُ هَلْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ؟ يَبْدُو ظَاهِرًا أَنَّ رُتْبَةَ حَبِيبِ الْعَجْمِيِّ
عَالِيَةٌ، وَلَكِنْ كَانَ تَفَكَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ تَابِعًا لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَكَانَ
تَفَكَّرَ حَبِيبُ الْعَجْمِيِّ تَابِعًا لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ.

كَانَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَمُرُّ فِي الشَّارِعِ فَرَأَى قِبَاءَ حَبِيبِ
الْعَجْمِيِّ مَوْضُوعًا فَتَحَيَّرَ أَيْنَ ذَهَبَ حَبِيبٌ وَلِمَ تَرَكَ الْقِبَاءَ هَهُنَا؟ فَوَقَّفَ

يَنْتَظِرُهُ وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَجَعَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ، فَسَأَلَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَا حَبِيبُ فِي ذِمَّةٍ مَنْ تَرَكْتَ هَذَا الْقَبَاءَ؟ فَقَالَ الْحَبِيبُ: يَا سَيِّدِي تَرَكْتُهُ فِي ذِمَّةٍ مَنْ أَقَامَكَ لِحِفْظِهِ، فَظَهَرَ أَنْ تَفَكَّرَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ تَفَكُّرَ مَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ، وَتَفَكَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ تَفَكُّرَ مَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ.

كَانَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ يَرِيدُ مَرَّةً أَنْ يَغْبِرَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَدَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ جَالِساً فَسَأَلَهُ: لِمَاذَا تَجْلِسُ ههنا؟ فَقَالَ: أَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ لِأَغْبِرَ الْبَحْرَ فَأَخَذَا يَتَكَلَّمَانِ، وَبَعْدَ لَأَيٍّ قَالَ حَبِيبُ: تَفْضَّلْ يَا سَيِّدِي أَرِيدُ الذَّهَابَ، قَالَ هَذَا وَغَبَرَ الْبَحْرَ فَاشْتَبَا عَلَى الْمَاءِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ جَالِسٌ يَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ فَجَاءَتِ السَّفِينَةُ فَغَبَرَ الْبَحْرَ.

يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ أَنَّ حَبِيباً شَيْخُ كَامِلٍ عَالِي الْمَرْتَبَةِ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ خِلَافَهُ. كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ شَيْخاً وَالْحَبِيبُ الْعَجَمِيُّ مَبْدِئاً. كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ كَامِلاً وَكَانَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ نَاقِصاً، كَانَتْ حَيَاةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ مُوَافِقَةً لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَكَانَتْ حَيَاةُ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ مُوَافِقَةً لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ. كَانَتْ حَيَاةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَقْرَبَ وَأَشْبَهَ بِحَيَاةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ. وَلَمْ يَكُنْ لِحَيَاةِ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ كَمَالٌ مُشَابِهَةٌ بِحَيَاتِهِ ﷺ. فَثَبَّتَ أَنَّ صُدُورَ الْخَوَارِقِ لَا يَذُلُّ عَلَى الْكَمَالِ.

المثال الثاني: عَلِمَ شَيْخٌ بِوفاةِ ابْنِهِ فَلَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يُبَالِ وَقَالَ: اسْتَرَدَّ مَنْ كَانَ الْوَلَدُ أَمَانَتَهُ. بَيْنَمَا تُوفِّي ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ يَسْتَعِيرُ وَيَقُولُ: «الْقَلْبُ يَحْزَنُ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». كَانَتْ حَيَاةُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ الظَّاهِرَةِ مُوَافِقَةً لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَلِهَذَا كَانَ يَبْكِي، بَيْنَمَا كَانَ أَمْرُ الْوَلِيِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَمْرٌ غَايِرُ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَحْزَنْ بِفِرَاقِ الْوَلَدِ.

المثال الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا يَدْعُونَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: ٤٥) بِنَاءٍ عَلَيْهِ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ لِيَسْأَلُوا اللَّهَ الْجَنَّةَ وَيَقُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا

نَسَأَلْتُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ. بَيْنَمَا رَابِعَةُ الْبَصْرِيَّةُ حَمَلَتْ بِإِحْدَى يَدَيْهَا النَّارَ وَبِالْأُخْرَى الْمَاءَ وَخَرَجَتْ تَقُولُ: أَنَا أَخْرِقُ الْجَنَّةَ وَأُطْفِئُ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْلُصَ النَّاسُ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ طَمَعٌ فِي الْجَنَّةِ وَلَا خَوْفٌ مِنْ جَهَنَّمَ. فَقَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَانِبٍ، وَعَمَلُ رَابِعَةَ الْبَصْرِيَّةِ فِي جَانِبٍ آخَرَ. وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ الْمَجْدُودُ فِي مَكْتُوبَاتِهِ: لَمْ يَكُنْ نَزُولُ رَابِعَةَ الْبَصْرِيَّةِ كَامِلًا فَكَانَ فِكْرُهَا مُوَافِقًا لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ. رَابِعَةُ الْمِسْكِينَةُ إِنْ أَطْلَعَتْ عَلَى هَذَا السِّرِّ لَمْ تَخْرُجْ قَابِضَةً بِإِحْدَى يَدَيْهَا النَّارَ وَبِالْأُخْرَى الْمَاءَ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَزُولُهُ كَامِلًا، فَيَكْثُرُ مِنْهُمْ ضُذُورُ الْخَوَارِقِ، وَنَتِيجَةُ هَذَا التَّقْصِيلِ أَنْ إِظْهَارَ الْكَرَامَاتِ قَدْ يَكُونُ لِيَوْضَعِ قُبُولِ الْكَامِلِينَ فِي الْعَامَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْعُقُوبَةِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ يَصْدُرُ لِنَاقِصِ النِّزُولِ، وَلَمَّا كَانَ الْفُرْقُ صَعْبًا جُعِلَ الْأَصْلُ أَنَّ كَرَامَاتِ وَلِيِّ لَا تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ.

١٦ - مسألة: الاستقامة فوق الكرامة.

فائدة: الاستقامة أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ كُلَّ عَمَلٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ. وَالْإِسْتِقَامَةُ هِيَ أَكْبَرُ كَرَامَةٍ. مَكَثَ رَجُلٌ فِي صُحْبَةِ جُنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، قَالَ يَوْمًا: يَا سَيِّدِي! ائْذَنْ لِي أَزْجِعَ إِلَى شَيْخٍ آخَرَ، فَقَالَ: وَلِمَاذَا؟ قَالَ الرَّجُلُ: مَكَثْتُ فِي خِدْمَتِكُمْ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ وَلَمْ أَشَاهِدْ أَيَّ كَرَامَةٍ. فَقَالَ الشَّيْخُ: وَهَلْ شَاهَدْتَ عَمَلًا يُخَالِفُ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: وَأَيَّ كَرَامَةٍ فَوْقَ هَذَا؟

أَخْبَرَ الشَّيْخَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ بِشَيْخِ صَاحِبِ كَرَامَاتٍ فَذَهَبَ لِبِقَائِهِ، فَرَأَى مِنْ بَعِيدٍ أَنَّهُ اخْتِاجَ إِلَى الْقَاءِ الْبِصَاقِ فَتَنَقَّلَ إِلَى الْقِبْلَةِ فَرَجَعَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ مِنْ غَيْرِ تَسْلِيمٍ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ عَلَى مُسْتَحَبِّ

كَيْفَ يَكُونُ مِنْ كِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ؟ فَعَلَامَةُ كَوْنِ الرَّجُلِ وَلِيًّا أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ أَحْوَالِهِ مُوَافِقَةً لِلسُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ.

١٧ - مسألة: رُفِعَ بِنَاءُ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ فَوْقَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَبِنَاءُ السَّقْفِ عَلَيْهَا لَا يَجُوزُ.

فائدة: لَا يَجُوزُ الْبِنَاءُ عَلَى الْقُبُورِ كَمَا هُوَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، فَبِنَاءُ السَّقْفِ وَرُفْعُ بِنَائِهِ فَوْقَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ لَا يَجُوزُ.

١٨ - مسألة: يَظْهَرُ مِنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ التَّصَرُّفَاتُ وَالْحَوَارِقُ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ. لَمْ يَنْقَطِعْ فَيُوضُّ أَهْلُ اللَّهِ بَعْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ لَا تَزَالُ السَّلْسَلَةُ الرُّوحَانِيَّةُ فَلَا يَتَعَدَّى ظُهُورُ التَّصَرُّفَاتِ وَالْحَوَارِقِ مِنْ بَعْضِ الْكَامِلِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ.

١٩ - مسألة: إِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَضِيَ بِأَمْرٍ يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ فَلَا عِبْرَةَ بِهَذَا الْمَنَامِ.

فائدة: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي». قَالَ الْمُجَدِّدُ وَهُوَ يَشْرَحُ هَذَا الْحَدِيثَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فَلَا يَتِمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِصُورَتِهِ الَّتِي هُوَ مَوْجُودٌ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَلَكِنْ يُمَكِّنُ أَنْ يُرِيَهُ الشَّيْطَانُ صُورَةً أُخْرَى وَيُوسَّسُ فِي الْقَلْبِ أَنَّكَ تَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَنْ يَحَقِّقْ أَنَّهُ زَارَ تِلْكَ الصُّورَةَ الْحَقِيقِيَّةَ أَوْ غَيْرَهَا؟ فَالْفَارِقُ لَنَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ هُوَ الشَّرِيعَةُ وَالسُّنَّةُ، وَإِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ وَلِيًّا يَأْمُرُ بِمَا يَخَالِفُ الشَّرْعَ فَلَا حِجَّةَ فِي ذَلِكَ. بَعْضُ النَّاسِ يَرَوْنَ فِي الْمَنَامِ أَنَّ أَحَدًا مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ يَأْمُرُهُ بِشَيْءٍ يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ فَيَقْعُونَ فِي أُمُورٍ ضَدَّ الشَّرِيعَةِ. اسْتَغْفِرُ اللَّهُ هَذَا جَهْلُ كُلِّهِ أَنْ يُجْعَلَ الدِّينُ الْقَوِيمُ أَدْوَنَ وَأَهْوَنَ مِنَ الرُّوْيَا.

٢٠ - مسألة: أَعْمَالٌ لَا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُهَا بِالْقُوَى الظَّاهِرِيَّةِ لَا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُهَا بِالْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ.

فائدة: العمل الذي لم تُبْخُه الشريعة لا يجوز بالقوى الظاهرة ولا بالقوى الباطنة. مثال ذلك أن يلقي شخص توجهاته على شخص ويستخره لأمر مخالفة للشريعة، فهذا لا يجوز، وكأن يكون له عداوة لشخص فلا يجوز أن يجتنه بالتصرف الباطني.

٢١ - مسألة: إن اتفق صدور معصية من ولي لم يخل بولايته وكرامته إذا لم يصير عليها.

فائدة: صدور معصية اتفاقاً مقتضى البسرية، ولكن الكاملين يتوبون بعد مثل هذه المعصية توبة يتألون أجراً لا يتأله العامة على الأعمال الصالحة، صدور المعصية من الأولياء ممكن، ولكن لا يصيرون على الذنوب لأنه دأب الفساق.

٢٢ - مسألة: ولذا الولي بدون الأعمال لا يصير شيخاً.

فائدة: كما لا يصير ولذا الطبيب طبيباً ما لم يتعلم فن الطب، كذلك لا يصير ولذا الولي ولياً ما لم يحصل على مقامات الولاية بالتقوى، والتزكية مناط الولاية لدى الجهال العمامة والشجرة، فقد أصبح الفساق الفجار ذوى الأعمال السيئة مرشدي مئات الوف من الناس في الروحانية من أجل آبائهم وأجدادهم، مع أنهم لم يعرفوا راء الروحانية وهؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿فَلَفَّ مِنْ بَدِينِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ﴾ [مريم: ٥٩].

إنما عملهم إضاعة الثيران في الأغراس السنوية أو جمع الجموع وتوزيع الحلويات لا يتبعون الشريعة ولا يجذون توفيقاً للتبليغ إلى غيره، فهذا ضلال كله كما قال قائل:

وجدوا في الجسرات مئصب الإزشاد
وقعت في يد الغراب أغشاش العقاب

٢٣ - مسألة: الإِخْدَاتُ فِي الطَّرِيقَةِ كَالِإِخْدَاتِ فِي الشَّرِيعَةِ فِي الْإِثْمِ.

فائدة: بِدْعَةُ الطَّرِيقَةِ كِبِدْعَةِ الشَّرِيعَةِ إِنْ رَمَحَ هَذَا الْقَلْبُ تَيْسَرَ الْوَقَايَةِ مِنْ بَدْعَاتِ الْمَشَايخِ الْجُهَّالِ.

٢٤ - مسألة: يُعْطَى الْمُقَرَّبُونَ ثَوَابَ الْعِبَادَاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْأَبْرَارِ.

فائدة: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُسَبِّحُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٨

ص ٥٥٢]

فَثَبَّتْ أَنَّ الْوَلِيَّ مَهْمَا تَقَدَّمَ فِي الْقُرْبِ يَزْدَادُ أَجْرُ عِبَادَتِهِ، وَأَيْضًا يُوَاقِدُونَ فَوْقَ مَا يُوَاقِدُ الْأَبْرَارُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

الباب التاسع

دروس التصوف

زينة وجمال الشريعة المحمدية :

كَانَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى ﷺ حَاتَمَ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ. وَالْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ - عَلَى نَبِيِّهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - آخِرُ أُمَمٍ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ آخِرُ دِينٍ فِي الدُّنْيَا. أَنْزَلَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ - عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِيُعْمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَذَكَرَ أَهَمِّيَّةَ بَعْضِ الْأَحْكَامِ وَعَيْنَ وَسَائِلِهَا.

وَبَعْضُ الْأَحْكَامِ ذَكَرَ أَهَمِّيَّتَهَا وَلَمْ يَحْذَرْ وَسَائِلَهَا وَذَرَائِعَهَا. وَالْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ تَحْدِيدِ الذَّرَائِعِ وَالْوَسَائِلِ أَنْ يَنْقُضَ هَذَا الدِّينُ حَيًّا يُمَكِّنُ الْعَمَلَ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ لَا يَقَالَ: إِنَّ هَذَا الدِّينَ خَامِدٌ غَيْرُ صَالِحٍ لِمُقْتَضَيَاتِ الْأَوْضَاعِ الْمُبْدَلَةِ، وَأَنْ لَا يُقَيَّدَ فِي حُدُودِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَعَابِدِ كَالْمَسِيحِيَّةِ الْغَيْرِ الْمُمَكِّنِ الْعَمَلَ بِهَا، فَتُعَيَّنُ الْمَقَاصِدُ وَالتَّوَسُّعُ فِي تَخْيِيرِ الْوَسَائِلِ يَدُلُّ عَلَى جَمَالِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

ذِكْرُ بَعْضِ الْأَمَثِلَةِ :

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِعْدَادِ مَا يُسْتَطَاعُ مِنْ قُوَّةٍ وَأَشِيرَ بِذِكْرِ رِبَاطِ الْخَيْلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ آلَاتُ الْجِهَادِ، وَلَمْ يُعَيَّنْ تَفْصِيْلَاتُ آخَرٍ، بَلْ قَدْ صَرَّحَ

بالمقصود بأن تَجْمَعُوا مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَرْهَبُ بِهَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ - يُؤَيِّدُ الْعَقْلَ السَّلِيمَ أَنَّ الْعَدُوَّ لَا يَرْهَبُ الْيَوْمَ بِاِقْتِنَاءِ الْخَيْلِ وَيَجْمَعُ السِّبُوفِ وَالسِّنَانِ وَالزَّمَاخِ، بَلْ لَا بَدَّ مِنْ إِعْدَادِ الطَّائِرَاتِ وَالْبَوَاحِرِ وَالصُّوَارِيخِ وَالْقَنَابِلِ الذَّرِيَّةِ، فَثُبَّتْ أَنَّ الشَّرْعَ عَيْنُ الْمَقْصُودِ ههنا، وَأَرْخَى الْعَيْنَانِ لاختيار الوسائلِ والذرائعِ حسب متطلبات وقت الحاجة.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: ٩].

فَحَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَإِسَاعَتْهُ قَرِيضَةً مُحْكَمَةً وَهَامَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَبَيِّنْ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ اخْتَارُوا طَرِيقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى وَقَعَتْ حَرْبُ يَمَامَةَ فِي عَهْدِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَاسْتَشْهَدَ أَرْبَعُمِائَةٍ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الصُّحَابَةِ مِنْ حِفَاطِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَبَدَأَ لِعَمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَحْفُوظًا فِي الصُّحُوفِ كَمَا هُوَ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، فَقَدَّمَ أَمَامَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اقْتِرَاحَ إِعْدَادِ نَسْخَةٍ رَسْمِيَّةٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَتَأَمَّلَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ فِي قَبُولِ هَذَا الْاِقْتِرَاحِ، وَقَالَ: كَيْفَ نَفْعُلْ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَلَمْ يَزَلْ عَمَرُ يَرَاغِبُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلذَّكَاءِ، فَأَقَامَ لَجْنَةً تَحْتَ إِشْرَافِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَمَعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَلَى الْأَخْجَارِ وَالْجُلُودِ وَالثِّيَابِ وَأَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ.

قال ابن كثير: قال زيد: قال أبو بكر: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ، لَا نَتَهَمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ إِلَى أَنْ قَالَ... فَتَتَّبِعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الْعَسَبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ.

[فضائل القرآن مع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٣١]

فَتَمَّ أَمْرُ جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ

عنه، وتقدم عثمان رضي الله عنه خطوة فاعده أربع صور لذلك المصحف وأرسلها إلى بلاد مختلفة. يوجد منها مخطوطة في تاشقند، وأخرى في متحف إستانبول إلى اليوم، وأيضاً لم يكن يرسم في المصحف الضمة والفتحة والكسرة والتشديد وأمثالها في عهد الصحابة، وكانت لا تُكتب الإعجام على الياء والتاء وهي اليوم لازمة. فعلم أنه عين هدف حفظ القرآن ونشره وأبسط رعاية متطلبات العصر لاختيار الوسائل والذرائع، وفوض هذا الأمر إلى رأي العلماء من هذه الأمة.

المثال الثالث: قال النبي ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**.

شرح السنة ج ١ ص ٢٩٠

ذكر في الحديث الشريف ضرورة تحصيل العلم الديني، ولكن كيف يحصل ولم يذكر لها تفصيلات. دون العلماء المحدثون فن أسماء الرجال وجمعوا متون الأحاديث بأسانيدها. ما كان للصحابة علم بأسماء الصحاح الستة لأنه لم يكن لها وجود في ذلك الوقت ولا يمكن اليوم تعلم الأحاديث بدونها. رتب العلماء اليوم منهجاً خاصاً (وهو المسمى في ديارنا بالدرس النظامي) لتحصيل العلم مراعاة للأوضاع اليومية، فلا بد لكل من يريد تعلم القرآن والحديث من أخذ فنون الصرف والنحو، فتبين أنه قد أجز بأهمية تحصيل العلم، ولكن وضع عبء اختيار الوسائل والذرائع على أكتاف علماء الأمة، والحمد لله، إن علماء هذه الأمة أدوا هذه الفريضة حتى أدائها.

جئت إلى المقصود:

تبين من هذه الأمثلة كالنهار المضي أن الشريعة المطهرة بينت أهمية بغض الأحكام بدون تعيين أسبابها ووسائلها، وهو دليل كمال

الشريعة المضطغوية. وننظر الآن إلى طريقة الذكر والسلوك من هذا الجانب. قال رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَّحَتْ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ إِلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ».

[صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٢٠ طبع بيروت]

فَعَلِمَ أَنْ مَبْنَى صَلَاحِ الْإِنْسَانِ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلِهَذَا لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَشَكْلِهِ، وَلَا إِلَى مَالِهِ وَتُرُوتِهِ، بَلْ إِلَى قَلْبِهِ وَأَعْمَالِهِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

[شرح السُّنَّة ج ١٤ ص ٣٤١]

وَيَنْشَأُ ههنا سُؤَالٌ أَنَّهُ كَيْفَ يُمَكِّنُ تَحْصِيلُ صِفَاتِ الْقَلْبِ وَسَلَامَتِهِ؟ فَيَبِينُ طَرِيقَهُ النَّبِيُّ ﷺ. عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ صِفَاتٌ وَإِنْ صِفَاتُ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ».

[رواه البيهقي: الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ تَحْصِيلُ قَلْبٍ سَلِيمٍ، فَكَانَهُ حَدُّ الْمَقْصُودِ وَأَرْشَدٌ إِلَى الْوَسَائِلِ وَبِأَنَّهَا تَحْصُلُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَقَطْ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا تَفْصِيْلَاتٍ. إِنَّ أَيْ ذِكْرٍ يَنْفَعُ لِلخَلَاصِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحِزْصِ وَالْبُخْلِ وَالْعَجَبِ وَالْحَسَدِ فَذَكَرَ بِالْإِجْمَالِ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ شِفَاءُ الْقُلُوبِ وَوَضِيعُ عِبَادَةِ التَّفْصِيْلَاتِ عَلَى كَوَاهِلِ أَهْلِ الذِّكْرِ مِنَ الْأُمَمَةِ حَتَّى يَتَعَلَّمُوا الذِّكْرَ مَرَاعِينَ لَطَائِعِ الطَّالِبِينَ وَمُقْتَضِيَاتِ كَيْفِيَّاتِهِمْ، فَالْمَشَائِخُ الْعِظَامُ يَصِفُونَ لِوَاحِدِ صِفَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى نَظَرًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ أَنْتَ رَبَّنَا﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وَيُلْقُونَ لِآخَرِ بِإِكْتِنَارِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ نَظَرًا لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَيَعْلَمُونَ شَخْصًا الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ، أَغْنَى الْمِرَاقِبَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ وَيَصِفُونَ لِآخَرِ الذِّكْرَ اللَّسَانِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فَتُبَيَّنَتْ

أَنْ أَعْمَالَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَأَشْغَالَهُمْ أَيُّ دُرُوسِ التَّصَوُّفِ كَمَا هِجَ الدُّرُسِ
النِّظَامِي ذَرِيعَةً وَوَسِيلَةً لِنَيْلِ الْمَقْصِدِ . وَفِيمَا يَلِي تَأْيِيدُ مَا قُلْنَا بِذِكْرِ بَعْضِ
نُصُوصِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

نصوص من كلام السلف الصالحين :

قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا رَشِيدُ أَحْمَدَ الْجَنْجُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
مَكْتُوبٍ لَهُ إِلَى سَالِكٍ : الْمَقْصُودُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْغَالِ وَالْمَطْلُوبُ مِنْ جَمِيعِ
الْمُرَاقِبَاتِ وَمُتْلَهَاها ، هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بِلا كَيْفٍ الَّذِي يَسِّرُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى لَكَ . كَانَتْ نِسْبَةُ الصَّخَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هِيَ هَذِهِ الْمَحْضُورُ .

[مكاتب رشيدية ص ٤٥]

وَقَالَ الشَّيْخُ الشَّاهُ إِسْمَاعِيلُ الشَّهِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
إِيضَاحُ الْحَقِّ الصَّرِيحِ : أَشْغَالُ الصُّوفِيَّةِ نَافِعَةٌ كَالدَّوَاءِ وَالْعِلَاجِ فَيَسْتَفِيدُ بِهَا
وَقْتَ الْحَاجَةِ ثُمَّ يَسْتَغْلُ فِي أَعْمَالِهِ .

[إيضاح الحق الصريح ص ٧٨]

قَالَ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مَجْدِدُ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
مَكْتُوباتِهِ : لَيْسَ الْهَدَفُ مِنْ قَطْعِ مَنَازِلِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ سِوَى نَيْلِ
الْإِخْلَاصِ ، وَبِالْإِخْلَاصِ يَحْصُلُ مَقَامُ الرِّضَا . يَطْلُنُ الْقَاصِرُونَ الْأَحْوَالِ
وَالْمَوَاجِدُ مَقْصُودًا وَالْمُشَاهِدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ مَطْلُوبًا ، وَهَؤُلَاءِ مَخْرُومُونَ
مِنْ كَمَالَاتِ الشَّرِيعَةِ . لَا شَكَّ أَنَّ حُصُولَ مَقَامِ الْإِخْلَاصِ وَالْوُضُوءِ إِلَى
مَقَامِ الرِّضَا يَكُونُ بَعْدَ قَطْعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِدِ ، فَمُرْتَبَتُهَا كَمُسَاعَدَةِ
الْمَقْصُودِ الْحَقِيقِيِّ .

[المكتوبات ج ١ مكتوب ثالث وسادس]

فَتَبَيَّنَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ أَعْمَالَ وَأَشْغَالَ الْمَشَائِخِ وَوَسِيلَةً وَذَرِيعَةً لِنَيْلِ
صَفَاءِ الْقَلْبِ ، وَلِذَلِكَ يَعْدِلُهَا الْمَشَائِخُ نَظَرًا لِمُقْتَضِيَّاتِ الْوَقْتِ وَالزَّمَنِ .

وقال الشَّاهُ إسماعيلُ الشَّهيدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: تَخْتَلِفُ أَشْغَالُ كُلِّ قَرْنٍ وَوَقْتٍ، وَلِهَذَا لَا يَزَالُ مُحَقِّقُو كُلِّ طَرِيقٍ يَحَاوِلُونَ لِتَجْدِيدِ الْأَشْغَالِ.

[صراط مستقيم ص ٧]

فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ نَيْلُ صَفَاءِ الْقَلْبِ بِدُونِ هَذِهِ الْأَوْرَادِ. وَقَالَ الشَّاهُ وَلِيُّ اللهِ الْمُحَدَّثِ الدَّهْلَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ الصُّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَنَالُونَ النِّسْبَةَ بِطَرِيقِ أُخْرَى أَيْضاً، كَالْمُوَاطَّيَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحَاتِ بِشُرُوطِهَا وَالْمُذَاوِقَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَاسْتِحْضَارِ الثَّوَابِ وَالْعَذَابِ، إِذْ يَحْصُلُ بِهِذِهِ الْأُمُورِ الْانْقِطَاعُ عَنِ اللَّذَاتِ الْمَادِيَّةِ.

[القول الجميل]

أَقُولُ: وَإِنْ حَصَلَ لِأَحَدٍ صَفَاءُ الْقَلْبِ وَكَيْفِيَّةٌ: «كَأَنَّكَ تَرَاهُ» بِطَرِيقِ آخَرٍ سِوَى الْأَعْمَالِ وَالْأَشْغَالِ الْمَعْرُوفَةِ، فَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ. هَؤُلَاءِ مُسْتَحَقُّونَ لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّهْنِئَةِ وَإِنْ لَمْ تُوجَدْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْقَلْبِيَّةُ وَالِاسْتِحْضَارُ، وَيَصْرِفُهُ الْوَسَاوِسُ الدُّنْيَوِيَّةُ إِلَيْهَا فِي الصَّلَاةِ، وَلَا تَنْتَهِي بِالطَّرْدِ، وَتَرْتَفِعُ الْأَبْصَارُ تَلْقَائِيًّا إِلَى غَيْرِ الْمُحَرَّمِ وَهُوَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَتَهْجُمُ عَلَى الْقَلْبِ الْوَسَاوِسُ الشَّيْطَانِيَّةُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَيَنْشَأُ فِي النَّفْسِ الشَّرُّ بِمَذْحِ النَّاسِ وَيَدْلِي بِبَيَانٍ كَذِبٍ لِإِخْفَاءِ مَعَاصِيهِ وَشَرِّ ذُنُوبِهِ مِنَ النَّاسِ؛ فَهَذِهِ كُلُّهَا آهَاتُ بَيْنَاتٍ لِلْأَمْرَاضِ الْبَاطِنَةِ الْمُهْلِكَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ عِلَاجُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ تَحْتَ رِعَايَةِ الْمَشَائِخِ الْعِظَامِ، وَلَا مَقَرَّ مِنْهُ وَيُنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقَلْبَ السَّلِيمَ هُوَ سَبَبُ النَّجَاةِ يَوْمَ الْحَشْرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ دُرُوسِ التَّصَوُّفِ نَيْلُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَالْقَلْبِ الْمُنِيبِ، حَتَّى تَكُونَ حَالَةُ السَّالِكِ الظَّاهِرِيَّةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ وَسِيرَتُهُ وَأَخْلَاقُهُ، أَيْ اسْتِخْدَامُ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ مُطَابَقاً تَمَاماً بِ: (تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ).

قال الإمام الغزالي في كتابه المُقَدِّد من الضلال: (عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ الصُوفِيَّةَ هُمُ السَّالِكُونَ لَطَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً، وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السَّيْرِ، وَطَرِيقُهُمْ أَصَوَّبُ الطَّرِيقِ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ، بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ الْعُقَلَاءِ وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَيَغَيَّرُوا شَيْئًا مِنْ سِيرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَيَبْدُلُوهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ جَمِيعَ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ مَقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ وَلَيْسَ وَرَاءَ نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ.

[المقَدِّد من الضلال ص ٤٩ - ٥٠]

دَلَالُ الْأَخْرَابِ وَالْوِظَائِفِ :

رَتَّبَ مَشَايِخُ الطَّرِيقَةِ الْأَوْرَادَ وَالْوِظَائِفَ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ هِيَ لِلْمُبْتَدِئِ كَدَوَاءٌ، وَلِلْمُتَتَبِعِ كَغِذَاءٍ، لَوْ دَاوَمَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا عِدَّةَ أَيَّامٍ تَحْتَ رِعَايَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ يَجِدُ فِي حَيَاتِهِ انْقِلَابًا إِسْلَامِيًّا وَثَوْرَةً إِمَامِيَّةً وَفُرَاقِيَّةً. وَتَدْخُلُ الْمَحَبَّةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي عَضْوِ عَضْوٍ، وَيَتَغَيَّرُ رُؤْيَاهُ عَيْنٍ وَنُطْقُ لِسَانٍ وَمَشْيُ قَدَمٍ، وَيَشْعُرُ السَّالِكُ كَأَنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ غِلَافٌ نَفَاقٍ وَقَدْ زَالَ، وَبَرَزَ مِنَ الدَّاخِلِ إِنْسَانٌ صَادِقٌ وَخَالِصٌ. كَمَا أَنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ كَامِنَةً فِي النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

[الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦]

وَرَوَى الْبِيهَقِيُّ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَبِي مُنْجِدٍ فِي طَبِئَتِهِ.

[دلائل النبوة ج ١ ص ٣٨٩]

وَلَكِنْ اخْتِيجَ لِإِظْهَارِهِ فِي الْعَالَمِ الظَّاهِرِ إِلَى الْمُخْلُوعِ وَالذَّخْرِ. (وَحَيَاةُ

غار جزاء ذليل واضح على ذلك). كذلك الولاية تكون كامة في الولي ولكن تحتاج للظهور إلى الثقوى والطهارة والمواظبة على الأوزاد. وقد كشف عن هذا السر الإمام الرباني مجدد الألف الثاني بقوله: (كل إنسان ولي بالقوة والحاجة إلى الأعمال ليكون ولياً بالفعل، فكان كل إنسان وضع فيه استعداد لو استخذه لأصبح ولياً).

أنتد الشاء بيك خليفة الشاء أبي المعالي آياتاً ومعناها: (ليس أحد جائعاً ساعياً بل في حقيقة كل إنسان جواهر ولآل ولا يعرفون فتح عقده، فيمشون مفلسين فقراء). كالبدن يكون فيه استعداد أن يكون شجرة وإن تيسر لذلك البدن التربى تحت رعاية بستاني في أرض خصبة يصير شجرة مثمرة، كذلك السالك لو اشتغل بالأخلاق الحسنة لأوراد تحت ظل شيخ كامل أياماً، تنفتح زهور الأخلاق الحسنة في شخصيته وتصبح شجرة رجاية مثمرة. وهذه الوصفة جزيها ملايين الناس في الدنيا واستفادوا بها. كما أن صيدلياً يقول: إن تأكلوا السكر تجدوه خلواً، كذلك الشيخ الكامل عندما يلقن بالأوزاد يكون على ثقة من أنه يستفيد السالك يقيناً، ويكون تحت قدميه صخر. نعم لو وقع شخص في يد شيخ ناقص، أو يكون الشيخ كاملاً، ولكن لا يواظب السالك على الأوزاد، فهو خارج عن المباحث، وهو مثل مريض يأخذ الوصفة من طبيب ذائع الصيت، ويمشي والوصفة في جيبه ولا يتناولها ويقول بعد أيام للطبيب: لم أفق، فيسأل الطبيب هل تناولت الدواء؟ فيجيب المريض: نعم وضعتها في جيبى. فيقول الطبيب: يا شقي! لو وضعتها في بطنك لكان مفيداً.

ومن جمال هذه الأوراد أنها سهلة في العمل ويحصل بها التزكية والإحسان، ثم تيسر العمل بالشرع كله، وهذا القول ثابت كجوت أن مجموع (الاثني والاثني أربعة). فمن لم يوقن فليجرب يعرف حقيقة الحال.

وإليك تفصيل هذه الأوزاد والأعمال .

١ - الذكر: ويسمى (الوقوف القلبى) ذكر الله دواء القلوب وشفاء من الأمراض الباطنة . قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

ذَكَرُ اللَّهِ لِلْقَلْبِ كَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ يَجِدُ بِهِ السَّالِكُ بَشَارَةً . ﴿ مَا ذَكَرُونِي ﴾ [البقرة: ١٥٢] و : « فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي » ، ومتعادة : « أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرْتَنِي » . عذ الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في (الوايل الصيب) للذكر مائة فائدة .

الذكر نوعان : لسانى وقلبى . قال شاعر :

لِسَانِي وَقَلْبِي يَفْرَحَانِ بِذِكْرِهَا وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ

ثَبَّتَ بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ يُفْضَلُ عَلَى الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ سَبْعِينَ مَرَّةً . وَفُضِّلَ الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ عَلَى الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ عَقْلاً بِوُجُوهِ آتِيَةٍ :

يُمْكِنُ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ كُلَّ وَقْتٍ ، وَلَا يُمْكِنُ الذِّكْرَ اللِّسَانِيَّ كُلَّ وَقْتٍ ، فَالسَّالِكُ عِنْدَمَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، أَوْ يُلْقِي مُحَاضَرَةً ، أَوْ يَجْلِسُ عَلَى الْمَشْجَرِ يَعْقِدُ مَعَ الزَّبُونِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْمَلَ بِلِسَانِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَمَلَيْنِ ؛ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَإِمَّا أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى ، إِذْ يُمْكِنُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَمَلٍ وَاحِدٍ ، بَيْنَمَا يُمْكِنُ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ كُلَّ سَاعَةٍ وَأَنْ مُسْتَلْقِياً وَجَالِساً قَائِماً وَمَاضِياً .

يَتَحَرَّكُ اللِّسَانُ عِنْدَ الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ ، وَتَهْتَزُّ الشَّفَةُ فَيَخَافُ عَلَى الذَّاكِرِ الزِّيَاءَ . بَيْنَمَا الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ يَعْلَمُهُ إِمَّا الذَّاكِرُ وَإِمَّا الْمَذْكُورُ ، وَالذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ لَا يَسْمَعُهُ الْمَلَائِكَةُ بَلْ يَجِدُونَ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَتَتَبَيَّنُ الْحَقِيقَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَلِكَ الطَّيِّبَ طَيِّبُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

شِعْرٌ :

يَكُونُ بَيْنَ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ سِرٌّ كِرَامٌ كَاتِبُونَ لَيْسَ لَهُمْ بِهِ حَبَرٌ

ولهذا يسمّى الذكرُ القلبيّ ذكراً خفياً.

إنَّ مَحَلَّ الذِّكْرِ فِي الْجِسْمِ الْإِنْسَانِي هُوَ الْقَلْبُ، وَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ آلَةُ الْإِظْهَارِ فَقَطُّ لَمْ تَقُلْ أَمْ لَوْلَاهَا قَطُّ: (يَا بَنِيَّ إِنَّ لِسَانِي يَذْكُرُكَ كَثِيرًا)، بَلْ تَقُولُ دَائِمًا: (إِنَّ قَلْبِي يَذْكُرُكَ كَثِيرًا) فَعَلِمَ أَنَّ مَحَلَّ الذِّكْرِ هُوَ الْقَلْبُ؛ فَتَبَيَّنَ بِالذَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الذِّكْرِ الْإِنْسَانِي، قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

كُنْ خَبِيرًا بِالْبَاطِنِ وَأَجْنَبِيًّا عَنِ الظَّاهِرِ
هَذَا أَحْسَنُ طَرِيقٍ وَفِي الدُّنْيَا نَادِرٌ

الْمَشَائِخُ يَسْمَوْنَ هَذَا الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ بِالْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ. أَمْرٌ بِهِ غَيْرُ مَرَّةٍ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ.

أَدَلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤١] ﴿أَذْكُرُوا﴾ صِيغَةُ أَمْرٍ لِلْمَجْمَاعَةِ. فَأَمَرَ الْمُؤْمِنُونَ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ وَعَدَ الذَّاكِرُونَ كَثِيرًا بِالْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرِينَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الاحزاب: ٣٥].

وَيَنْشَأُ هَهُنَا سُؤَالٌ وَهُوَ: مَا مَعْنَى الذِّكْرِ الْكَثِيرِ؟ هَلْ يَذْكُرُونَ قَلِيلًا بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، أَوْ يَذْكُرُونَ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَوْ يَذْكُرُونَ حَتَّى يَتَغَبَّرُوا، فَمَاذَا يَتَعَلَّوْنَ؟ قَالَ مُجَاهِدٌ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: الذِّكْرُ الْكَثِيرُ أَنْ لَا يَنْسَاهُ بِحَالٍ، مَا مَعْنَى أَنْ لَا يَنْسَاهُ بِحَالٍ؟

الْإِنْسَانُ لَهُ أَحْوَالٌ ثَلَاثَةٌ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ مُضْطَجِعًا. وَالْمُرَادُ بِالذِّكْرِ كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا، وَهَذِهِ عَلَامَةٌ أُولَى الْأَلْبَابِ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ويؤيده ما رَوَى السُّيُوطِيُّ عَنْهُ قَالَ: لَا يُكْتَبُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِينَ
اللَّهُ كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُرَ اللَّهَ فَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا.

[الدر المنثور ج ٦ ص ٦٠٩]

قال الصَّاوِي تحت هذه الآية: وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَفْرِضْ
فَرِيضَةً عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، وَعَذَرُ أَهْلِهَا فِي حَالِ الْعُذْرِ
غَيْرِ الذَّكْرِ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا مَعْلُومًا وَلَمْ يَعْزُزْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ
مَعْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، وَلِذَا أَمَرَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَسْكَنُوا وَقَعُودًا وَعَلَى جُثُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ
الذَّكْرَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ.

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَسْكَنُوا
وَقَعُودًا وَعَلَى جُثُوبِهِمْ﴾ أَيُّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالسَّفَرِ وَالْحَضَرِ
وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ، وَالصُّحَّةَ وَالْمَرَضَ، وَالسَّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ. وَمِثْلُ هَذَا الذَّكْرُ لَا
يَكُونُ إِلَّا قَلْبِيًّا أَوْ خَفِيًّا يُمْكِنُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَعَلِمَ أَنَّ الذَّكْرَ الْكَثِيرَ الْمَأْمُورَ
بِهِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الذَّكْرُ الْقَلْبِيُّ، وَالذَّكْرُ الْخَفِيُّ الْمَوْسُومُ فِي اضْطِحَالِ
الصُّوْفِيَّةِ بِالْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ، وَأَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ
رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَكِّحْ بِالْعَصَى وَالْإِنْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤٤١].

فَبَيَّنَتْ أَنَّ الْوُقُوفَ الْقَلْبِيَّ شَيْءٌ أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ يَقْضِي
أَوْقَاتَهُ لَتَعْلَمَهُ تَحْتَ إشرافِ الْمَشَائِخِ.

أَدِلَّةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا». قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ الْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَوْ ضُرِبَ بِسَيْفِهِ الْكُفَّارُ
وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً».

[رواه الترمذي: الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

ما أبين هذا الحديث في فضل الذَّاكِرِينَ كَثِيرًا. تَعَالَوْا نَلْتَمِسِ الْآنَ دَلِيلَهُ مِنَ السُّنَّةِ التَّجَوُّدِ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ).

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٨]

فكلمة (كل أحيانه) تشهد أن المراد الذكر الخفي والذكر القلبي، فكانت عادته المباركة وسنته البيضاء الاشتغال بذكر الله تعالى كل وقت، والمشايخ الكرام يمرنون سالكِي الطريقة بالوقوف القلبي لاتباعه حتى يُصْبِحَ خَالُ السَّالِكِ مُطَابِقًا لِمَا قِيلَ:

وست يكادول بيار

ومعناه:

اليد بالعمل والقلب في الحبيب

الوقوف القلبي أن يُلْفِتَ الإنسان نفسه إلى قلبه ويلفِتَ قلبه إلى الله تعالى، ويفكر في نفسه مضطجعاً وجالساً، ماشياً وراكباً. إِنَّ قَلْبَهُ يَقُولُ:

اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ

وهذا هو منشأ الآيات والأحاديث المذكورة، فثبت أن تعليم الوقوف القلبي مطابق تماماً للقرآن والحديث.

٢ - الفكر (المراقبة):

المراقبة: مشتقة من الرقيب وهو المنتظر والشهيد والحارس. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ٤١. وهي في اصطلاح التصوف الجلوس في حب الله تعالى، فالسالك يجلس مراقباً مُنْعَزِلاً عن الدنيا راغباً عنها متوضئاً مُسْتَقْبِلَ القبلة مُغْمِضاً عينيه ناكساً رأسه، ويفكر قلباً أن لا أرض ولا سماء، ولا إنسان ولا حيوان ولا شيطان، ولا شيء،

ويفكر أنه تأتيه رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وتُشغِلُ قلبي فيزولُ بها ظَلَامُ قلبي وظلمته
ويقول قلبي:

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

لا يميلُ قَلْبُ السَّالِكِ إلى الذِّكْرِ في البداية كُلَّمَا يَنْكَسُ رأسه تَهْجُمُ
ومتاوسُ الدنيا كما قيل: كُلُّ إِنَاءٍ يَتَرَشَّعُ بما فيه. ما أُنِينَ ذليلاً على ملء
القلب بالدنيا أن يَنْكَسَ الإنسانُ رأسه لِذِكْرِ اللَّهِ فيُسيطرُهُ ومتاوسُ الدنيا.
وَيَتَّبِعِي لِلسَّالِكِ أَلَّا يَخْرُونَ مِنْهُ بَلْ يُفَكِّرُ. لَا يَدُّ أَنْ يُفَكِّرَ أَنَّهُ مُخْتِاجٌ إِلَى
جُهِدٍ جَلِيلٍ، وما أُخْزَانِي لو انْتَقَلَ بهذه الأفكارِ إلى الدَّارِ الْآخِرَةِ يَوْمَ
تُظْهِرُ مَكْنُونَاتِ الصُّدْرِ. قال تعالى: ﴿وَحِصِّلْ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (العاديات: ١٠).

وقال: ﴿يَوْمَ نُلَى الشَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ١٩].

وتأتي مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ وتَدْخُلُ قَلْبَهُ عندما يَجْلِسُ السَّالِكُ وَيَظُنُّ أَنَّ
رَحْمَةَ اللَّهِ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مُوَافِقاً لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما يرويه عن
ربه: «أنا عند ظنِّ عبدي بي».

[رواه البخاري ومسلم والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فلو هَجَسَتْ في قَلْبِهِ أَفْكَارُ الدُّنْيَا جميع الوقت، وَذَكَرُ اللَّهِ لِلْمَحَةِ
فَقَطُّ لَتَهْجَسَ أَفْكَارُ الدُّنْيَا في اليَوْمِ الثَّانِي أَقْلَ مِنْهُ، وفي اليَوْمِ الثَّالِثِ أَقْلَ
مِنَ الثَّانِي، حَتَّى يَأْتِيَ زَمَنٌ كُلَّمَا يَخْفِضُ رأسه ذَكَرَ اللَّهُ تعالى وَتَخْرُجُ
الدُّنْيَا اللَّثِيمَةُ مِنْ قَلْبِهِ. قَالَ شَاعِرٌ ما معناه:

مَوْجُودَةٌ فِي الْقَلْبِ صُورَةُ الْحَبِيبِ
كُلَّمَا أَخْفَضَ الرَّقِيبَةَ قَلِيلًا أَرَاهَا

يَغْلِبُ النَّعَاسُ خِلَالَ الْمُرَاقَبَةِ عَلَى بَعْضِ السَّالِكِينَ وهذه عَلَامَةٌ
اِكْتِسَابِ النَّفِيسِ وَدَوَامِ الرَّقِي بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ النَّعَاسُ﴾
فَلَا ضَرُورَةَ إِلَى الْحُزَنِ. السَّالِكُ كَالدَّجَاجَةِ تَجْلِسُ عَلَى الْبَيْضِ وَتُسْخِنُهَا،

فالبَيْضُ الَّذِي يُرَى جَمَاداً فِي الْبِدَايَةِ يَدْخُلُ فِيهِ الزَّوْجُ حَتَّى تَخْرُجَ الْأَفْرَاحُ
تَشْقِشَقُ، كَذَلِكَ السَّالِكُ يَبْدُو لَهُ قَلْبُهُ فِي الْبِدَايَةِ كَالْحَجَرِ، وَلَكِنْ
بِالْجُلُوسِ مُرَاقِباً وَالتَّشْعِخِينَ يَأْتِي وَقْتُ يَذْكُرُ قَلْبَهُ:

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مُفِيدٌ بِقَدْرِ مَا يَبْدُو خَفِيفاً بِالدَّوَامِ عَلَى
الْمُرَاقَبَةِ تُضْبِعُ حَالَهُ السَّالِكِ وَفَقْ مَا قِيلَ:

يَلْتَمِسُ الْقَلْبُ مَرَّةً أُخْرَى أَوْقَاتَ تِلْكَ الْفُرْصَةِ

تُجْلِسُ طَوِيلاً ذَاكِرِينَ صُورَةَ الْحَبِيبِ الْعَشِيقِ

وَطَرِيقَةُ الذِّكْرِ هَذِهِ لَيْسَتْ طَرِيقَةُ الْعُشَاقِ، بَلْ هِيَ دَأْبُ الْمَحْبُوبِينَ.

الْعُشَاقُ يَضْرَحُونَ وَيَبْكُونَ. وَالْمَحْبُوبُ يَدِيمُ الذِّكْرَ فِي الْقَلْبِ، قَالَ شَاعِرٌ

مَا مَعْنَاهُ:

مَنْ يَضْرَحُ مَنْ كَانَ صَادِقاً فِي الْعِشْقِ

عَلَى شِفَاهِهِمْ خَتَمَ السَّكُوتُ وَيَذْكُرُونَ بِالْقُلُوبِ

وَفِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ دَلَائِلُ وَاضِحَةٌ عَلَى هَذَا النُّوعِ مِنَ الذِّكْرِ.

دَلَائِلُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ

الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ: مَعْنَى ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أَيِ فِي
قَلْبِكَ.

[انظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ الإمام محمد بن أحمد بن

جزري الكلبي المتوفى ٧٩٢ - ج ٢ ص ٦٠]

وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا بِالذِّكْرِ إِذْ قَوْلُهُ: ﴿اذْكُرْ﴾ صِيغَةُ أَمْرٍ، فَلَوْ اتَّخَذَ

الْمَشَائِخُ الذِّكْرَ وَالْمُرَاقَبَةَ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَهَلْ هَذَا امْتِثَالٌ بِأَمْرٍ أَوْ هُوَ بَدْعَةٌ؟

فَعَلَى النَّاقِدِينَ عَلَى الذَّاكِرِينَ أَنْ يُفَكِّرُوا بِجَدِّ وَتَوَدُّةٍ.

وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ هَذَا فَمَعْنَى ﴿ **فِي نَفْسِكَ** ﴾ (فِي فِكَرِكَ) أَوْ (فِي هَمِّكَ) أَوْ (فِي تَأَمُّلِكَ) وَلَا يَرَادُ بِهِ بِلْسَانِكَ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَبْرَهَانٍ مُبِينٍ عَلَى الثَّاقِدِينَ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ. قَالَ الْمُفْتِي مُحَمَّدٌ شَفِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَعَارِفِ الْقُرْآنِ: الْمَرَادُ بِ: تَضَرُّعاً وَخِيفَةً الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ ثُبُوتُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ، كَمَا عَلِمَ تَقَوُّقُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ عَلَى الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ.

سَمِعْنَا بَعْضَ الثَّاقِدِينَ يَقُولُونَ: كَيْفَ يَثْبُتُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟ فَنَقُولُ: لَا يَجِبُ ثُبُوتُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَلَكَانَ الْقُرْآنُ كَافِياً، بَلْ لَا حَاجَةَ إِذَا إِلَى صَاحِبِ الْقُرْآنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكَانَ نَزُولُ جِبْرِيلَ بِالْقُرْآنِ كَافِياً. الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا تُذَرِي مَا ظَنَّهُمْ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، لَعَلَّهُمْ وَجَدُوا عَدَدَ رَكَعَاتِ الصَّلَوَاتِ وَتَفَاصِيلِ أَحْكَامِ الزُّكَاةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَقِيَ التَّمَسُّسُ ذَلِيلُ الْمُرَاقَبَةِ فَقَطْ. وَهَذَا نَقْصٌ. وَتَعَالَوْا إِلَى الْجَوَابِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا** ﴾ [الكهف: ٢٨].

هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَطِيعَ مَنْ قَلْبُهُ غَافِلٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَفِيهِمْ مِنْهُ أَنْ عَلَيْنَا إِطَاعَةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ الْإِنْيَانُ بِدَلِيلٍ أَوْضَحَ مِنْهُ عَلَى الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ تَبَتُّلاً** ﴾ [المزمل: ٢٨] فِي هَذِهِ الْآيَةِ صَيِّغَتَا أَمْرٍ.

١- اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ. التَّكْنَةُ الْمُهَيِّمَةُ هَهُنَا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: اذْكُرْ رَبَّكَ، وَكَانَ يَكْفِي ظَاهِراً وَلَكِنْ قَالَ: ﴿ **وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ** ﴾ إِنَّ الرَّبَّ اسْمٌ صِفَةٌ، فَالْمَقْصُودُ هَهُنَا الْأَمْرُ بِذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ «اللَّهُ» فَذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ ذِكْرُ اسْمِ الرَّبِّ، فَالثَّابِتُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَمْرٌ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢ - وتبتل إليه تبتلاً. التبتل: هو اختيار الانقطاع للمعجوب عما سواه، فكان الله تعالى يقول: انقطعوا عن الخلق وصلوا بالخالق.

وهذا الانقطاع عن الخلق لا يحصل جالساً في البيت، لا بد أن يعمل له عمل ولكن ماذا يعمل له؟ ذكر المشايخ طريقاً يسيراً هي أن تخص وقتاً من كل يوم وتجلس معراجاً سوتها إلى شيء - شيئاً عفيفاً - تذكر حينئذ أتى اليوم أغمض عيني باختيارى وسوف يأتي يوم تعمض هذه الأغمض للأبد، فتثبت في القلب اعتقاداً ضعيف الدنيا وشوق الانقطاع عن الخلق والاتصال بالله سبحانه وتعالى، وإن شئت التي على رأسك ثوباً وتذكر أنني ألقى اليوم الثوب على رأسي باختيارى، وسوف يأتي وقت أكفن فيه فتزداد به كيفية التبتل. يثبت هذا الدرس بالجلوس بهذه الهيئة سُدس الساعة أو رُبُعها أو نصفها. قطرات الماء ناعمة جداً ولكن لو تواصلت تقاطر الماء على الحجر متواصلات يجعل فيه فتحة، كذلك الإنسان لو جلس هكذا كل يوم يذكر:

«الله، الله»

لسوف يأتي وقت يجعل ذكر الله تعالى في قلبه سهلاً. ومجموع هذه الكيفية يسمى مراقبة، وهو المقصود من هذه الآية، وسُموا هذا الثمرين بالتبتل أو بالمراقبة أو بالمعاسبة، ولكن لا مفر من هذه الحقيقة أنها مأمور بها في القرآن الكريم، فتثبت أن المراقبة موافقة لتوجيهات قرآنية.

دلائل من الأحاديث:

ورد في بداية صحيح البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي أن النبي ﷺ يخلو بغار حراء أياماً عديدة متواصلة. ما كانت في ذلك الوقت صلاة ولا قراءة قرآن ولا صوم فماذا كان يفعل؟ ذكر المحدثون أنه كان

يَقْضِي وَفْتَهُ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِنْقِطَاعَ عَنِ الْخَلْقِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالمُرَاقَبَةِ. يَحْيِي الْمَشَايِخُ هَذِهِ السُّنَّةَ. وَإِنْ اغْتَرَضَ أَحَدٌ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ إِبْلَاقِ النُّبُوَّةِ فَسَوْفَ يَرُدُّهُ مَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ إِبْلَاقِ النُّبُوَّةِ. فَقَعْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَزُودُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «اذْكُرْنِي بَعْدَ الْعَصْرِ وَبَعْدَ الْفَجْرِ أَكْفِكَ فِيمَا بَيْنَهُمَا».

[أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، كَذَا فِي الدَّرَجَةِ]

بهذه المناسبة يَأْمُرُ الْمَشَايِخُ بِهَذِهِ الْمُرَاقَبَةِ صَبَاحاً وَمَسَاءً.

وَفِيمَا يَلِي أَجُوبَةً عَنْ أَسْئَلَةٍ تَتَوَارَدُ حَوْلَ الذِّكْرِ وَالْمُرَاقَبَةِ.

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: كَلِمَةُ الذِّكْرِ وَزِدَتْ لِلْقُرْآنِ أَيْضاً، فَكُلَّمَا أَمَرَ بِالذِّكْرِ

أَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَرَادَ بِهَا تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ؟

الْجَوَابُ: كَلِمَةُ الذِّكْرِ وَإِنْ اسْتَعْمِلَتْ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنَّ الذِّكْرَ

وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عِبَادَتَانِ بَرَأْسِيهِمَا. رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ

لَأَبِي ذَرٍّ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ».

[الْجَامِعُ الصَّغِيرُ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ]

أَمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَبَيَّنَ أَنَّهُمَا

عِبَادَتَانِ بَرَأْسِيهِمَا، فَلَا يُرَادُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَمَا أَمَرَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

السُّؤَالُ الثَّانِي: يَأْمُرُ الْمَشَايِخُ بِالْأُورَادِ صَبَاحاً وَمَسَاءً هَلْ لَهُ أَضَلُّ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّفْسِ

وَالْإِنْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]. فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَصٌّ بِالْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ صَبَاحاً

وَمَسَاءً.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: هَلْ تَجُوزُ الْمُرَاقَبَةُ مُسْتَلْقِيَةً؟

الجواب: نعم، يُحاول أن يُراقب جالساً متاذباً. وإن حَدَثَ عُدْرٌ أو مَرَضٌ تجوزُ المراقبةُ مُضْطَّجِعاً. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [ال عمران: ١٩١] كلمة ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ تدلُّ على جوازِ ذكرِ الله تعالى مُستلقياً.

السؤال الرابع: بعضُ الناس يُفْقِرُونَ خِلالَ المراقبةِ هل هذا جائزٌ؟

الجواب: طَرِيقَانِ الجذبِ ثابتٌ بالقرآن والحديث، ففي بعض الآيات: ﴿يَحْزَنُونَ لِأَذْفَانٍ سُخَّيْنِ﴾ [الاسراء: ١٠٧] وفي بعضها ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الزمر: ٢٥٨] وكذلك يدلُّ عليه ما جاء في الحديث: «افخرَ لله ساجداً». قالت المشايخ: يجبُ على السَّالِكِ ضَبْطُ كَيْفِيَّاتِهِ. وإن لَمْ يَسْتَطِعِ الضَّبْطَ فَلْيَنْهَ المراقبةَ. هذا هو الأولَى ولا يَحْسُنُ المُلَاعَبَةُ.

السؤال الخامس: بماذا يَكُونُ تَقَدُّمُ السَّالِكِ أَكْثَرُ، بِالذِّكْرِ أو بِالْفِكْرِ؟

الجواب: أولاً يَكُونُ التَّقَدُّمُ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَخْصُلَ فَنَاءُ النَّفْسِ، ثُمَّ بِالْفِكْرِ، ثُمَّ يَأْتِي مَقَامٌ لَا يَتَقَدَّمُ فِيهِ السَّالِكُ لَا بِالذِّكْرِ وَلَا بِالْفِكْرِ، بَلْ بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى فَقَطْ.

السؤال السادس: ما مَعْنَى جَرَيَانِ الْقَلْبِ؟

الجواب: جَرَيَانُ الْقَلْبِ لَهُ مَعْنَى عِنْدَ الْعَامَّةِ وَمَعْنَى عِنْدَ الْخَوَاصِّ. فَمَعْنَاهُ عِنْدَ الْعَوَامِّ شُعُورُ حَرَكَةٍ نَاعِمَةٍ سَرِيعَةٍ فِي الْقَلْبِ، وَمَعْنَاهُ عِنْدَ الْخَوَاصِّ أَنْ يَجْرِيَ الْقَلْبُ عَلَى الْجَوَارِحِ أَيْ يَسِيطِرُ الْقَلْبُ عَلَى الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ، فَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهَا حَسَبَ السَّرِيعَةِ وَالسَّوَةِ.

السؤال السابع: قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ الْعِبَادِيَّةُ:

(ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ - اللَّهُ، اللَّهُ - بِدُونِ تَرْكِيبٍ مَعَ كَلِمَةٍ أُخْرَى بِذَعَةٍ. لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا بِذِكْرِ الْأَسْمِ مُفْرَدًا، وَلَمْ يَشْرَعْ لِلْمُسْلِمِينَ اسْمًا

مُفْرَداً مَجْرَداً لَا يُفِيدُ الاسْمَ الْمُفْرَدَ الْمُعْجَزَةَ لِلإِيمَانِ، وَالثَّابِتُ بِالْأَخَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ تَعْلِيمُ الْجُمْلَةِ الْمَرْكَبَةِ فَقَطْ مِثْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ أَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؟

الجواب: أولاً: «سُبْحَانَ اللَّهِ» لَيْسَتْ جُمْلَةً مَرْكَبَةً، بَلْ هِيَ مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. قَالَ الْبَيْضاوِيُّ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] «سُبْحَانَ»: مُضَدَّرٌ لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافاً مُضَوياً بِإِضْمَارِ فِعْلِهِ.

[تفسير البضاوي]

بِنَاءٌ عَلَيْهِ نَقُولُ: إِنْ اسْمُ الذَّاتِ مُنَادَى حُذِفَ عَنْهُ حَرْفُ التَّنَادٍ جَوَازاً كَمَا حُذِفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يُوسُفُ أَقْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩].
عَرَفَ ابْنُ الْحَاجِبِ الْمُنَادَى بِقَوْلِهِ: هُوَ الْمَطْلُوبُ (قَبْلَهُ بِحَرْفِ نَائِبِ مَنَابٍ أَدْعُو).

[الكافية]

فـ «اللَّهُ» أَضْلُهُ: «أَدْعُو اللَّهَ» وَهُوَ كَلَامٌ تَامٌ.

وثانياً: قَدْ يَذْكُرُ الْمَبْتَدَأُ فِي الْجُمْلَةِ وَيَحْدَفُ الْحَبْرُ، فَاسْمُ اللَّهِ تَعَالَى مَبْتَدَأٌ وَالْحَبْرُ مَحْذُوفٌ كَالْخَالِقِ وَالرَّازِقِ وَالْقَادِرِ، لَعَلَّ الْإِمَامَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ أَشْجَلَ عَلَيْهِ خِلَالُ الْكَلَامِ عَلَى مَوْضُوعٍ وَإِلَّا فَلَا مَسَاعَ لِلِاشْكَالِ بَعْدَ هَذِهِ الدَّلَائِلِ.

وثالثاً: يَسْتَدِلُّ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا ضَمِّ ضَمِيمَةٍ مِنْ عِدَّةِ آيَاتٍ مِثْلُ:

١ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٥].

٢ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَزَّلَ إِلَيْهِ تَتِيلاً﴾ [الغزل: ٨].

أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِذِكْرِ اسْمِ الرَّبِّ جَلَّ مَجْدُهُ، فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ مَا هُوَ اسْمُ الرَّبِّ؟ فَيُقَالُ: هُوَ «اللَّهُ».

ذِكْرٍ فِي كُتُبِ عِلْمِ الْكَلَامِ أَنَّ «اللَّهُ» عِلْمٌ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ
 الْمُسْتَجْمَعِ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنَزَّهِ عَنِ النُّقْصِ وَالزُّوَالِ (فَقَدْ ثَبَّتَ
 بِهَذِهِ الْآيَاتِ جَوَازَ ذِكْرِ اسْمِ ذَاتِ اللَّهِ جَلَّ مَجْدُهُ، وَيُقَالُ لَهُ ذِكْرُ اسْمِ
 الذَّاتِ يَشْتَغِلُ السَّالِكُونَ فِي الطَّرِيقَةِ فِي هَذَا الذِّكْرِ كُلَّ أَنْ وَكَلَّ سَاعَةً قِيَامًا
 وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وَقَدْ قِيلَ: يُمَكِّنُ وَقَفُ الْعُطْبَلِ وَاتِّقِطَاعُ السَّلَكِ،
 وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْنَعَ الْبُلْبُلَ عَنِ الْغِنَاءِ، كَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ الْمُحِبُّ
 أَحَدًا عَنْ ذِكْرِ اسْمِ الْمَحْبُوبِ. لَتَكَلِّمَ لِإِضْطِحَاحِ عِلَاقَةِ الْمَحْبُوبِ وَالْمَحِبِّ
 فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمَحَبَّةُ مَشْوَقَةً شَدِيدَةً.

يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

يَزِدَادُ الْحُبُّ بِسَمَاعِ الْكَلَامِ عَنْ حُسْنِ الْمَحْبُوبِ وَجَمَالِهِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَتْ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال: ٢٢).

لَا يَكُونُ لِلْمُحِبِّ مَطْلُوبٌ سِوَى الْمَحْبُوبِ. دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
 تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

يَتِمَلَّلُ الْقَلْبُ بِسَمَاعِ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ
 إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢٢).

عِنْدَمَا يُنْهَى الْمُحِبُّ عَنْ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ يَنْبُدُّ جَمِيعَ الدُّنْيَا وَيُدْفَعُهَا.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١) دَلِيلٌ وَاضِحٌ
 عَلَيْهِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى

أحد يقول الله الله ، وفي رواية أخرى : « حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ ».

[أخرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية : جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٩٤]

لو لَمْ يَجْزْ ذِكْرُ الْأَسْمِ الْمُفْرَدِ الْمَجْرَدِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ اسْمُ اللَّهِ مَرَّةً وَاحِدَةً. تَكَرَّرَ اسْمُ الذَّاتِ اللَّهُ اللَّهُ دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى جَوَازِ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ وَشَرْعِيَّتِهِ وَإِفَادَتِهِ لِلْإِيمَانِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ. الْمُعْجِبُ بِتَمَامِهِ بِذِكْرِ الْمُخْبُوبِ.

قَالَ قَائِلٌ : لَمْ تَخُفِ الْمَحَبَّةَ مَنَاعَةً مَتَى ذَكَرَ اسْمَكَ أَحَدٌ، وَكَذَلِكَ يَسْكُنُ وَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الْمُخْبُوبِ.

قَالَ قَائِلٌ : مَا أَشَدَّ رَبْطَ الطَّمَأْنِينَةِ بِاسْمِكَ، يَأْتِي التَّوَمُّ عَلَى الشَّوْكِ بِالرَّاحَةِ. السَّالِكُ إِذَا كَرَّرَ ذِكْرَ اسْمِ الذَّاتِ سَيَطْرُقُ عَلَى غُضُوهِ غُضُوٌّ مِنْهُ إِثَرُ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَةِ اللَّهُ اللَّهُ. مَا أَخْلَى هَذَا الْأَسْمَ بِصَبْحِ رُوحِي كُلِّهِ الْحَلِيبِ الْحَلَوِ.

فَإِنْ قِيلَ : مَا الْفَائِدَةُ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ اللَّهُ وَتَكَرُّرِهِ؟ فَنَقُولُ : سَنَكْرُرُ اسْمَكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَائِدَةً. نَحْنُ الْعَاشِقُونَ الشَّائِقُونَ الْمُعْجِبُونَ لِاسْمِكَ.

٣ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :

مَا أَكْثَرَ مَنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ وَمُعْذِنِ السُّعَادَاتِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ عَلَى الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ. لَا يُسْتَطَاعُ أَدَاءُ حَقَّقِهَا، وَلَا يُمَكِّنُ إِحْصَاءُ عُدْدِهَا، فَمَهْمَا دَاوَمَ السَّالِكُ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِخْلَاصِ، فَهُوَ قَلِيلٌ فَضْلاً عَمَّا سَيَهَبُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِثَالِ الْأَجُورِ وَالْثَوَابِ عَلَيْهَا بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ. مَا زَالَتِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَمَلُ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهَا الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ تَذَكُّرُ بَعْضُهَا.

أدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] بدأت الآية بحرف التوكيد «إِنَّ» ثُمَّ جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ الدَّالَّةِ عَلَى الاستمرار والدوام فالمعنى أنه لا شك أن الله وملائكته يصلُّون دائماً أبداً على النبي الكريم، فأَيُّ عَزٍّ وَكَرَمٍ قُوَّةً، فإن الله تعالى أضاف الصَّلَاةَ أولاً إلى نفسه، ثم أضافها إلى المَلَائِكَةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ. جزاء الإحسان بمثله من مَكَارِمِ الأخلاق، والنبي ﷺ أعظم الناس إحساناً إلينا، فالله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى مكافأة إحسانه. وللنبي ﷺ شأنٌ عَجِيبٌ فِي الْحُبِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِهِ مَعَ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَذَكَرَ طَاعَتَهُ مَعَ طَاعَتِهِ، وَمَحَبَّتَهُ مَعَ مَحَبَّتِهِ، وَصَلَاةَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ، قَالَ الشَّاهُ عَبْدُ الْقَادِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لِيُطَلَّبَ الرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَآلِهِ قَبُولُهُ عَظِيمَةٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا يَلِيْقُ بِشَأْنِهِمْ، وَيَنْزِلُ عَلَى السَّائِلِ عَشْرُ رَحِمَاتٍ بِطَلْبِهِ رَحْمَةً، فَمَنْ شَاءَ الْآنَ جَمَعَ مَا يَرِيدُ.

نَقَلَ الْعَلَمَةُ السُّخَاوِيُّ عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَجَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: عَلَامَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

[القول البليغ ص ٥٢]

دلائل من الأحاديث النبوية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاجِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

[رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه؛

الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٤]

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ الثَّقَافِ وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسَكَّنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ».

[القول البديع ص ١٠٣، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٥]

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً قَضَى اللَّهُ لَهُ مِائَةً حَاجَةٍ، سَبْعِينَ لِآخِرَتِهِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا لِدُنْيَاهُ».

[القول البديع ص ١٢٨]

ولهذا يأمر المشايخ النقيسنديون السالكين بالصلاة على النبي ﷺ مائة مرة كل صباح ومساءً وقولهم: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ، صيغة صلاة مختصرة وجامعة.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِكْتِسَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا وَتَرْكِهُ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَاسْتِغْفَارُهَا لِقَابِلِهَا، وَكِتَابَةُ قَبْرَائِلَ بِمِثْلِ مِنَ الْآخِرِ وَالْكَيْلَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى، وَكَفَايَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ جَعَلَ صَلَاتَهُ كُلَّهَا صَلَاةً عَلَيْهِ، وَمَنْحُوَ الْخَطَايَا وَفُضِّلَهَا عَلَى عَشَقِ الرِّقَابِ، وَالتَّجَاةِ بِهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَشَهَادَةِ الرُّسُولِ بِهَا، وَوُجُوبِ الشَّفَاعَةِ وَرَضَى اللَّهُ وَرَحِمَتَهُ، وَالْأَمَانُ مِنْ سَخَطِهِ، وَالذُّخْرُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ، وَرَجْعَانِ الْمِيزَانِ وَرُودُ الْحَوْضِ، وَالْأَمَانُ مِنَ الْعَطَشِ وَالْعَيْشِ مِنَ النَّارِ، وَالْجَوَازُ عَلَى الصَّرَاطِ وَرُؤْيَا الْمَقْعَدِ الْمُقَرَّبِ مِنَ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَكَثْرَةُ الْأَزْوَاجِ فِي الْجَنَّةِ وَرَجْعَانُهَا عَلَى أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ غَرْوَةً، وَقِيَامُهَا مَقَامَ الصَّدَقَةِ لِلْمُعْسِرِ، وَأَنْهَا زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ، وَيَزِيدُ الْمَالُ بِرُكْنِهَا، وَتَنْفُضِي بِهَا مِنَ الْحَوَائِجِ مِائَةً بَلْ أَكْثَرَ وَأَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، وَتَزِينُ الْمَجَالِسِ، وَتَنْفِي الْفَقْرَ وَضِيقَ الْعَيْشِ وَيَلْتَمِسُ بِهَا مِظَانُ

الْحَيْر، وَأَنْ فَاعِلَهَا أُولَى النَّاسِ بِهِ، وَيَنْتَفِعُ هُوَ وَوَلَدُهُ وَوَلَدُ وَلَدِهِ بِهَا، وَمَنْ أَهْدَيْتَ فِي صَحِيفَتِهِ بِثَوَابِهَا، وَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ، وَأَنْهَا تُورُ وَتَنْصُرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَتَطَهِّرُ الْقُلُوبَ مِنَ التَّفَاقِي وَالضَّدَا، وَيُوجِبُ مَحَبَّةَ النَّاسِ وَرُؤْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ.

[القول البديع ص ١٠١]

فَعَلَى سَالِكِي الطَّرِيقَةِ أَنْ يُقَدِّمُوا هَدِيَّةَ الصَّلَاةِ صُبْحَ مَسَاءٍ بِمَحَبَّةٍ وَأَدَبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة على النبي ﷺ وأجوبتها:

س ١: اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى صَلَاتِنَا؟

ج: صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَتْ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُتَحَاجٌّ إِلَيْهَا وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ إِلَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، بَلْ صَلَاتُنَا لِإِظْهَارِ عَظَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَلَاتُنَا سَبَبٌ لِكُفَّارَةِ ذُنُوبِنَا وَارْتِفَاعِ دَرَجَاتِنَا.

س ٢: سَمِعْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَوْفَ يَضَعُ فِي كَفِّهِ شَخْصٍ مِنْ أُمَّتِهِ بِطَاقَةٍ صَغِيرَةٍ فَيُثْقَلُ الْمِيزَانُ كَيْفَ ذَلِكَ؟

ج: الْمُنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِخْلَاصِ، كُلَّمَا زَادَ الْإِخْلَاصُ زَادَ الْوِزْنُ، وَدَلِيلُهُ رَجَحَانُ بِطَاقَةٍ صَغِيرَةٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ عَلَى تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ دَفْتَرًا لِلذُّنُوبِ، كُلُّ دَفْتَرٍ مَمْتَلَأٌ مُتَّهِي بَصُرٍ.

س ٣: هَلْ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: صَلَّيْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ، أَوْ أَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ.

ج: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُتْرَكٌ عَنِ الْعُيُوبِ بَيْنَمَا نَحْنُ مَجْمُوعَةٌ غُيُوبٌ وَنَقَائِصُ، وَكَيْفَ يَثْنِي مَنْ هُوَ مَجْمُوعَةٌ الْعُيُوبِ لِمَنْ هُوَ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ؟ قَالَ قَائِلٌ: مَا مَعْنَاهُ:

إِنْ أَغْسِلَ فِجِي بِالْمِسْكِ وَمَاءِ الْوَرْدِ أَلْفَ مَرَّةٍ

فَالْتَفَوْهُ بِاسْمِكَ الْآنَ كَمَالَ سُوءِ الْأَدَبِ

إِذْ نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ تَنْزِلَ الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ مِنَ الرَّبِّ الطَّاهِرِ عَلَى النَّبِيِّ الطَّاهِرِ.

س ٤ : هل يجوز للحائض أن تُصليَ على النبي ﷺ؟

ج : يَنْجُوزُ لِلْحَائِضِ التَّصَوُّفَ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِاسْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ الْمُفْقِهَاءُ: الْمُعْلَمَةُ الَّتِي تُدْرَسُ وَتَعْلَمُ تَلْمِذَتُهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عَلَيْهَا أَنْ تُعَلِّمَهَا كَلِمَةَ كَلِمَةً، وَلَا تَمْسُ الْمَصْحَفَ بِيَدِهَا.

س ٥ : هل تجوز الصلاة على النبي ﷺ بدون وضوء؟

ج : يجوز، ولكن الصلاة على النبي ﷺ طاهراً نوراً على نور.

س ٦ : ما الحكم في الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟

ج : وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انْتَقَلَ مِنْ صَلْبِ أَبِيهِ إِلَى بَطْنِ أُمِّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ. فَتَحَقَّقَ بَيْنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ مَنَاسِبَةٌ.

س ٧ : يَبْدُو فِي الصَّلَاةِ بِقَوْلِنَا: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ قَوْلِنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ. إِنَّ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلِيَّةً.

ج : يَعْرِفُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ كَلِمَةَ كَمَا قَدْ تُذَكَّرُ لِلْأَعْلَى وَهَذَا تُذَكَّرُ لِلْأَذْنَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي الْمِيزَانِ﴾ [النور: ٣٥].

وَأَيُّ مَنَاسِبَةٍ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ السَّجَّاجِ؟ ذَكَرَ الْخَافِظُ ابْنَ خَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَتْحِ الْبَارِيِّ عَشْرَةَ أَجْوِبَةٍ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، وَذَكَرَ فِي مَكْتُوبَاتِ الْمَجْدِدِ تَفَاصِيلَهُ.

٤ - الاستغفار:

الاستغفار مائة مرة كل يوم صباحاً ومساءً. مشايخ السلسلة

التقشيبندية يستغفرون بصيغة جامعة ومختصرة جداً وهي: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

أدلة من القرآن الكريم:

دليل ١: قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢] أمر في هذه الآية الكريمة بالاستغفار، فمشايخ نقشبند يستغفرون بغاية ندامة كل يوم عملاً بهذا الأمر وبرشدون السالكين بهذا التوجه.

دليل ٢: قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَتَذَكَّرُ بِأَقْوَامٍ يَجْعَلُ لَكَ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكَ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

دليل ٣: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَّا لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَّا لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ فِيهِمْ أَهْلَانِ: النَّبِيُّ ﷺ وَالْأَسْتَغْفَارُ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَقِي الْأَسْتَغْفَارُ.

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

دليل ٤: قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَدُونَ وَإِلَّا ضَالًّا ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ و ١٨].

دلائل من الحديث النبوي الشريف:

الدليل ١: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَا اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».

[صحيح البخاري]

الدليل ٢: قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي التَّفْسِيرِ: وَرَوَى عَنْهُ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

[رواه البخاري والنسائي وابن ماجه؛ تفسير البيضاوي ص ٥٢١]

قَالَ الْمُحَدِّثُونَ: التَّكَلُّمُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِصِغَةِ الاسْتِغْفَارِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَغْلِيظِ أَمْتِهِ وَإِلَّا فَهُوَ كَانَ مُغْفُوراً لَهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ذَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَيْهِ.

الدليل ٣: عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِإِلَهِ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَأَكْثَرُوا مِنْهَا فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِإِلَهِ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ».

[تفسير المظهر ج ١٠ ص ٤٨٤]

الدليل ٤: قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

[أبو داود ج ١ ص ٢٢٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٠]

الدليل ٥: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ مِنْ ذُنُوبِهِ كُلِّ يَوْمٍ، وَيَرَى ذَلِكَ وَاجِباً. وَفِي إِكْمَالِ الشَّيْمِ: يَا صَدِيقِي ارْتِكَابُكَ بِالذَّنْبِ بِرَجَاءِ التَّوْبَةِ وَتَأْخِيرِكَ التَّوْبَةَ بِرَجَاءِ التَّوْبَةِ ذَلِيلٌ فَقْدَانِ عَقْلِكَ. قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعِزَّةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحریم: ٨].

وقال في مقام آخر: ﴿وَلَوْ بَوَّأَ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَتَى الْمُؤْمِنُونَ أَعْلَمَكُمُ تَقْوِيلُهُمْ﴾ [التور: ٣١].

أَجْمَعَ الْأَقَمَّةُ الْمُجْتَهِدُونَ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ، فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَابَ التَّوْبَةِ حَتَّى تَأْتِيَ سَكْرَةُ الْمَوْتِ أَوْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مَا لَمْ يُغْرِغْ».

[الترمذي]

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

[رواه مسلم]

يَغْفِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلتَّائِبِينَ مِنَ الذُّنُوبِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا قَطُّ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الثَّابِتُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ». إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا فَلَا يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ فَقَطُّ، بَلْ يَبْدَأُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدَأُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

رَوَى عِشْرَانُ بْنُ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ حَسَابِيًّا تَابَ تَوْبَةً صَادِقَةً حَتَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوُسِعَتْهُمْ».

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ مَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ».

[أخرجه البخاري ومسلم]

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأُفْلِتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ فَأَيَسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ

أَيَسَ مِنْ رَاجَلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا،
ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ
الْفَرَحِ».

[جامع الأصول ج ٢ ص ٥١٠]

قَالَتِ الْمَشَائِخُ: لَمَّا طُرِدَ الشَّيْطَانُ اسْتَمْهَلَ وَقَالَ: ﴿رَبِّ أَنْظِرْنِي إِلَى
يَوْمٍ يُعْتَوْنَ﴾ [الحجر: ٣٦]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنْتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ
الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨]، فَانْظُرْ لَوْ أَمْهَلَ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ فَلَمْ لَا يُمْهَلْ
لِمَذْنِبِي الْأَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؟

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ إِبْلِيسُ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ لَا
أَزَالُ أَغْوِيهِمْ مَا دَامَتْ أَزْوَاجُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
«وَعِزَّتِي وَجَلَّالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي».

[تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧٨]

ثَانِ شَيْخٌ سَيِّدٌ يَشْنِئِي إِذَا رَأَى شَيْئًا يَشْتَبِهُكَ. ثَلَاثُ شَيْخٍ بِهَيْمٍ
قَالَ شَابٌّ: يَا سَيِّدِي! أَقْبِنَا فِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ لَمْ يُلْزِمَ قَطُّ، وَرَجُلٌ أَذْنَبَ
ثُمَّ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَعَلَى قَلْبِ أَيُّهُمَا نَظَرَةٌ
خَاصَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَنَا أَنَسُجُ النَّسِيجَ وَلَهُ خُيُوطٌ طَوِيلَةٌ لَوْ
الْتَحَلَ خَيْطٌ أَعْقَدُهُ ثُمَّ الْأَحْظُهُ حَتَّى لَا يَنْحَلَّ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَلَعَلَّ الْمَذْنِبَ
الَّذِي رَبَّطَ عَلاَقَتَهُ بِرَبِّهِ بَعْدَ أَنْ انْحَلَّتْ عَلاَقَتُهُ بِرَبِّهِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، يَكُونُ لِلَّهِ
عَلَى قَلْبِهِ نَظَرٌ خَاصٌّ حَتَّى لَا يَبْعَدَ ذَلِكَ الْعَبْدَ. سُبْحَانَ اللَّهِ.

قِيلَ: يَا عَبْدِي ذُنُوبُكَ قَلِيلَةٌ وَرَحْمَتِي كَثِيرَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ
بَعْدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، أَوْ كَانَتْ بَعْدَ أَوْزَاقِ أَشْجَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، أَوْ كَانَتْ
بَعْدَ ذُرَاثِ رِمَالِ جَمِيعِ الدُّنْيَا، أَوْ مِثْلَ رَبْدِ الْبَحَارِ كُلِّهَا، فَذُنُوبُكَ قَلِيلَةٌ
وَرَحْمَتِي كَثِيرَةٌ، فَأَبِ وَأَبِ أَقْبِلْ تَوْبَتَكَ حَتَّى قَالَ: يَا عَبْدِي إِنْ أَنْتَ ثَبِتَ
ثُمَّ نَقَضْتَ تَوْبَتَكَ، ثُمَّ ثَبِتَ ثُمَّ نَقَضْتَ تَوْبَتَكَ، ثُمَّ ثَبِتَ ثُمَّ نَقَضْتَ، إِنْ

نَقَضْتُ مِائَةَ مَرَّةٍ فَانْتَوَيْتُ يَا عَبْدِي، إِنَّ أَتَيْتُ ثُبْتُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَنَقَضْتُ مِائَةَ مَرَّةٍ فَيَايَ الْآنَ مَفْشُوحٌ فَأَبْتُ وَتُبْتُ أَفْئَلُ تَوَيْتُكَ، وَقَدْ صَدَّقَ مَنْ قَالَ: (أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَزُبُّ عَفْوٍ).

٥ - تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

تِلَاوَةُ جُزْءٍ أَوْ نِصْفِ جُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّ يَوْمٍ.

أَدْلَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

الدليل الأول : قال تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].
أمر في هذه الآية بتلاوة القرآن الكريم، ولهذا يأمر المشايخ سالكِي الطَّرِيقَةِ بتلاوة القرآن الكريم.

الدليل الثاني : قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَهُمْ كَتَبَ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

أَدْلَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :

الدليل الأول : رَوَى الطَّبْرَانِيُّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يُوصِيهِ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِكْرُكَ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ».

[المعجم الصغير للطبراني]

الدليل الثاني : عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ».

الدليل الثالث : رَوَى الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثُ

تَصُدُّ كَمَا يَصُدُّ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا جَلَّوْهَا؟ قَالَ: «كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ».

الدليل الرابع: رَوَى الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْخَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْلَطَرِينَ».

[سنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٥]

الدليل الخامس: رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَبُو دَاوُدَ فِي رِوَايَةٍ طَوِيلَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ».

[صحيح البخاري ج ١ ص ٧٥٥، وأبو داود ج ١ ص ٢٠٥]

٦ - رَابِطَةُ الشَّيْخِ:

أَصْلُ أَصُولِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ رَابِطَةُ الشَّيْخِ، وَهِيَ اتِّصَالُ الشَّيْخِ وَإِشْعَارُهُ بِأَوْضَاعِهِ بِالْحُضُورِ عِنْدَهُ أَوْ بِالرَّسَالَةِ أَوْ الْهَاتِفِ أَوْ غَيْرِهَا وَقَضَاءُ الْحَيَاةِ وَفَقَى تَرْجِيهِهِ.

أدلة من القرآن المجيد: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] فَاتَّبَاعُ الشَّيْخِ اتِّبَاعُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الشَّيْخَ مَلِيَّةٌ بِالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَدَّ لِلاتِّبَاعِ مِنَ الْإِطْلَاعِ.

أدلة من الأحاديث:

الدليل الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

[رواه أبو داود والترمذي]

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِمُحِبَّةِ

الشيخ ويتخذهُ خَلِيلَهُ ومُرْشِدَهُ، حتّى يَسْهُلَ لَهُ الاضْطِباعُ بِصِبْغَةِ الدِّينِ .
قال النبي ﷺ: « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا » .

[الترمذي]

وهذه هي صُحْبَةُ الشَّيْخِ ورَابِطَتُهُ .

الدَّلِيلُ الثَّانِي: قال النبي ﷺ: « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

[البخاري، ومسلم]

هذا الحديثُ كافٍ وافٍ ومُتَابٍ لِسَالِكِي الطَّرِيقَةِ، فَالسَّالِكُ إِذَا جَعَلَ
ارتباطَهُ بِشَيْخِهِ قُوًى بَلْ أَقْوَى يَجِدُ حَبَّةَ أَشَدَّ وَهَذَا آيَةُ سَمَاعِ بُشْرَى الْمَرْءِ
مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنتَ مَعَ مَنْ
أَحْبَبْتِ، فَالرَّابِطَةُ بِالشَّيْخِ هِيَ مُلَخَّصُ الْأَوْرَادِ وَعِظْرُهَا، وَهُوَ تَفْسِيرُ
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ: قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « عَلَيْكُمْ بِمَجَالَسَةِ
الْعُلَمَاءِ وَاسْتِمَاعِ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَ بِثَوْرِ
الْحِكْمَةِ كَمَا تُحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ بِمَاءِ الْمَطَرِ » .

[الترغيب والترهيب]

وَقَضَاءُ الْوَقْتِ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ عَمَلٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ
الشَّرِيفِ .

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: رُوِيَ فِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِصَّةُ رَجُلٍ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ مِائَةَ قَتِيلٍ ثُمَّ نَدِمَ فَقِيلَ لَهُ: انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا
وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَسًا يَعْْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَاغْبِذِ اللَّهَ مَعَهُمْ .

[رياض الصالحين]

إِذَا حَضَرَ السَّالِكُ إِلَى زَاوِيَةِ شَيْخِهِ وَجَدَ جَمْعًا مِنَ السَّالِكِينَ يَصْذُقُ
عَلَيْهِمْ أَنَسًا يَعْْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَيُنَالُ سَعَادَةَ الْعَمَلِ (فَاغْبِذِ اللَّهَ مَعَهُمْ) .

الدليل العقلي: يذهب المريض إلى الدكتور فيفحصه الطبيب ويكتب له وصفة طبية ويقول: ارجع إلى البيت وتناول هذا الدواء لأيام كذا وكذا، ثم ائت إلي وأخبرني عن أمرك. هكذا يعطي المرشد مريدَه وصفة الأوزاد الروحانية ويقول: التزم بهذه الأوزاد وأخبر عن أوضاعك حيناً فحيناً. وهذه هي الرابطة بالشيخ.

شواهد شعرية:

ذُكِرَ أبيات من شعراء الأمة في أهمية رابطة الشيخ.

قال شاعر ما معناه:

مَنْ كَانَ يَرِيدُ صُحْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَلْيُجَالِسِ الْأَوْلِيَاءَ.

وقال آخر ما معناه:

صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ تَجْعَلُكَ صَالِحاً، وَصُحْبَةُ الْأَشْقِيَاءِ تُصَيِّرُكَ شَقِيئاً.

وقال آخر ما معناه:

إِنْ كُنْتَ صَلَاحاً أَوْ رُحَاماً فَادْهَبْ إِلَى صُحْبَةِ أَهْلِ الْقَلْبِ تَكُنْ لَوْلُؤاً.

وقال آخر ما معناه:

اتركِ القَالَ واتَّخِذِي الْحَالَ وَاقْنَدِي رَجُلًا كَامِلًا تَكُنْ صَاحِبَ حَالٍ،
وَأَلْقِي الْكِتَابَ وَمِائَةَ وَرَقَةٍ فِي النَّارِ وَاجْعَلِي الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ إِلَى صَاحِبِ
حَالٍ.

وقال آخر ما معناه:

وَجَدْتُ يَوْمًا فِي الْحَمَّامِ ثُرَابًا مَطْيَبًا (خوشبو دار) مِنْ يَدِ الْحَبِيبِ،
فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مِسْكٌ أَوْ عُنْبُرٌ، فَإِنِّي رَاغِبٌ فِي طِبْيِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي
كُنْتُ ثُرَابًا خَفِيراً، وَلَكِنْ صَحَبْتُ الْوَرْدَ مَدَّةً فَعَمِلَ جَمَالُ صَاحِبِي عَلَيَّ
وَالَا فَأَنَا ذَلِكَ التُّرَابُ الْخَفِيرُ الَّذِي كُنْتُ.

وقال آخر ما معناه :

يعرقُ السَّمْعُ القَدِيمَ مَوْجُ نَفْسِهِمْ ما إذا استتر في صُدُور أَهْلِ
الْقَلْبِ، يَا رَبِّ! لَا تَسْأَلْ إِنْ أَحْيَيْتَ هَؤُلَاءِ الْأَبْسِينَ الخُرْقَةَ يَجْلِسُونَ
وَالْيَدَ الْيَضَاءَ فِي جُيُوبِهِمْ، إِنْ نَبَغَ حَمَاسَ الْقَلْبِ فَأَخْذَمَ الْفُقَرَاءَ، فَإِنْ هَذَا
الْجَوْهَرُ لَا يَوْجَدُ فِي كُنُوزِ الْمُلُوكِ.

الباب العاشر

أعمال اليوم والليلة

على السالك أن يقوم في آخر ساعة من الليل للتهجد . قال سيدنا الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه : سبق طيور السحر في قيام الليل من أثواب ندامتك . رأى شخص في المنام الشيخ جنيداً البغدادي رحمه الله بعد وفاته فقال له جنيداً : غابث جميع الكشوف والكرامات . ما نفعك إلا ثواب آخر الليل . للشيخ الخواجه أبي سعيد أبي الخير في التهجد رباعي مشهور معناه :

قم ليلاً فإن العشاق يتاجرون ليلاً . يطهرون حول أبواب الحبيب وسقفيه .

يغلق جميع الأبواب ليلاً إلا باب الحبيب الذي يفتح ليلاً .

بعد القيام من النوم يدعو بالدعاء المسنون .

يُنظف الجذاء فيلبس الثعل الأيمن أولاً ثم الأيسر ، ثم يذهب إلى الحمام ثم يتوضأ مع قراءة الأدعية المسنونة . (قراءة الأدعية المسنونة في الأوقات المختلفة المناسبة مهمة جداً لا يتكاسل فيها أبداً فإنها تساعد الإنسان للوقوف القلبي) .

زوي عن الخواجه عبيد الله الأحرار أنه كان يقول بعد الوضوء ثلاثاً : اللهم ثبت من كل خطيئة وذنب أذنبته . والهدف من هذا الدعاء الثوبة والاستغفار لينال الطهارة الباطنية مع الطهارة الظاهرة ، وبهذا يسهل

حُصُولَ كَيْفِيَّاتٍ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهو أَقْصَى الغَايَاتِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ.

يُصَلِّي بَعْدَ كُلِّ وُضُوءٍ رُكْعَتِي تَحِيَّةِ الْوُضُوءِ. كَانَ سَيِّدُنَا بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَاطِبُ عَلَيْهَا.

عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَضْحَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ، يَمَّ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خُشْخُشَتَكَ أَمَامِي»، فَقَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَذْنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رُكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رُكْعَتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِهِمَا».

[جامع الأصول ج ٨ ص ٥٧٦]

يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى مِنْهُمَا سُورَةَ الْكَافِرِينَ وَفِي الثَّانِيَةِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ.

يُصَلِّي صَلَاةَ التَّهَجُّدِ بِكَمَالِ خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ أَوْ ثَمَانٍ رُكْعَاتٍ أَوْ اثْنَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً.

كَانَ الْحَوَاجَةُ أَبُو يَوْسُفَ الْهَمْدَانِي يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ رُكُوعًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِيهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ وَآخِرَ رُكُوعٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَمَانِ رُكْعَاتٍ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ عَشْرَ آيَاتٍ يَتَمُّ فِيهَا سُورَةُ بَسْمِ، وَيَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ ثَلَاثًا. (وَالشَّيْخُ أَبُو يَوْسُفَ الْهَمْدَانِي هَذَا اسْتَفَادَ مِنْ صُحْبَتِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، وَالشَّيْخُ الْحَوَاجَةُ مُعَيَّنَ الدِّينَ الْأَجْمِيرِي، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّهُ شَيْخُ التَّعْلِيمِ لِهَمَّا).

كَانَ الْحَوَاجَةُ عَزِيزَانِ عَلَيَّ الرَّامِتَنِي يَقُولُ: تَجْتَمِعُ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ بَسْمِ فِي التَّهَجُّدِ ثَلَاثَةُ قُلُوبٍ: قَلْبُ اللَّيْلِ أَيْ الْجُزْءُ الْآخِرُ مِنْهُ، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ

أي سورة يس، وقلب الإنسان. واجتماع هذه القلوب الثلاثة سبب قبول الدعاء إن شاء الله تعالى.

كان الخواجه غيب الله أحرار يقول: إن فات التهجد أحياناً يقضيه قبل نصف النهار، والسالك الذي لا يتيقن بالقيام يصلي النوافل قبل النوم.

كان الخواجه بهاء الدين نقشبند البخاري رحمه الله تعالى يقرأ في أذعية التهجد آياتاً معناها:

جنتك اللهم مستعيداً بك يا إله العالمين، جنتك أحمل ثقل ذنوبي جنتك وقد جعلت ذنوبي ظهري يصفين. يا معيد العالمين أتيت إلى بابك عاجزاً متضرعاً. لا أقول إني قضيت سنوات في طريقك، أنا ضال جنتك متوجهاً إلى طريقك، جنتك يا مالك الملك بأربعة أشياء ليست في كثرك وهي: العدم والاحتياج والتعذرة والمغصبة. جنتك بقلب فقير وقلب مكشوف والاحتياج والخذلان. جنتك بها كلها شاهدة على دعوى عشقك. فانظر إلي نظرة رحمة وانظر إلى بياض شعري فإني جنتك بوجه أسود من الندم.

وليدع السالك أحياناً بمناجاة منسوبة إلى سيدنا الصديق رضي الله عنه، ويعد الفراغ من الدعاء يستغفر الله تعالى مائة مرة، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة. سأل رجل شيخ العرب والعجم مولانا عبد الغفور العباسي رحمه الله ماذا نعمل أولاً الاستغفار أو الصلاة على النبي ﷺ؟ فقال: الاستغفار مثل صابون غسيل الثوب، بينما الصلاة على النبي ﷺ كطيب الثياب، فهل تطيب الثوب أولاً أو تغسلها بالصابون؟ فأجاب السائل: يا سيدي! المناسب أن تغسل بالصابون ثم تطيب بالطيب فقال: كذلك استغفر الله أولاً بكمال ثم حتى يظهر القلب ثم تصلي عليه

بمحبة واخترام حتى تنطيب ويدخل طيب حب الرسول ﷺ في عضو عضو.

ويستغل بعد التسبيحات في الذكر والمراقبة أي في ذروس أعضائها شيخه ويراقب بتوجه كامل بعد دفع جميع الوسوس، وقد وصى الخواجه بهاء الدين نقشبند البخاري رحمه الله للشيخ مولانا محمد يعقوب الشرخي رحمه الله أن اشتغل في الدرس الباطني قبل طلوع الصباح.

بؤدي ركعتي الفجر في البيت فإنه سنة ثم يخرج إلى المسجد ويؤدي صلاة الفجر جماعة مع التكبيرة الأولى، ويلتزم محافظة التكبيرة الأولى على نفسه في الفرائض، فإنه شيعار الصلحاء، وكان مشايخ سلسلتنا العالية لا تفوت لهم التكبيرة الأولى شهوراً متواصلة.

يدخل المسجد بعد قراءة الأذعية المستثونة ويتوي الاعتكاف ويستقبح جداً الاشتغال بالتكلم عن أمور الدنيا في المسجد ويصلي كل صلاة كأنها آخر صلاة في الحياة حتى ينال عزلة كاملة.

يسبح بعد كل صلاة بتسبيحات فاطمية ثم يقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» مرة واحدة، ويقرأ آية الكرسي مرة وي زيد عليها بعد الفجر والمغرب «اللهم أجزني من النار سبع مرات و: «اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» عشر مرات. كان مرشد العالم رحمه الله تعالى يواظب على هذا العمل.

يقرأ بعدها جزءاً من القرآن الكريم ويقرأ الحفاظ حسب احتياجهم ويتخذ قراءة سورة يس من أعمال يومية.

ويصلي أربع ركعات للإشراق عندما ترتفع الشمس قدر رُمح أو رُمحين وله ثواب حج وعمره. كان الشيخ مولانا محمد يعقوب شرخي

يَقْرَأُ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَوَصَّاهُ بِهَا الشَّيْخُ سَيِّدُ الدِّينِ الْبَاقُورِي.

[الرسالة السنية ص ٣٣]

كَانَ مَشَايِخُ بُخَارَى يَتَوَوَّنُ الْاِسْتِخَارَةَ فِي نَوَاقِلِ الْاِسْتِشْرَاقِ، ثُمَّ يَنَامُونَ قَلِيلًا لِيَبَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالَ الْيَوْمِ كُلِّهِ، وَكَانُوا يُدَاوِمُونَ عَلَى قِرَاءَةِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَسُورَةِ الْكَافُرُونَ، وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَسُورَةِ الْفُلُقِ، وَسُورَةِ النَّاسِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ. وَيَهْدُونَ ثَوَابَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

ثُمَّ مَنْ يَشْتَغِلُ بِالتَّعْلِيمِ أَوْ التَّعَلُّمِ فَلْيَشْتَغِلْ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا أَوْ مُوظَّفًا فَلْيَشْتَغِلْ فِي عَمَلِهِ مُرَاعِيًا الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، وَلْيُزِمَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَقُورَ بِالْعَمَلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمَّا لَا لِلَّهِمْ خَيْرٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وَهَذَا يُقَالُ لَهُ: الْوُقُوفُ الْقَلْبِي أَيْ تَكُونُ الْيَدُ مُشْتَغِلَةً بِالْعَمَلِ وَالْقَلْبُ مُشْغُولٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لِصَلَاةِ الضُّحَى عِنْدَمَا يَزْدَادُ ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ. كَانَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه عُبَيْدُ اللَّهِ أَخْرَارَ يُصَلِّي فِي الرُّكْعَةِ مِنَ الضُّحَى سُورَةَ وَالشَّمْسِ وَضَحَّاهَا، وَفِي الثَّانِيَةِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَفِي الثَّالِثَةِ: وَالضُّحَى، وَالرَّابِعَةِ: أَلَمْ تَشْرَحْ.

[أنفاس نفسية ص ١٧]

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى لِمَشَاغِلِ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ مُوَاطَنَةِ مَكْتَبِيَّةٍ فَلْيُصَلِّ فِي وَقْتِ الْإِشْرَاقِ رَكْعَتَيْنِ بِنِيَّةِ الْإِشْرَاقِ وَأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِنِيَّةِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَهَذَا الْعَمَلُ أَحْسَنُ وَأَنْسَبُ لَزَمَانِنَا.

إِنْ أَمَكَنَّ بَعْدَ الْعَدَاءِ أَنْ يَفِيلَ فَلْيَقِلْ، فَإِنَّ الْقَيْلُولَةَ سُنَّةٌ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وبها تيسر المواظبة على التهجد، وعندما زالت الشمس فليصل أربع ركعات لسنة الظهر، وليصل أربع ركعات لصلاة الظهر في المسجد بجماعة.

كَانَ الْخَوَاجَه عَبْدُ اللَّهِ أَخْرَارَ يَقُولُ: لِيَقْرَأَ بَعْدَ الظُّهْرِ كَلِمَةً (باز گشت) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهِيَ: إِلَهِي مَقْصُودِي أَنْتَ وَرِضَاؤُكَ هَبْ لِي حُبَّكَ وَمَعْرِفَتَكَ وَالرَّغْبَةَ وَالشَّوْقَ إِلَيْكَ.

[أنفاس نفسية ص ٨٤]

بَعْدَ الظُّهْرِ يَشْتَغِلُ فِي أَعْمَالِهِ وَإِنْ كَانَتْ فُرْصَةً، فليقرأ دلائل الخيرات، أو جزب البحر حسب ما أذن له شيخه، ويقرأ الشجرة الشريفة مرة، وإن كان في الوقت سعة فليطالع كتب الحديث أو الفقه أو التصوف، وخاصة مکتوبات الإمام الرباني، أو المکتوبات المغصومية أو سير مشايخ السلسلة النقشبندية، وعمل بعض المشايخ قراءة سورة الفتح بعد الظهر أيضاً.

بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ يَشْتَغِلُ فِي الْأُورَادِ وَالْوِظَائِفِ. قَالَ الْخَوَاجَه دوست محمد القندهاري: ليراقب السالك على لطائفه بالترتيب الآتي:

عَلَى لَطِيفَةِ الْقَلْبِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى ٥٠٠٠ مرة، وَعَلَى لَطِيفَةِ الرُّوحِ ١٠٠٠ مرة، وَعَلَى لَطِيفَةِ السِّرِّ ١٠٠٠ مرة، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْخَفِيِّ ١٠٠٠ مرة، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْأَخْفَى ١٠٠٠ مرة، وَعَلَى لَطِيفَةِ النَّفْسِ ٢٠٠٠ مرة، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْقَالِبِ ١٠٠٠ مرة، يَغْنِي مَجْمُوعُ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ ١٢٠٠٠ مرة.

يَصَلِّي الْمَغْرِبَ بِجَمَاعَةٍ، ثُمَّ يُؤَدِّي سِتَّ رَكَعَاتٍ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً بَنِيَّةً صَلَاةَ الْأَوَابِينَ، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، وَسُورَةَ أَلَمِ السَّجْدَةِ، وَسُورَةَ الدَّخَانِ.

ثم يأكل ويشرب ويصلي العشاء بجماعة ويستغفر مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يقرأ سورة المُلِك .

كَانَ عَمَلُ مُرْشِدِ الْعَالَمِ رَجَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً، وَسُورَةُ الْفَاتِحَةِ مَرَّةً، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً، وَسُورَةُ الْكَافِرُونَ وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ وَالنَّاسِ مَرَّةً، ثُمَّ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حِصَاراً ثُمَّ يَنَامُ لَيْلاً، وَهَذَا الْعَمَلُ مُفِيدٌ جَدّاً لِلْحِفْظِ .

عَلَى السَّالِكِ أَنْ يَؤَظِّبَ عَلَى قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالْمَعُودَتَيْنِ وَتَسْبِيحَاتِ فَاطِمِيَّةٍ بَعْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ وَيَصَلِّي صَلَاةَ التَّسْبِيحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيُحَاوِلُ اغْتِكَافَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ . وَيَحَاوِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ نِصْفِ شَعْبَانَ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ، وَلَيْلَةِ عِيدِ الْأَضْحَى .

وَيَحَاوِلُ أَنْ يَصُومَ الْأَيَّامَ الْبَيْضَ أَيْ الثَّلَاثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ قَمَرِيٍّ، وَسِتّاً مِنْ شَوَّالٍ، وَتِسْعاً مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى تَاسِعِهِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ، وَثَمَانِيَةً مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَإِنْ كَانَ أَغْرَبَ فَلْيَكْثِرْ مِنْ صِيَامِ الثَّقَلَيْنِ . وَخَيْرُ الصِّيَامِ الصَّوْمُ يَوْمًا وَالْإِفْطَارُ يَوْمًا . وَصِيَامُ الذَّهْرِ مَكْرُوهٌ .

وَإِنْ كَانَ فِي ذِمَّتِهِ صَلَوَاتٌ فَآتِيَةً أَوْ صِيَامٌ فَلْيَقْضِهَا أَوَّلًا، وَلْيَحْفَظِ الْأَذْيَمَةَ الْمَسْنُونَةَ لِلْمُنَاسِبَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَلْيَدْعُ بِهَا فِي مَوَاقِعِهَا .

لِيَهْتَمَّ لِلصُّحَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ الصُّحَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» . كَانَ مَشَايِخُنَا يَتَجَوَّلُونَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ صَبَاحاً وَمَسَاءً .

إِنْ أَرَادَ التَّعْدِيلَ فِي الْأَوْرَادِ فَلْيَسْتَأْذِنْ شَيْخَهُ .

الباب الحادي عشر

في المعارف والحقائق

ملحوظة: ذُكرت في هذا الباب لإفادة السالِكين معارفٌ وحقائقٌ أُخِذت من كتب التصوف المعتمدة.

الدنيا:

ذَكَرَ شَخْصٌ الدُّنْيَا بِشَوْءٍ عِنْدَ رَابِعَةِ الْبَصْرِ فَقَالَتْ: لَا تَأْتِنِي بِغَدِ الْيَوْمِ لِأَنَّكَ تَحِبُّ الدُّنْيَا كَثِيرًا.

مَنْ سَافَرَ فِي الدُّنْيَا الْمَادِيَّةِ يُصَابُ قَدَمُهُ بِالْقُرُوحِ، وَمَنْ سَافَرَ فِي الدُّنْيَا الرُّوحَانِيَّةِ يُصَابُ قَلْبُهُ بِالْعُيُوفِ.

اتَّصِلُوا بِالدُّنْيَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ كَالْحَمَامِ.

طَالِبُ الدُّنْيَا كَشَارِبُ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا يَشْرَبُ يَزْدَادُ عَطَشًا.

قَالَ مَلِكٌ لِفَقِيرٍ: اسْأَلْنِي يَا فَقِيرٌ مَا تَرِيدُ. فَقَالَ الْفَقِيرُ: مَاذَا أَسْأَلُ

عَبْدُ عَبْدِي؟ فَقَالَ الْمَلِكُ: مَاذَا تَغْنِي؟ فَقَالَ الْفَقِيرُ: الدُّنْيَا عَبْدِي وَأَنْتَ عَبْدُ الدُّنْيَا.

قِيلَ لَذِي الثَّوْنِ الْمَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْجَمَاعَةُ الْفُلَانِيَّةُ مُشْتَغَلَةٌ فِي

الْفَرَحِ وَالطَّرَبِ وَالْعِضْيَانِ، فَأَدْعُ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا مَنَحْتَ لَهُمُ

الْأَفْرَاحَ فِي الدُّنْيَا فَامْنَحْ لَهُمُ الْأَفْرَاحَ فِي الْآخِرَةِ.

الدُّنْيَا حَقِيقَتُهَا كَغَائِطٍ زَيْنٌ بَوْرَقِ الْفِضَّةِ أَوْ كَعَجُوزٍ أَلْبِسَتْ ثِيَابًا

جَمِيلَةً.

لَوْ قَامَ النَّاسُ لِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَلَا تَعَجَّبْ أَفَلَا يَقُومُ النَّاسُ لِلْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ.

إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَعْرِفَةَ تَدْبِيرِ أَحَدٍ، فَانْظُرْ إِلَى دُنْيَاهُ. إِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا صَحِيحَةً فَالَّذِينَ صَحِيحٌ.

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ خَالِيًا عَنِ الْغَيْرِ، وَالْبَطْنُ خَالِيًا عَنِ الْحَرَامِ، فَكُلِّ اسْمِ اسْمٍ أَعْظَمَ.

قَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ: تَرَعْرَعْتُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَكْثَرَ نَفْعًا مِنْ ضَوْءِ الْقَلْبِ.

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ أَسْوَدَ فَلَا يَنْفَعُ الْأَعْيُنَ اللَّامِعَةُ شَيْئًا.

يُفْسَدُ بَيْتٌ لَا زِينَةَ فِيهِ، كَذَلِكَ يُفْسَدُ قَلْبٌ لَا غَمَّ فِيهِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: الْقَلْبُ كَالْقِدْرِ وَاللِّسَانُ كَالْمِلْعَقَةِ. وَلَا تُخْرِجِ الْمِلْعَقَةَ إِلَّا مَا فِي الْقِدْرِ.

سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: غِنَاءُ الْقَلْبِ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقَلْبُ غَنِيًّا.

لَا يَكُونُ فِي سُوقِ الْقِيَامَةِ سِلْعَةٌ أَثْمَنُ مِنْ تَطْيِيبِ قَلْبٍ مُؤْمِنٍ.

عِبَادَاتُ :

شَيْئَانِ كَانَا عِبَادَةً فِيمَا مَضَى وَأَضْبَعَا الْيَوْمَ عَادَةً: النُّكَاخُ وَالطَّعَامُ.

سَبَبُ عَدَمِ الطَّمَانِينَةِ فِي الصَّلَاةِ الْمَعَاصِي. كَمَا لَوْ أَنَّ عَامِلًا فِي مَصْنَعٍ جَلِدٍ يَذْهَبُ إِلَى دُكَّانٍ عِطَارٍ يَضِيقُ نَفْسَهُ.

أَوَّلُ حُضُورٍ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُصَلِّيَ بِنِيَّةِ الْمَغْفِرَةِ.

أَخْفَى بِقَالَ صِيَامُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. رُغِمَ أَهْلُهُ أَنَّهُ تَغَدَّى فِي

الدُّكَّانَ، وَزَعَمَ أَهْلُ الدُّكَّانِ أَنَّهُ أَكَلَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ الْإِثْنَانِ. لَمْ يُخْبِرْ أَحَدًا بِصِيَامِهِ. هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ.

عِبَادَةُ لَا تُعْطِي لَذَّةً فِي الدُّنْيَا مَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهَا فِي الْآخِرَةِ؟
ذَهَابُكَ إِلَى الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةٍ أُخْرَى عَلَامَةُ قَبُولِ الصَّلَاةِ الْأُولَى.
وَرُودُ الْخَيَالَاتِ الْمَحْمُودَةِ فِي الصَّلَاةِ كَعِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْقَبْرِ
وَالْخَشَرِ وَالْجَنَّةِ لَا يُنَافِي الْخُشُوعَ، كَانَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقِيمُ صُفُوفَ
الْجِهَادِ فِي الصَّلَاةِ.

قَالَ الشَّيْخُ النَّائِزِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِقْيَاسٌ فَلِإِنْ
ازْدَادَتْ الْحَسَنَاتُ بَعْدَ الْحَجِّ فَخَيْرٌ وَإِنْ غَلَبَ الشَّرُّ فَفَسَادٌ وَهَلاكٌ.
يَضَعُ الْإِنْسَانُ فِي الصَّلَاةِ أَشْرَفَ الْأَغْضَاءِ (الْوَجْهَ) عَلَى أَحْسَنِ
الْأَشْيَاءِ (الْأَرْضِ) وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ: الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِينَ.

التوبة:

الْإِثْمُ بِدَايَتِهِ كَتِيبَتِ الْعَنَكُوتِ، وَنَهَايَتُهُ كِمَرَسَى السَّفِينِ وَالْبَاحِرَةِ.
مَنْ تَدِمَ عَلَى الْإِثْمِ فَهُوَ وَلِيٌّ، وَمَنْ لَا يُبَالِي بِالْإِثْمِ فَهُوَ إِنْسَانٌ، وَمَنْ
يَفْرَحُ عَلَى الْآثَامِ فَهُوَ الشَّيْطَانُ.
لَا تُنْظَرُوا إِلَى الْإِثْمِ مَا أَضْعَفَهُ، بَلِ انْظُرُوا إِلَى عِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
الَّذِي تَغْضُوهُ.

لَوْ تَغْلِقُونَ الْأَبْوَابَ لِإِخْفَاءِ الْمَعَاصِي لَيَقَى الصَّدَقُ خَارِجًا.
لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ طَرِيقَانِ: الْأُولَى: الْعِصْمَةُ قَبْلَ
الْمَعْصِيَةِ، وَالْأُخْرَى: تَوْفِيقُ التَّوْبَةِ بَعْدَ الذَّنْبِ.

ذَنْبٌ يُسَبِّحُكُمْ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَسَنَةٍ تُفَرِّحُكُمْ.
عَلَامَةُ صِدْقِ التَّوْبَةِ أَلَّا يَتَّهِمَ بِتِلْكَ الْمَعْصِيَةِ.

لا يوجد شخص ترك شيئاً مكرهاً ولم يترك شيئاً عزيزاً.
قال إبراهيم النخعي: الإخلاص أن يخفي الإنسان الحسنات كما
يخفي السيئات.

ارتكاب ذنب بنية أن يترك بعد المباشرة مرة أو مرتين خطأ كبيراً.
كما أن الشجر لا يستقل ثمره كذلك الإنسان لا يستقل آثامه.
على الزايع أن يذكر الناس بالآلاء الله تعالى حتى يشكروا، ويذكرهم
بذنوبهم ليثوبوا، ويذكرهم عداوة النفس والشيطان حتى يعذبوا.
تخفي في النفس جميع الذنوب كما تخفي النار في الكبريت.
تشتعل نار الآثام بمجرد حكمة.

الشيخ والمريد:

سكوت المرشد أنفع للطالب الصادق من نطقه.

تطبخ - يأتي وقت تستد قوته إن أنزلوها فيها وإلا تخف قوته.
مثال تفاوت عدد المریدین لشيخین كسائین: أحدهما صاحب
أولاد والثاني عقيم، ولكن الرجولية سواء.
ياخذ المرید الفيض من الشيخ كما يأخذ الناس العسل من النحل.
ينبغي للشيخ أن يوصي بشيئين: الأول: إصلاح الأخلاق،
والثاني: تحصيل العلم بقدر الحاجة.
يفكر عند نظر السوء أنه لو كان الشيخ ينظر لا يفعل، فكذلك
يستحي من الله.

قال غافل لشيخ: مریدك يذكر مرأياً فقال: عنده سراج ضعيف
فیرجى له المغفرة وما عندك مثله أيضاً.

مَنْ حَافِظٌ عَلَى الْأَوْزَادِ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ. طُمَأَيْنَةُ الْقَلْبِ
أَمَتُهُ تَأْتِيهِ بِدُونِ مَشَقَّةٍ.

عَلَى السَّالِكِ أَنْ يَكْتَفِي عَلَى قَضَاءِ ضَرُورَاتِهِ وَلَا يَتَّبِعَ اللَّذَاتِ.
فَمَنْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ بَاتِيَ زَوْجَتَهُ، وَلَيْقُضَ حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَاللَّهُ
الْمَوْفِقُ.

الْمَجْدُوبُ وَإِنْ كَانَ مَقْبُولًا لَكِنَّهُ نَاقِصٌ وَلَيْسَ بِكَامِلٍ.
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ».

[شرح السنة ج ١ ص ٢٥٦]

فَالشَّيْخُ الزَّوْحَانِيُّ كَالْوَالِدِ وَزَوْجَتَهُ كَالْأُمِّ.

قَالَ الشَّيْخُ أَمْدَادُ اللَّهِ الْمُهَاجِرُ الْمَكِّيُّ: أَبَايُ كُلُّ شَخْصٍ يَرْغَبُ فِي
الْبَيْعَةِ. لَعَلَّهُ يَرَى شَيْخَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى جَهَنَّمَ، فَيَرْحِمُهُ الْمُرِيدُ
فَلَعَلِّي يُغْفِرُ لِي بِرُكَّتِهِ.

قَدَّمَ رَجُلٌ هَدِيَّةً إِلَى الشَّيْخِ وَطَلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ، فَقَالَ الشَّيْخُ:
أَرْجِعُوا الْهَدِيَّةَ لَيْسَ هَذَا مَحَلٌّ يَبِيعُ الْأَدْعِيَةَ.

عِنْدَ خِدْمَةِ الشَّيْخِ يَتَوَيَّ الْعَمَلُ بِالسُّنَنِ إِذْ هِيَ ثَابِتَةٌ بِالْأَخَادِيثِ.
وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ دَهْنُ الرَّأْسِ بِالرَّوَايَاتِ فَيَنْبَغِي نِيَّةُ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ.

لِيُخَسِّبَ الشَّيْخُ الْمُرِيدَ الْآثِمَ كَوَجْهِ جَمِيلَةٍ أَضَابَهُ جَبَرٌ أَسْوَدَ لَوْ
اغْتَسَلَتْ ظَهْرُ وَجْهِهِ مُقْمِرٌ.

الْعَارِفُ بِالْحَقِّ يَرَاعِي الشُّؤُونَ وَالتَّجَلِّيَّاتِ لَمَّا وَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ غَلِيَةً
تَجَلِّيَّاتِ الْمَحْبُوبِيَّةِ رَأَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يَفْخَرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ
تَهْلَكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ».

[سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٧]

رَأَى أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى مِنْهُ الصَّبْرَ، فَلَمْ

يدعُ للشفاء. ولَمَّا انْكَشَفَ لَهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِظْهَارَ الْعِبَادِيَّةِ قَالَ: ﴿إِنِّي مَسْنِي
الْشَّيْطَانُ يُغْصِبُ وَعَدَابٌ﴾ [ص: ٤١].

ليكن الشيخ لساناً والمريد أذنًا، ويتبعني للمشايع ألا يظلموا عامة
المريدين بأمور يبتغيهم فإنه مضر وليس بنافع.
الفاني لا يرد كالبالغ لا يرجع إلى الصبي، والشمز الناصح لا يعود نيناً.

التقوى:

التقوى: أن لا يأخذ أحد برفقتك يوم القيامة.
التقوى: أن يجسد متمنيات القلب فيوضع في الطبق ويعرض في
الأسواق فلا يكون ندامة.
ولذلك في زمان استعادة السلف الصالحون منه مع اتصافهم بالعلم
والتقوى.
ورود الوسوس رخصة لا ينافي التقوى. والحكمة فيه أن يتقطع بها
أساس العجب. «ذلك صريح الإيمان».
تتعلق الرلاية بالإيمان والتقوى، وهما تتعلقان بقلب الإنسان.
التقدم بدون التقوى كجثة متفوحة لا روح فيها.

الذكر والمراقبة:

السالك يطمئن بالمراقبة كما يطمئن الولد في حجر أمه.
يخفر البشر فيخرج الرمل أولاً ثم الماء. كذلك المبتدئ يرد له
الوسوس أولاً في المراقبة ثم يحصل الاطمئنان والعزلة.
السالك كالثائم يعرف بعد اليقظة أن المحبوب الحقيقي عنده.
سكر الذكر يخفف خيال الوجود.
الأفضل عند سماع الأذان ترك الذكر والرد على المؤذن.

إِنْ لَمْ يَطْمَئِنَّ فِي الْمُرَاقَبَةِ فَلْيُرَاقِبْ يَوْماً وَلْيَتْرِكْ يَوْماً.

الدَّعَاءُ :

الدَّعَاءُ الْحَقِيقِيُّ مَا يُخْرِجُ مِنْ جَمِيعِ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ .

كَانَ الشَّيْخُ عُثْمَانُ الْحَاوِزِيُّ يُعْطِي الْمَالَ لِلْمُسْتَرْتِينَ مُقَابِلَ الْعُمَلَةِ الْمَزِيْفَةِ، وَدَعَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي قَبِلْتُ مِنَ النَّاسِ الْعُمَلَةَ الْمَزِيْفَةَ، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي الْأَعْمَالَ الْمَزِيْفَةَ، فَتَقَبَّلْ اللَّهُ دُعَاءَهُ).

كَانَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ الْحَطِيبُ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا يَكُنْ عِنْدِي أَحَدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ لَا قَرِيبٌ وَلَا أَجَنَبِي وَلَا مَلِكُ الْمَوْتِ، أَكُونُ أَنَا وَأَنْتَ فَقَطْ .

الدَّعَاءُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ يَرُدُّ الْبَلَاءَ وَيَغْدُو التَّزْوِيلَ لَا يُزِيلُ الْمُصِيبَةَ وَلَكِنْ يُخَفِّفُهَا .

لَوْ تَدْعُو عِنْدَ شَاطِئِ الْبَحْرِ بِالشُّوقِ الْكَامِلِ تَأْتِيكَ الْأَمْوَاجُ بِالْأَضْدَافِ الْمَلِيئَةِ بِاللَّالِئِ .

كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءِ :

اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تُغْفِرْ لِي قَامِلًا مِنِّي جَهَنَّمَ وَأَغْفِرْ لِنَسَائِرِ النَّاسِ .

مِنْ قَوَائِدِ الدَّعَاءِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اللَّهُمَّ إِنِّي دَعَوْتُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي صَالِحًا فَبَعْدَر .

عِلَاجُ الْحَسَدِ أَنْ يَدْعُو لِلْمَحْسُودِ أَنْ تُرْفَعَ دَرَجَاتُهُ .

الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ :

الْإِخْلَاصُ أَلَّا يَطْلُبَ الْإِنْسَانُ جَزَاءَ أَعْمَالِهِ .

مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَمَثَلِ الْيَاقُوتِ الْأَخْمَرِ يَجْعَلُ غَيْرَهُ ذَهَبًا وَيَبْقَى هُوَ حَجَرًا .

مَثَلُ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ مَثَلُ مَرِيضٍ عِنْدَهُ دَوَاءٌ وَلَا يَتَنَاوَلُهُ .
كَمَا أَنَّ السَّرَاحَ لَا يَضِيءُ بِدُونِ إِشْعَالٍ ، كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يَنْفَعُ بِدُونِ
الْعَمَلِ .

عَالِمٌ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَمِثْلَعَفَةٍ فِي أَطْعِمَةٍ لَا تَعْرِفُ لَذَّتَهُ .
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَازْدِيَادَهُ غَيْرَ مُفِيدٍ مَا لَمْ يَزِدْهُ مَخَافَةُ اللَّهِ تَعَالَى .
الْحِجْدُ بِأَيْدِينَا وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَيْنَا أَنْ نُسْتَغْفِرَ مَا فِي
أَيْدِينَا .

الْإِنْسَانُ الْمَتَعَطِّلُ شَرٌّ مِنَ الْمَيِّتِ لِأَنَّ الْمَيِّتَ يَشْغُلُ مَكَانًا قَلِيلًا .
قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ : إِنِّي جَاهَدْتُ نَفْسِي ثَلَاثِينَ عَامًا فَلَمْ
أَرْشِدْ شَيْئًا أَشَقَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ .
اسْتَشْفَعَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ شَيْخًا لِقَضَاءِ شِيرَازَ ، فَكَتَبَ فِي خُطَابِ
الْشُّفَاعَةِ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ ضَالِحٌ عَالِمٌ فَاضِلٌ يَرِيدُ مَكَانَ سَجَادَةٍ فِي جَهَنَّمَ .
كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ لِلخَلْقِ رِيَاءٌ كَذَلِكَ تَرْكُ الْعَمَلِ لِلخَلْقِ رِيَاءٌ .
لَا يَجُوزُ النُّقْدُ عَلَى الْعَالِمِ الشَّيْءَ الْعَمَلُ لِأَنَّهُ يَدْعِي الْعِلْمَ دُونَ
الْعَمَلِ .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَتَّبِعُ فِي أَسْوَاقِنَا إِلَّا مَنْ يَكُونُ فَقِيرًا .
سُبْحَانَ اللَّهِ ! جَعَلَ كُلَّ الدُّوَلَةِ مَدْرَسَةً .

لِلْعُلَمَاءِ الْكَرَامِ :

كَسَرُ تَمَرِدِ النَّفْسِ دَاخِلٌ فِي إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ .
الْمَرَضُ الرُّوحَانِيُّ الْمُنْتَشِرُ الْيَوْمَ : ﴿ يَتَّبِعَتْنَا مِثْلَ مَا أَوْفَكَ قَدْرُودُ إِنَّهُ
لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصاص: ٧٩] .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ : النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ أَكْبَرَ

كرامة للصحابه رضي الله عنهم أجمعين، أن جُنْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهم عَبَّرَ بَخْرَ دَجَلَةَ وَلَكِنْ أَكْبَرُ كَرَامَةٍ لَدَى الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ خَزَائِنَ الْقَيْصَرِ وَالْكَسْرَى مَالَتْ قُدَّامَهُمْ فَمَشَوْا فِيهَا مُحَافِظِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ.

لا خَرَجَ فِي التَّسْبِيَةِ إِلَى النَقْشِبَنْدِي وَالْجَشْتِي، قَالَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاتَّخَذَ إِلَهًا مَبَايِكًا إِذْ رُحِمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٢٨]، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَتَبِعًا لِشَرِيعَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

﴿قَدْ إِنْ كَانَ مَا أَتَاكُمْ﴾ الآية، [التوبة: ٢٤] يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الصَّبْرَ يَنْصَرِفُ عَنِ الْأَذَى عِنْدَ حُضُورِ الْأَعْلَى.

يُسْرِعُ التَّبَيُّضُ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَبِيبِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجِلَّتْ لَوُحِهِمُ﴾ [الأنفال: ٢٠].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

أَسَدُ كِتَابَةِ الْحَسَنَاتِ إِلَى نَفْسِهِ. نَقْدِي بِنَفْسِنَا عَلَى هَذَا الْإِكْرَامِ. لَوْ سَلِبَتْ بِنِعْمَةٍ بَغِيرِ ذَنْبٍ يُجْزَى بِأَخْسَنِ مِنْهَا. يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

سَأَلَ شَخْصٌ الشَّيْخَ أَبَا يَزِيدَ الْبُسْطَامِيَّ وَقَالَ: لِمَاذَا تُثْنِي عَلَى الْجُوعِ كَثِيرًا؟ فَقَالَ: لَوْ أَصَابَ فِرْعَوْنَ جُوعٌ لَمَا قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا﴾ [البازعات: ٢٤].

وَقَدْ مَنَهِجَ الدَّرْسِ النَّظَامِيِّ لِلْعُلَمَاءِ ثَمَانِيَةَ أَغْوَامٍ. وَالشَّاهِدُ لَهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَهْدَ لَخْدَمَةِ شُعَيْبٍ ثَمَانِي سَنِينَ. وَلَكِنْ لِلتَّخْصُّصِ فِي الْحَدِيثِ أَوْ الْفَقْهِ ﴿إِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا قَبْلَ عَمَلِكَ﴾ [القصص: ٢٧].

يَجُوزُ نِسْبَةُ الْأَوْلَادِ إِلَى أَبِي الْأُمِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ﴾

وَسَلِيمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَكِبْنَا وَنَحْنُ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿الأنعام: ٨٤، ٨٥﴾.

ومعلوم أن عيسى ابن مريم لم يكن له والد.

نَفَقَةُ زَيْتٍ مُرْجٍ بَغْضِ السَّلَفِ يَكُونُ أَكْثَرُ مِنْ نَفَقَةِ طَعَامِهِمْ.

ثَبِيْهُ عَظِيْمٌ لِلْعُلَمَاءِ غَيْرِ الْعَامِلِيْنَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَشَرٌ مِّمَّنْ أَلَدِ الْوَلَدِ الْأَوَّلَى﴾ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَاهُ طُهُورُهُمْ ﴿البقرة: ١١٠﴾.

سُئِلَ الْإِمَامُ بِأَقْرَبَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْظَّالِمِينَ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ ﴿البقرة: ٢٥٦﴾ فَأَجَابَ: كُلُّ مَنْ شَغَلَكَ عَنْ مُطَالَعَةِ الْحَقِّ فَهُوَ طَاغُوتُكَ.

قَالَ الشَّيْخُ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رِضَا اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ فِي قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ غُبَارُ النِّفَاقِ.

قال عبد الله بن المبارك: السُّكُونُ حَرَامٌ عَلَى قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ.

العبدُ شأنه: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ النمل: ٤٤، والمغفُود من شأنه: ﴿يَتَوَعَّدُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ الزخرف: ٦٨.

قال الشيخ أبو يزيد البسطامي: مِنَ الْمُحِبَّةِ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْمُحِبُّ مَا يُعْطَى هُوَ، وَأَنْ يَسْتَكْثِرَ الْمُحِبُّ مَا يُعْطِيهِ الْمُحْبُوبُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا قِيلَ﴾ [النساء: ٧٧]، وقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] دليل على محبة الله لإخلايقه.

المُرَادُ بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [لقاطر: ١].

حَسَنُ الصُّوْتِ:

كان الشَّاهُ مِينَا يَدْرُسُ شَرْحَ الْوَقَايَةِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى كِتَابِ الزُّكَاةِ تَرَكَ الدِّرَاسَةَ، فَسَأَلَ الْأُسْتَاذَ لِمَاذَا تَرَكْتَ الدِّرَاسَةَ؟ فَقَالَ: الْمَقْصُودُ مِنْ

الْعِلْمَ الْعَمَلُ، وَالصُّومُ وَالصَّلَاةُ فَرَضَانِ، فَعِلْمُهُمَا فَرَضٌ، وَعِنْدَمَا تُفْرَضُ
الرَّكَاءُ أَتَعْلَمُ مَسَائِلَهَا. سُبْحَانَ اللَّهِ! كَانِ السَّلَفُ يَعْمَلُونَ بِكُلِّ مَا
يَتَعْلَمُونَ.

قَالَ شَخْصٌ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: قَبْلَ يَدِي
السُّلْطَانُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرْضَى أَنْ يُقْبَلَ السُّلْطَانُ يَدِي، فَضْلاً عَنْ أَنْ
أَقْبَلَ أَنَا يَدَهُ.

فَدَخَلَ إِلَى الْمِيرْزَا مَظْهَرِ جَانِ جَانَانَ سُلْطَانَ الْوَقْتِ عِقَاراً كَبِيراً فَقَالَ:
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنْ جَمِيعِ الدُّنْيَا: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] وَأَعْطَيْتِ
شَيْئاً قَلِيلاً مِنْ هَذَا الْقَلِيلِ، ثُمَّ تَعْطِينِي قَلِيلاً جَدّاً مِنْ هَذَا الْقَلِيلِ فَأَنَا
أَسْتَحْيِي مِنْ قَبُولِ مِثْلِ هَذَا.

جَلَسَ شَيْخٌ قَدَامَ أَمِيرٍ بَاسِطاً رِجْلَيْهِ. قَالَ الْأَمِيرُ: أَغْطُوا لَهُ هِمِياناً
مَلِيئاً بِالْذَنَابِيرِ. فَقَالَ: مَنْ يَسْطُرُ رِجْلَيْهِ يَقْبِضُ يَدَيْهِ.

يُنَوَّى عِنْدَ اسْتِخْدَامِ الْعَلِيْبِ (رِضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ قِيلَ: مَنْ تَطَيَّبَ
لِلَّهِ فَلَهُ أَجْرٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ الْبَرُّ أَتَقْوَى إِذَا سَأَلْتَهُمْ طَلَبْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ
مَذْكُوراً فَإِذَا هُمْ مُتَبَصِّرُونَ﴾ [الأمراء: ١٢٠١]. فِيهِ سِلْوَانٌ عَظِيمٌ لِلْمُسَالِكِينَ.

نَادَى بَائِعُ الْقَشَاءِ: الْجِيَارُ الْعَشْرَةُ بِدَانِقٍ، فَصَرَخَ الشَّيْخُ السَّبَلِي
وَقَالَ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ قِيَمَةُ عَشْرَةِ خِيَارَاتٍ فَمَا ثَمَنُنَا نَحْنُ الْأَشْرَارُ.

قَالَ الشَّيْخُ جُنَيْدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأَخْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ: تِلْكَ
خَيَالَاتُ تَرْبِيٍّ بِهَا أَطْفَالُ الطَّرِيقَةِ.

صَدَرَ عَنِ لِسَانِ صَحَابِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نَذاً. بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَدَهُ».

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

في الجزء الأول ذُكِرَ جُفُظَ الْكِتَابِ، وفي الجزء الثاني أَمَرَ الْقِرَاءَةَ بِالْفَهْمِ. فَمِنْ الْخَطَا أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْقِرَاءَةَ بِدُونِ الْفَهْمِ غَيْرُ مُفِيدٍ.

يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَهِّلَ لِلْعَبْدِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ

الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

تَوْجِيهٌ عَجِيبٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] أَيْ لَا تَخَسَّبُوا عِبَادَتَكُمْ كَامِلَةً حَتَّى تَفْتَحُوا وَلَا نَاقِصَةً جَدًّا حَتَّى تَظُنُّوهُا مُهِمَّةً.

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَدَمُ اِطْلَاعِ الْعَبْدِ بِمَا سَيَأْتِي عَدَاً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَفْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ابْتُلِيَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ التَّوْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ بِوَجْدٍ بِسَمَاعِ بَيْتٍ، فَسَأَلَ النَّاسَ جَنِيداً: لِمَاذَا لَا يَخْذُلُ لَكَ أَحْوَالُ؟ فَقَالَ: ﴿وَرَى الْفِجَالُ نَحْسِي﴾ جَانِدَةً [النمل: ٨٨].

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، يُوجَدُ فِيهِ مِثَالٌ لِلْسَّلَاسِلِ الْأَرْبَعِ.

يَكْفِي فِي الْمَهْمَاتِ التَّشَاوُرُ بِوَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُومُوا

فِي مَوَاقِفٍ وَفَرَدَى ثُمَّ تَلَفَعُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ [سبا: ٤٦].

يَزُولُ الْفَخْرُ بِالْعِلْمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنُدْهَبَ بِالَّذِي أَنْجَيْنَا

إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. كَيْفَ يَفْخَرُ بِالْعِلْمِ أَوْ الْعَمَلِ مَنْ يُذْرِكُ مَعْنَى هَذِهِ

الآيَةِ؟

يُسْتَدَلُّ عَلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْجَرِيدَةِ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ.

إِذَا خَضَرَ الْعِشَاءَ وَالْعِشَاءَ فَابْدَأُوا بِالْعِشَاءِ.

يَجُوزُ كَسْبُ الدُّنْيَا وَالْمَنْهِي حُبُّ الدُّنْيَا. بَلْ مِنْ كَمَالِ الرُّحْمَةِ أَنَّهُ

نَهَى عَنْ جَعْلِ الدُّنْيَا أَحَبَّ حَيْثُ قَالَ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾
الآية، [النوبة: ٢٤].

يُجَاوِزُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّرَاطَ فَتَقُولُ جَهَنَّمُ: يَا مُؤْمِنُ أَسْرِعْ فَإِنْ نُورِكَ
أَطْفَأَ نَارِي.

إِذَا رَأَى أَهْلُ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجُورَ الْفُقَرَاءِ يَقُولُونَ: يَا لَيْتَ
جُلُودُنَا قُرِضَتْ بِالْمَقَارِضِ فَتُعْطَى مِثْلُ مَا أُعْطُوا.

لَوْ يَأْتِي يَوْمًا نَدَاءٌ: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَأْتِي غَدَاً نَدَاءٌ: إِنَّكَ مِنْ
أَهْلِ النَّارِ، يَجِبُ أَنْ لَا يَقَعَ أَيُّ تَفَاوُتٍ فِي الْعِبَادَاتِ.

الصَّبْرُ عَلَى كَلَامِ الْجُهَالِ زَكَاةُ الْعَقْلِ.
عَدُوٌّ مَنْ يَمْرُضُ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ أَكْثَرُ مِنْ عَدُوٍّ مَنْ يَمْرُضُ جُوعاً وَفَاقَةً.

مَنْ يَعْمَلْ بِالصَّدَقِ يَقَعُ كُلُّ قَدَمٍ مِنْهُ عَلَى صَدْرِ الشَّيْطَانِ.
الْعَجَبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَطُ يَدَهُ أَمَامَ الدُّنْيَا وَيَشْكُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

يَقْدِرُ قُوَّةَ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ عِنْدَمَا يُحَاوِلُ تَرْكَهَا.
تُنَالُ الْجَنَّةُ بِنُضْفٍ مَا يَشْتَرِي بِهِ النَّاسُ جَهَنَّمَ.

يَجِبُ الْمَعْدَرَةُ لِلَاغْتِرَالِ مِنْ أَحَدٍ. وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ.
كَرَاهَةُ الْمُخَاطَبِ لَيْسَ بِعَذْرٍ لِتَرْكِ التَّبْلِغِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَنْصُرِبْ عَنْكُمُ الرِّجْزَ صَفْعًا أَنْ سَخِرْتُمْ قَوْمًا فَسِرْتُمْ﴾ [الزخرف: ٢٥].
الْإِثْمُ مَا خَالَكَ فِي صَدْرِكَ.

حَقِيقَةُ مَكَّةَ تَجَلِي الْأُلُوْهِيَّةِ، وَحَقِيقَةُ الْمَدِينَةِ تَجَلِي الْعَبْدِيَّةِ، وَحَقِيقَةُ
عَرَفَاتٍ أُمِّيَّةُ الْحُضُورِ.

سَمِعْنَا مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَا سَمِعْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ. اللَّهُ خَفِيفُ الْمِيزَانِ.
الْمُؤْمِنُ فِي جَهَنَّمَ.

المشورات :

تَجْمَعُ فِي الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ الْخُورُ وَالْخُمُورُ وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَمَلٌ وَاحِدٌ مُحَرَّمًا فِي وَقْتٍ وَمُبَاحًا فِي وَقْتٍ آخَرَ .
فَالنَّظَرُ إِلَى الْفَتَاةِ قَبْلَ النِّكَاحِ حَرَامٌ ، وَيَعْدُ النِّكَاحُ قُرْبَةً لِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ رُوحَةً .
النَّفْيُ عَنْ إِسْبَالِ الْإِزَارِ أَشَدُّ تَأْكِيدًا مِنَ الْأَمْرِ بِإِرْخَاءِ اللَّحْيَةِ .

مِثَالُ عَدَمِ التَّأْيِيدِ بِاللِّسَانِ كَزُجْلٍ مِنَ الْعَوَامِ بِأَمْرِ الشَّرْطِيِّ بِالْعَزْلِ لَوْ
أَمَرَهُ مِائَةٌ مَرَّةً لَا يُفْعَلُ ، بَلْ يُعَاقِبُهُ الشَّرْطِيُّ . وَلَوْ أَمَرَهُ الْوَزِيرُ مَرَّةً يَتَعَزَّلُ ،
فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ مَقَامًا ثُمَّ مَا يَخْرُجُ مِنَ اللِّسَانِ كَانَ مُؤَثَّرًا .

ضَرَبَ الشَّاهُ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْسَّلَاسِلِ الْأَرْبَعِ مِثَالًا أَرْبَعَةً
أَنْهَارٍ هَكَذَا :

نَهْرُ الْمَاءِ نِسْبَةً سَهْرُورِيَّةً .

وَنَهْرُ اللَّبَنِ نِسْبَةً نَقْشِبَنْدِيَّةً .

وَنَهْرُ الْخَمْرِ نِسْبَةً جَشْتِيَّةً .

وَنَهْرُ الْعَسَلِ نِسْبَةً قَادِرِيَّةً .

الْعُمْدَةُ فِي الطَّبِّ الْجِسْمَانِيِّ الْمَعْدَةُ وَفِي الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ الدِّمَاغُ .

أَنْ تَذَرِسَ الْإِنْكِلِيزِيَّةَ وَتَتَذَيَّنَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرِسَ الْعَرَبِيَّةَ وَتَلْحَذَ .

حَقِيقَةُ الصَّبْرِ أَنْ تَحْمَلَ الْمَصِيبَةَ الصَّغِيرَةَ لِلرَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ بِسَيْرٍ .

الشَّرِيعَةُ تَحْرِيطُ الْإِنْسَانَ لِلْأَعْضَاءِ وَالْخَوَارِجِ ، وَالطَّرِيقَةُ تُخْرِيطُ
الْأَعْضَاءَ وَالْخَوَارِجَ لِلْإِنْسَانِ .

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ يَكُونُ حَامِلَ الذِّكْرِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَمَنْ حَاوَلَ
إِخْفَاءَ نَفْسِهِ يَكُونُ مَعْرُوفًا بَعْدَ وَفَاتِهِ .

الظُّهُرُ المتخَلَّلُ في مُدَّةِ الحَيْضِ خَيْضٌ، كذلك صِدْقُ الكَذَّابِ يُعْتَبَرُ كَذِباً.

مَنْ المعْجُزُ أَنْ العُطْفَلُ الَّذِي يَحْفَظُ سُورَةَ يُوْسُفَ أَوَّلًا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ سَرِيعاً.

أَثَرُ دُعَاءِ المُرْشِدِ قَوِيٌّ جَدًّا. آمَنَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بثَلَاثِ مِائَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرُ الصُّحَابَةِ رَوَايَةَ لِقُوَّةِ حِفْظِهِ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ. قَضَاءُ الشَّهْوَةِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ حَرَامٌ، كذلك الغَضَبُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ حَرَامٌ.

لَطَمَ الشَّيْخُ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الْخَيْرِ رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَذُّوْهُ لَهُ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ، فَقَالَ الْعَدُوُّ: وَالْقَدْرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِبْ أَنْ أَنْظُرَ أَنْ أَيْ وَجْهِ أَصَابَهُ سَوَادٌ؟

مَاذَا يَكُونُ بِرَوَايَةِ كَلَامِ الْأَكَابِرِ فَقَطْ؟ انْظُرْ كَيْفَ يَنْطَلِقُ الْبَيْتَاءُ مِثْلَ الْإِنْسَانِ تَمَاماً هُوَ يُصْبِحُ إِنْسَاناً؟ كَلَّا.

الصَّبْرُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ يَعْذُ إِصَابَةُ الْبَلَاءِ كَانَتْهَا.

الْعَاقِلُ مَنْ يَقُولُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ إِصَابَةِ الْبَلَاءِ مَا يَفْعَلُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ.

لَوْ تَجْعَلُونَ الْعَالَمَ كُلَّهُ مُضْغَةً وَتَضَعُونَهُ فِي فَمِ الصَّيْفِ لَا يُوْذِي حَقُّ الصَّيْفَةِ.

اتَّقِبُوا بِمُضْبِحِ الصِّدْقِ مِهُمَا رَأَيْتُمُوهُ مُضِيناً وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى حَامِلِهِ.

وَلَا دَةَ كُلِّ مَوْلُودٍ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْأَسْ مِنَ الْعِبَادِ.

إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَتَّقُوا مُسْلِعاً فَلَا تَضْرُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُسِرُّوهُ فَلَا تُخْزِنُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمُوا عَلَيْهِ خَيْراً فَلَا تُغْتَابُوهُ.

ليسَ مِنْ مُسْلِمَاتِ الْهِنْدِ سَةِ فَقَطْ ، بَلْ مِنْ مُسْلِمَاتِ الْأَخْلَاقِيَّاتِ
أَيْضاً . إِنَّ الْخَطَّ الْمُسْتَقِيمَ أَقْلُ الْخُطُوطِ مَسَافَةً .

خَطًّا لَمَحَةً خَلَالَ مُدَّةِ مِائَةِ سَنَةٍ يُحَوِّلُ جِهَةَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ .

لَا تُخَجِّبُوا الْوَجْهَ بَعْدَ الْخَطِّ بِإِزَارٍ حِيلَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ الْإِزَارَ أَكْثَرُ وَسْعًا
مِنَ الْوَجْهِ .

لَا تَتَّخِذُوا اللَّيِّيمَ صَدِيقًا . فَإِنَّ الْفُخْمَ الْحَارَّ يُحْرِقُ الْيَدَ ، وَالْفُخْمَ
الْبَارِدَ يَسْوَدُّ الْوَجْهَ .

عِنْدَمَا يَشْبَعُ الْبَطْنُ تُصَابُ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ بِجُوعِ الشَّهْوَةِ .
الذَّهَابُ أَحْرَضُ الْخَيَوَانَاتِ وَالْعَنْكَبُوتُ أَفْنَعُهَا ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى
الذَّهَابَ غِذَاءً لِلْعَنْكَبُوتِ .

لَوْ كَانَ وَسَاوِسُ الْإِنْسَانِ حُجَّةً شَرْعِيَّةً لَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الزَّهَادِ
مُشَاغِبًا .

النَّظَرُ طَاهِرٌ مَا لَمْ يُرْفَعْ .
وَعَقَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَجَمَهُ اللَّهُ : أَنْ اثْرَكُوا نَظَرَ سَيِّئٍ تَوَفَّقُوا
خُشُوعًا وَاثْرَكُوا الْفَحْشَ تَعَطُّوا حِكْمَةً .

قَالَ شَيْخٌ لِشَابٍّ وَكَانَ يَفْحَشُ فِي كَلَامِهِ : انْظُرْ إِلَيَّ مَا تَرْسُلُ بِهِ
رِسَالَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟

لَوْ كَانَ الْكِبَرُ عِلْمًا لَكَانَ فِيهِ مُتَخَرِّجُونَ .
رِضَاكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِلَامَةٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَاضٍ عَنْكَ .
الَّذِي يَسْتَفِيدُ وَيَشْكُرُ فَهُوَ يُودِي أَوَّلَ جِزْيَةٍ مِنَ الدِّينِ .
امْشُوا مُتَوَاضِعِينَ وَلَا تَزَلُّوا وَتَسْقُطُوا .

الْمَكْرُ كَمِطَانِيَةٍ صَغِيرَةٍ إِنْ تُعْطُوا بِهَا الرَّأْسُ تَنْكَشِفُ الْقَدَمُ.

دَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ: رَبِّ كَفِّ عَنِّي لِسَانَ الْخَلْقِ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ فَاعِلُهُ فَعَلْتَهُ لِنَفْسِي.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠] حق. ولكن «كُلُوا تَاكَلُوا» (معناه: كُلُوا إِلَى الْحُنْجَرَةِ) باطل.

لو لَمْ تَكُنْ حَاجَةً الْبَطْنِ لَمْ يَقَعْ حَيَوَانٌ فِي الشَّبَكَةِ.
شَجَرَةٌ صَنْدَلٍ تَطْيِبُ نَضْلُ فَأْسٍ يَقْطَعُهَا.

قال الشيخ المجتهد: لم تبقَ أَمْنِيَّةٌ سِوَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ.
الْبَرَكَةُ فِي هَدِيَّةٍ وَصَلَتْ بِدُونِ إِشْرَافِ النَّفْسِ.

لِبَاسٍ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: الْأُولَى لِبَاسُ رَاحَةٍ وَهُوَ وَاجِبٌ، وَالثَّانِيَةُ لِبَاسُ زِينَةٍ وَهُوَ جَائِزٌ، وَالثَّالِثَةُ لِبَاسُ رِيَاءٍ وَهُوَ مَمْنُوعٌ.

سَعَادَةُ عَظِيمَةٌ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُوَحِّدًا وَمُؤَذَّبًا أَوْ يَكُونَ مُؤَذَّبًا وَمُوَحِّدًا.

السَّاهُ شُجَاعُ الدِّينِ الْكَرْمَانِيُّ أَحِبُّ اللَّيَالِي أَرْبَعِينَ غَامًا. نَامَ يَوْمًا فَرَأَى اللَّهَ تَعَالَى فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَلْتَمَسْتُكَ فِي الْيَقَظَةِ وَلَكِنْ وَجَدْتُكَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: بِبَرَكَةِ يَقَظَتِكَ وَجَدْتَنِي فِي مَنَامِكَ.

لو وَضَعْتَ بَيْضَ الْإِوَرِ تَحْتَ الدَّجَاجِ يُنْسَبُ الْفَرْخُ إِلَى الدَّجَاجِ وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ. كَذَلِكَ الْمُرِيدُ يَتَقَدَّمُ مَا يَتَقَدَّمُ وَلَكِنَّهُ وَلَدُ رُوحَانِي لَشَيْخِهِ.

يَجُوزُ الْعِقَابُ عَلَى الْخَطَا كَمَا أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ بِالْجَمَاعِ فِي الْحَيَاضِ.
حَقِيقَةُ التَّوَسُّلِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ إِنْ فَلَانًا مَقْبُولٌ عِنْدَكَ وَأَنَا أُحِبُّهُ فَارْحَمْنِي بِبَرَكَةِ هَذَا الْحَبِّ فِي اللَّهِ.

إِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الْعَمَلَ بِالْأَفْضَلِ فَالْأَحْسَنُ الْعَمَلُ بِالسُّبْحِ، فَإِنْ لَمْ
تَسْتَطِعِ أَنْ تَقُومَ لِلتَّهَجُّدِ فَصَلِّ قَبْلَ النَّوْمِ.

يا صديقي إِنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِكَ الْحَقِيقِيِّ وَلَكِنْ ببطءٍ. الْحَيَوَانُ
أَيْضاً يُسْرِعُ إِلَى الْبَيْتِ الْأَصْلِيِّ.

وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ كَسَلِكَ الْكَهْرِبَاءَ خُذْهُ لِلتَّقْرِيبِ أَوْ لِلتَّبْعِيدِ
يُمَسِّكُكَ.

حُبُّ الزَّوْجَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَباً لِلْعُقْلَةِ عَنِ الدِّينِ فَمَحْمُودٌ بَلْ هُوَ
مَقْطُوبٌ.

أَوْصَى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ: لَوْ نَادَاكَ أَحَدٌ مِنْ وَرَائِكَ فَلَا
تُجِبْهُ. مِنَ الْوَرَاءِ تُنَادِي الْحَيَوَانَاتُ.

اسْتَتَابَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً مِنَ التُّوَجَّ فَقَالَتْ: يَبْقَى عَلَيَّ ذَنْبُ نَوْحَةٍ،
سَأْتُوْبُ بَعْدَ آدَاءِ الدِّينِ. فَقَالَ: نَعَمْ فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ مِنَ الطَّرِيقِ، هَذِهِ
هِيَ الْحِكْمَةُ.

لَا تَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ يُؤْذِي غَيْرَكَ. هَذَا يَضْفُ السُّلُوكِ.

سَأَلَ الْمُرِيدُونَ الْمَنْصُورَ الْحَلَّاجَ قَبْلَ أَنْ يُضَلَّبَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
الَّذِينَ يَرْمُونَكَ بِالْحِجَابَةِ؟ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَكُمْ أَجْرٌ وَلَهُمْ أَجْرَانِ أَنْتُمْ
تُخْسِنُونَ بِي الظَّنَّ وَهُمْ يُرَاعِعُونَ الشَّرِيعَةَ، وَحُسْنُ الظَّنِّ فَرْعٌ وَالشَّرِيعَةُ
أَصْلٌ.

حُبُّ الشَّيْخِ لَيْسَ دَاخِلاً فِي حُبِّ غَيْرِ اللَّهِ.

رَأَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَمَرَ فَقَالَ: هَذَا رَبِّي. هَذَا فِي الظَّاهِرِ
شِرْكٌ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ إِبْطَالُ الشَّرْكِ.

قَالَ الْإِمَامُ بَاقِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: مَوْتُ الْقَلْبِ يَنْشَأُ مِنَ الشَّهَوَاتِ
النَّفْسِيَّةِ وَالْأَحْيَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِتَدْبِيرِ.

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ النُّعْمَةَ تُسَلِّبْ مِنْهُ النُّعْمَةَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

إِنْ وَجَدْتَ الْعَجَبَ بِالْعِظَةِ فَعِظْ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنَ الْمَكْتُوبِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا عَاجِزٌ يَخْطُبُ مِنَ الْمَكْتُوبِ .

الْحَقُّدُ أَنْ يَكْتُمَ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ سُوءاً لغيره بِاخْتِيَارِهِ وَيَدْبُرُ لِإِيْذَائِهِ وَإِنْ أَصَابَكَ عَنْ أَحَدٍ سَبِيئَةٌ حَتَّى لَا تَحِبَّ لِقَاءَهُ فَهَذَا انْقِبَاضٌ . وَعِلَاجُهُ أَنْ تَدْعُو لَهُ فِي غَيْبِهِ .

النُّظَرُ عَلَى قِلَّةِ مَالِ الدُّنْيَا عِلَامَةٌ حُبِّ الدُّنْيَا .

مِثَالُ الْمُتَبَاهِيْنَ فِي الْمَالِ كَحَامِلِي نَجَاسَةٍ يَتَبَاهَوْنَ فِي سَلْتِي نَجَاسَةٍ .
عِنْدَمَا كَانَ أَحَدٌ يَشْكُو الْفَاقَةَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَدْهَمِ قَالَ : لَا تَعْرِفُونَ قِيَمَةَ الْفَاقَةِ . سَلَوْنَا عَنْهَا . اشْتَرَيْنَاهَا بِدَوْلَةٍ .

طَرِيقُ تَخْفِيفِ حُبِّ الْمَرْأَةِ لِلْجِلْيَةِ وَالْمَلَابِسِ أَنْ تَلْبَسَ فِي الْبَيْتِ مَلَابِسَ طَيِّبَةً ، وَعِنْدَمَا تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ آخَرَ تَلْبَسُ ثِيَاباً بِذِلَّةٍ .

أَلْهَمَ ابْنُ عَطَاءٍ الْإِسْكَانْدَرِيَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنِّي رَزَقْتُ حَتَّى لَوْ تَدْعُو أَنْ لَا أَرْزُقَكَ لَأَرْزُقَكَ ، فَعِنْدَمَا تَسْأَلُنِي لِلرِّزْقِ بَأَكْبَرٍ فَكَيْفَ لَا أُعْطِيكَ .

صَافَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ فَغَسَلَ الْإِمَامُ مَالِكُ أَوَّلًا وَيَدَا الْأَكْلَ حَتَّى يَأْسَرَ الضَّيْفَ .

الْفَارِقُ بَيْنَ مَاءِ النَّهْرِ وَمَاءِ الْعَيْنِ الْحُبُّ وَالْحَمَاسُ .

يَسَاوُنَا الشَّرْقِيَّاتُ عَامَةً عَاشِقَاتُ الْأَزْوَاجِ وَقَاصِرَاتُ الطَّرْقِ . النِّسَاءُ تَحْتَ الرِّجَالِ طَبْعاً ، وَالرِّجَالُ تَحْتَ الْمَرْأَةِ حُبًّا .

إِنْ كَانَ الشَّيْخُ سِرَاجَ السَّحَرِ فَالشَّابُّ سِرَاجُ الْمَسَاءِ .

الْهَدَفُ مِنْ تَرْجِيحِ حُقُوقِ الْعِبَادِ عَلَى حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى تَعْلِيمُ

الْإِيثَارِ .

ما خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بينَ أَهْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا. وفيه إِظْهَارُ كَمَالِ
الْعَجْزِ وَإِظْهَارُ كَمَالِ الْعَبْدِيَّةِ.

اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ الشَّيْخَ الْحَاجَّ أَمْدَادَ اللَّهِ الْمُهَاجِرَ الْمَكِّيَّ لِلْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ
الْمُكْرَمَةِ فَقَالَ: إِنْ تَسْكُنَ بِالْهَيْدِ وَقَلْبُكَ مَعْلُوقٌ بِمَكَّةَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ مِنْ أَنْ
تَسْكُنَ بِمَكَّةَ وَقَلْبُكَ مَعْلُوقٌ بِالْهَيْدِ.

يُمْكِنُ أَنْ تَجْتَمَعَ السَّجَاعَةُ وَالتَّدْبِيرُ. الْأَسَدُ مَا أَشْجَعُهُ وَلَكِنَّهُ يَصِيدُ
مُخْتَبِئًا.

الْعَوَامُ تَزْعُمُ الشُّرْكَ تَوَسُّلاً وَالْعُلَمَاءُ (الْمُتَشَدِّدُونَ) يَزْعُمُونَ التَّوَسُّلَ
شِرْكَاً.

الْحَرَمُ كَالرَّجَمِ يَكْبُرُ الْوَلَدُ فَيَزْدَادُ الرَّجْمُ كَذَلِكَ يَتَسَّعُ الْحَرَمُ عِنْدَ
ازْدِيَادِ الْحُجَّاجِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي وَإِنْ غَضَبْتَنِي لَكِنْ لَا أَقْطَعُ مِنْ رَحْمَتِكَ. دَفَعَنِي إِلَيْكَ
خِيَانَةُ الدُّنْيَا، وَثَبَّتَنِي عَلَيَّ بِطُغْيَانِكَ وَكَرَمِكَ عَلَى بَابِكَ.

اللَّهُمَّ لِمَ تُقَلِّلُ كَرَمَكَ فَكَيْفَ يُرْجَى غَيْرُكَ؟ وَلِمَ تَغَيِّرُ عَادَتَكَ فَكَيْفَ
يُسَالُ غَيْرُكَ؟

اللَّهُمَّ مَنْ وَجَدَكَ فَمَاذَا لَمْ يَجِدْ؟ وَمَنْ لَمْ يَجِدْكَ فَمَاذَا وَجَدَ؟
اللَّهُمَّ وَثَّقْنِي جِبَالِ شَهْوَةِ نَفْسِي الْقَوِيَّةِ، فَكُنْ مُعِينِي وَالْمُصَرِّفِي
وَالْمُضَرِّعِي مِنْ مَعِي.

اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الشُّكِّ وَالشُّرْكِ وَالتَّفَاقِي قَبْلَ نُزُولِي فِي الْقَبْرِ.
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَدَاوِمْ عَلَى طَاعَتِكَ وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْ حَبُّ
الطَّاعَةِ مِنْ قَلْبِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَمِلْتُ طَاعَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَتَقَنْتُ أَخْوَالَ كَثِيرَةً. وَلَكِنْ
عَدَلْتُ قَضَى عَلَى اعْتِمَادِي بِهَا، لَا بَلْ صَرَفَنِي فَضْلُكَ عَنِ الثَّقَةِ بِهَا.

اللَّهُمَّ مَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ سَيِّئَاتٍ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ سَيِّئَاتِهِ سَيِّئَاتٍ.
وَمَنْ كَانَتْ غُلُومُهُ وَمَعَارِفُهُ دَعَاوَى صَرْفَةٍ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوَاهُ دَعَاوَى
مَحْضَةٍ.

اللَّهُمَّ كُلَّمَا خَرَسَ سَوْنِي لِسَانِي أَنْطَقَنِي كَرَمِكَ، وَكُلَّمَا أَقْنَطَنِي
أَعْمَالِي أَرْجَانِي إِحْسَانُكَ.

اللَّهُمَّ كَمْ تَرَأَفَ بِي مَعَ عَدَمِ تَفَكَّرِي لِلْعَاقِبَةِ، وَكَمْ تَرَحَّمَنِي مَعَ قُبْحِ
أَعْمَالِي.

اللَّهُمَّ إِذَا لَمْ يُعْخَفَ عَلَيْكَ خَالِي، فَكَيْفَ أَشْكُوكُ؟ اللَّهُمَّ إِذَا كُنْتُ
وَكَيْلِي فَلَا تَكِلْنِي إِلَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِذَا كُنْتُ نَاصِرِي فَلَا تُخْزِنِي،
وَإِذَا كُنْتُ بِي رَحِيماً فَقِنِي خُسْرَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَكْرَمْتَنِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي، فَهَلْ تَخْزِمُنِي مِنْ كَرَمِكَ
بَعْدَ ظُهُورِ ضَعْفِي؟

اللَّهُمَّ مَنِي مَا يَلِيقُ لَوْحِي، وَمَنْكَ مَا يَلِيقُ كَرَمِكَ.
اللَّهُمَّ إِنِّي مُخْتِاجٌ فَفِيرٌ إِلَيْكَ عِنْدَ غِنَائِي، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ مُخْتِاجاً
عِنْدَ فَقْرِي؟

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ النُّعْمَ حِينَ وُجُودِهَا فَسَيَقْدِرُهَا بَعْدَ فَقْدِهَا.
مَنْ لَمْ يُقْبِلْ إِلَى اللَّهِ بِإِحْسَانِهِ فَسَيُوتَى بِهِ إِلَيْهِ مُوثِقاً بِسَلْسِلِ
الْبَلَاءِ.

كُلُّ كَلَامٍ يَضْدُرُّ مِنْ أَيِّ مُتَكَلِّمٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لِبَاسٌ نُورَانِي
أَوْ مُظْلِمٌ مِنْ جَانِبٍ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ.

عَدَمُ التَّاسُّفِ عَلَى فَقْدَانِ الطَّاعَةِ مَعَ عَدَمِ التَّقَدُّمِ إِلَى الطَّاعَةِ عِلَامَةٌ
الْوُقُوعِ فِي الْخَدِيعَةِ .

إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ مَا مَنْزِلَتُكَ عِنْدَهُ ، فَانْظُرْ فِي أَيْ شَيْءٍ
شَغَلَكَ ؟

مَنْ وَجَدَ ثَمَرَةَ عَمَلِهِ لَذَّةً وَحِلَاوَةً فِي الدُّنْيَا فَهُوَ عِلَامَةٌ قَبُولِهِ فِي
الْآخِرَةِ .

مَنْ كَانَ بِدَايَةِ سُلوْكِهِ مَنْوَرًا بِالتَّزَامِ الْأَوْزَادِ ، فَسَيَكُونُ انْتِهَاءُ سُلوْكِهِ
مُضِيًّا بِالْأَنْوَارِ وَالْمَعَارِفِ .

مَنْ رَأَيْتَهُ مُجِيبًا عَنْ كُلِّ سَوَالٍ وَمُبْدِيًا لِكُلِّ مُشَاهِدٍ وَمُبِينًا لِكُلِّ عِلْمٍ
فَاعْرِفْ أَنَّهُ جَاهِلٌ .

الْعَارِفُ مَنْ لَا يَزَالُ اضْطَرَّائِهِ ، وَمَنْ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
رَفَعَ بَصْرَكَ إِلَى بَقَاءِ الْغَيْرِ وَتَوَخَّشَكَ عِنْدَ فَقْدِ مَا سِوَاهُ ، ذَلِيلٌ عَلَى
عَدَمِ وَصُولِكَ إِلَيْهِ .

أَنْتَ تَابِعٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ مَا لَمْ تُشَاهِدِ الْخَالِقَ فِيهِ ، وَإِذَا شَاهَدْتَهُ
فَالْمَخْلُوقَاتُ تَابِعَةٌ لَكَ .

عَجَبٌ شَدِيدٌ أَنْكَ تَفَرُّ مِمَّنْ لَا تَغِيبُ عَنْهُ وَتَطْلُبُ مَا لَا تُصَاحِبُهُ :
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج : ١٤٦) .

لَا تُبْهِتُ فِي وَجْهِهِ الْبُشْرَى بِنُحُورِهِمْ ، وَتُؤْمِنُ فِي آدَامِهِمْ بِأَفْئِدَتِهِمْ .
وَأَثْبَتَ فِي عَجْزِكَ يَتَضَرَّكَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَثْبَتَ فِي ضَعْفِكَ يُسَاعِدُكَ بِقُوَّتِهِ .

حَرَّمَ عَلَيْكَ دَعْوَى شَيْءٍ هُوَ لَغَيْرِكَ وَلَيْسَ لَكَ ، فَهَلْ أَبَاحَ لَكَ
دَعْوَى كَمَالَاتِكَ وَاللَّهُ رَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِ .

أَفْرِغْ قَلْبَكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَمْلَأُهُ اللَّهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ .

قد يُعْطَى لك في لَيْلَةِ الْقُبُضِ الْمُظْلِمَةِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا لَا تَجِدُهُ فِي نَهَارِ الْبَسْطِ الْمُضِيِّ.

بِدَايَةُ السَّالِكِ مَرَاةُ نَهَايَتِهِ وَمَنْظَرُهُ، فَمَنْ كَانَتْ بَدَايَتُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ نَهَايَتُهُ إِلَيْهِ.

مَنْ بُوِرِكَ فِي عُمْرِهِ يَجِدُ فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ مِنَ الْعَطَافِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ مَا لَا يُحِيطُهُ الْعِبَارَةُ وَالْبَيَانُ وَلَا تَبْلُغُهَا الْإِشَارَةُ.

السُّتْرُ نَوْعَانِ: سِتْرٌ مِنْ ضُورٍ ذَنْبٍ، وَسِتْرٌ الذَّنْبِ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ ضُورِهِ.

الْعُلُومُ وَالْحَقَائِقُ مَجْمَعَةٌ وَفَتْ التَّجَلِّيِ وَالتَّنْصِيلِ بَعْدَ الْحِفْظِ وَالْوُجُهِ. ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمِيزَ بِهِ﴾ [الْقِيَامَةُ: ١٧٦].

وَرُودُ النُّصْرَةِ الْإِلَهِيَةِ بِقَدْرِ الْكِفَاءَةِ وَالْقَبُولِ، وَضَوْءُ الْأَنْوَارِ بِقَدْرِ صَفَاءِ الْأَسْرَارِ الْبَاطِنَةِ.

الْوَرْدُ يُطْلَبُ مِنْكَ مَوْلَاكَ، وَالْوَارِدُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ مِنْهُ فَأَيُّ نِسْبَةٍ بَيْنَ مَطْلُوبِكَ وَمَطْلُوبِهِ.

أَتَى إِحْسَانَ الْمَوْلَى وَعُضْيَانِكَ لَا تَذَرِي لَعَلَّهُ اسْتِزْجَاجٌ لَكَ مِنْهُ، وَأَنْتِ لَا تَشْعُرِي. قَالَ تَعَالَى: ﴿سَتَسْتَلِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَتَلَمَّحُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢٨٢].

لَيْسَ الْمُنَوَاضِعُ مَنْ إِذَا عَمِلَ عَمَلٌ تَوَاضَعَ يَطْفئه أَعْلَى وَأَوْزَى، بَلِ التَّوَاضُّعُ مَنْ إِذَا تَوَاضَعَ يَطْفئه أَدُونِ وَأَخْسَرِ.

مَا تَيَاسَسَ مِنْهُ أَنْتَ مِنْهُ حُرٌّ، وَمَا تُطْعِمُهُ أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ.

صَاحِبُكَ حَقِيقَةٌ مَنْ يَضْحَكُكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ عُيُوبِكَ وَلَيْسَ إِثَاءً سِوَى مَوْلَاكَ الْكَرِيمِ.

قَدْ تَكُونُ عَاصِيًا وَيُرِيكَ صُحْبَةً مَنْ هُوَ أَغْصَى بِمِثْلِكَ صَالِحًا.

لَا تُجَالِسْ مَنْ لَا يَخُتُّكَ خَالَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُهْدِيكَ كَلَامَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ فَلَا تَغْفُلْ عَنْ مَوْلَاكَ الَّذِي نَاصِيَتُكَ بِيَدِهِ.

لَا يَنْفَعُ طَاعَتُكَ وَلَا يَضُرُّهُ عَصِيَانُكَ. أَمَرَكَ بِالطَّاعَةِ وَنَهَاكَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ لِتَعُوذَ النَّفْعَ إِلَيْكَ.

لَمَّا وَجَدَ عِبَادَهُ مُتَطَلِّعِينَ إِلَى ظُهُورِ الْعَبَايَةِ الْخَاصَّةِ وَأَسْرَارِ الْإِقْبَالِ، قَالَ: ﴿يَنْقُضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَكَاةً﴾ [آل عمران: ٧٨]. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَوْ تَرَكُوا بِهَذَا أَنَّهُ هُوَ أَضَلُّ الرَّحْمَةِ يَتْرَكُونَ الْأَعْمَالَ مُعْتَمِدِينَ عَلَى التَّقْدِيرِ الْأَزَلِيِّ، قَالَ: ﴿إِذَا رَحِمْتَ أَتَوْ قَرِيبٌ مِنْكَ الْمُخْصِيينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

مَنْ عَظَمَكَ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يُشْنِي عَلَى سِرِّ رَبِّكَ.

إِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ أَرْجَدَ فِيكَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَأَضَافَهَا إِلَيْكَ وَقَتَ الْمَدْحِ.

لَمَّا جَعَلَكَ رَاغِباً عَنْ غَيْرِهِ وَنَاجِراً عَنْهُ، فَاغْلَمَ إِلَهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ الْأُنْسِ وَالْحُبِّ لِلَّهِ.

بَذَلَ لَكَ أَوَّلَ نِعْمَةِ الْإِبْجَادِ، وَثَانِياً أَفَاضَ عَلَيْكَ نِعْمَةَ الْبَقَاءِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ كُلَّ لَحْظَةٍ مُتَوَاصِلَةٍ.

الْعُبُودِيَّةُ.

إِعْطَاءُ الْخَلْقِ لَكَ جِزْماً وَمَنْعُ اللَّهِ مِنْكَ أَيْضاً إِحْسَانٌ.

لَا يُمْنَعُ مِنْكَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِعْطَاءَ يَضُرُّكَ. وَأَنْتَ لَا تَذَرِي حِكْمَةَ اللَّهِ وَلُطْفَهُ فِي الْمَنْعِ مِنْكَ.

إِذَا أُعْطَاكَ فَارَاكَ جُودَهُ وَكَرَمَهُ، وَإِذَا مَنَعَكَ فَارَاكَ قَهْرَهُ وَعَظَمَتَهُ. فَهُوَ يُخَبِّرُكَ بِكَرَمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَمُقْبِلٌ إِلَيْكَ بِلَطْفِهِ وَكَرَمِهِ.

جَعَلَ الدَّارَ الْآخِرَةَ مَحَلًّا لِجَزَاءِ أَعْمَالِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمْرَيْنِ:

أولاً: لَأَنَّهُ لَا تَسَعُ الدُّنْيَا مَا يَرِيدُ أَنْ يُعْطِيَكَ. وَثَانِيًا: لَأَنَّهُ أَعْظَمُ قَدْرَهُمْ وَمَثَرَلَتَهُمْ مَنْ أَنْ يُعْطُوا جَزَاءَهُمْ فِي دَارِ الْفَنَاءِ.

مَنْ ظَنَّ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَعِثَابَتَهُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْعَبْدِ حَالَ الْمُصِيبَةِ وَالْأَلَمِ؛ فَهَذَا قُصُورُ عَقْلِهِ.

مَا دُمْتَ فِي الدُّنْيَا فَلَا تُعْجَبْ بِأَعْتِرَاضِ الْمَصَائِبِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تُظْهِرُ مَا هُوَ لِأَرْزَمِ لَهَا.

إِذَا جَاءَ الصُّبْحُ يُفَكِّرُ الْعَاقِلُ مَاذَا سَيَعْمَلُ الْيَوْمَ؟ وَالْعَاقِلُ يَنْتَظِرُ مَاذَا يُعَامِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى؟

جُهِدَكَ فِيمَا هُوَ ضَامِنٌ لَكَ وَتَقْصِيرَكَ فِيمَا هُوَ طَالِبٌ مِنْكَ، ذَلِيلٌ عَلَى ذَهَابِ نُورِ عَقْلِكَ، الْهَسْمُ الْمُتَقَدِّمُ لَا تَقْلِبْ عَلَى شَيْءٍ جُذُرَ الْقَدْرِ.

لَا تَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالِكَ الْمَوْجُودَةِ مِنَ الْأَشْتَغَالِ الدِّينِيِّ أَوِ الدُّنْيَوِيِّ، وَيُسْغِلَكَ فِي حَالَةٍ أُخْرَى لِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَأَشْغَلَكَ بِغَيْرِ أَنْ يُخْرِجَكَ.

لَا يَكُنِ الْمُقْصُودُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالِدَعَاءِ حُصُولُ الْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ، بَلْ إظهارُ الْعُبُودِيَّةِ وَأداءِ حُقُوقِ الرَّبُوبِيَّةِ.

كثِيرًا مَا يَسْتَحْيِي الْعَارِفُ مَنْ عَرَضَ الْحَاجَةُ عَلَى مَوْلَاهُ اكْتِنَافًا بِمَشِيئَتِهِ. فَكَيْفَ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ عَرَضَ الْحَاجَةُ عَلَى خَلْقِهِ؟

يَذْكُرُ بِالسُّؤَالِ مَنْ يَجُورُ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ وَالسَّهْوُ وَبَيْنَهُ بِالطَّلَبِ مَنْ يَجُوزُ عَنْهُ اسْتِغْنَاءُ السَّائِلِ.

لَيْسَ الدَّعَاءُ وَسْوَالُ الْمَوْلَى خَالاً جِيداً وَمُعْتَبِراً، وَالْحَالُ الطَّيِّبُ أَنْ تَرْفُقَ حَسَنَ أَدَبٍ.

أَيُّهَا السَّالِكُ لَا تُقَدِّمَ هَمَّتَكَ إِلَى غَيْرِ مَوْلَاكَ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَتَجَاوَزُهُ الرَّجَاءُ.

لَا يَغْنُطُكَ عَنْ قَبُولِ الدَّعَاءِ مَعَ التَّضَرُّعِ فِي الدَّعَاءِ تَأْخِيرُ وَقْتِ الْعَطَاءِ، لِأَنَّهُ تَكْفُلٌ بِإِجَابَتِكَ فِي أَمْرِ يَحِبُّهُ لَكَ.

لَا يُخْرِجُ مِنَ الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ النَّفْسَانِيَّةَ إِلَّا الْخَوْفُ الْمَانِعُ، أَوْ الشُّوقُ الْجَازِبُ.

إِذَا أُخْبِنْتَ أَنْ يُفْتَحَ لَكَ بَابُ الرَّجَاءِ، فَشَاهِدْ إِحْسَانَ مَوْلَاكَ إِلَيْكَ، وَإِنْ أُخْبِنْتَ أَنْ يُفْتَحَ لَكَ بَابُ الْخَوْفِ، فَشَاهِدِ الذُّلُوبَ وَالْمَعَاصِي الَّتِي صَدَّرْتَ مِنْكَ إِلَى جَنَابِهِ.

إِنْ وَكَلْتَ إِلَى نَفْسِكَ فَلَا نِهَايَةَ لِعُيُوبِكَ. وَإِنْ أَبْدَى لَكَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ فَلَا نِهَايَةَ لِمَحَاسِنِكَ.

وَفُورَ قَلْبِ رَجَاءِ الْعُفْرِ عِنْدَ صُدُورِ الْمَغْصِيَةِ عَلَامَةُ الثَّقَةِ بِأَعْمَالِكَ الْحَسَنَةِ.

إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ إِلَهُمَا أَوَّلَى، فَانْظُرْ إِلَيْهِمَا اشْتِقَ عَلَى النَّفْسِ فَاتَّبِعْهُ، فَإِنْ مَا هُوَ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ يَكُونُ حَقّاً.

حِظْ النَّفْسَ فِي الْمَغْصِيَةِ بَيْنَ، وَفِي الطَّاعَةِ خَفِيٍّ، وَعِلَاجُ مَرَضٍ خَفِيٍّ يَكُونُ شَافِئاً.

إِذَا أَتَى مَوْلَاكَ لِسَانُ الْخَلْقِ لِمَدْحٍ لَسْتَ لَهُ بِأَهْلٍ فَرَطَبْ لِسَانَكَ فِي ثَنَاءِ مَوْلَاكَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَتْرُكُ مَلَاخِظَةَ عُيُوبٍ يَعْلَمُهَا فِيهِ لِادِّعَاءِ النَّاسِ فِيهِ الْمَحَاسِنِ.

عندما يَمْدُحُ المؤمنُ الحقيقيُّ فهو يستحيي مِنَ اللَّهِ تعالى على أَنَّهُ
يَمْدُحُ على وَصْفٍ لَا يُشَاهِدُهُ فِي نَفْسِهِ.

النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْكَ بِصِفَاتٍ حَسَنَةٍ يَظُنُّونَهَا فِيكَ. فَادْمُغْ نَفْسَكَ
لِأَجْلِ صِفَاتٍ سَيِّئَةٍ تَجِدُهَا فِي نَفْسِكَ.

ثَبَاتٌ خَلَاوَةٌ وَلَذَّةُ الشَّهَوَاتِ النِّفْسَانِيَّةِ ذَائِعُ عُضَالٍ.

كَيْفَ تَصْدُرُ مِنْكَ الْخَوَارِقُ وَأَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ عَادَاتِكَ النِّفْسَانِيَّةَ.

أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٍ وَشَهْوَةٍ نَفْسَانِيَّةٍ مُوَافَقَتُكَ لِنَفْسِكَ.

مُلاحَظَةُ عُيُوبِكَ الْبَاطِنَةِ خَيْرٌ مِنَ النَّظَرِ لِتَحْصِيلِ مَا هُوَ غَائِبٌ
وَمَسْتَوْرٌ عَنْكَ.

لَا تَبْسُطْ يَدَكَ لِلْأَخْبِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا إِذَا شَاهَدْتَ فِيهِ أَنَّ مَوْلَاكَ
الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْمُعْطِي.

خَيْرُ أَوْقَاتِكَ وَأَحْسَنُهَا مَا تَشَاهَدُ فِيهِ اِحْتِيَاجَكَ وَتَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ
وَجُزَيْكَ.

إِنْ أَرَدْتَ نَزُولَ الْمَوَاهِبِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَيْكَ فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ الْفَقْرَ وَالْفَاقَةَ،
فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا الْمُدْقَفَتُ الْفُقَرَاءُ﴾ [التوبة: ٦٠].

نَزُولُ الْفَاقَاتِ عِندَ السَّالِكِينَ.

إِنْ أَحْبَبْتَ الْعِزَّةَ الْبَاقِيَّةَ فَلَا تَخْتَرِ الْعِزَّةَ الْفَاقِيَّةَ.

إِنْ تَجَلَّى لَكَ نُورُ الْيَقِينِ، شَاهَدْتَ خُسُوفَ الْقَنَاءِ عَلَى مَحَابِسِ
الدُّنْيَا.

غَلِمَ اللَّهُ أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ النَّصِيحَةَ الصَّرُفَةَ فَأَذَاقَكَ لَذَّةَ مَصَائِبِ الدُّنْيَا
الَّتِي سَهَّلَ عَلَيْكَ مُفَارَقَةَ الدُّنْيَا.

إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُوقَى هُمُ الْعَزْلِ فَلَا تَخْتَرِ الْوِلَايَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ الرَّائِلَةَ.

عَمَلٌ يَصُدُّرُ عَنْ قَلْبٍ تَارِكٍ الدُّنْيَا غَيْرِ قَلِيلٍ، وَعَمَلٌ يَصُدُّرُ عَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ حَرِيصٍ عَلَى الدُّنْيَا غَيْرُ كَثِيرٍ.

الهِمُّ سِرَاجُ الْقَلْبِ إِذَا ذَهَبَ ذَهَبَ ضَوْؤُ الْقَلْبِ.

لَا تَشْرِكِ الذِّكْرَ لِأَجْلِ عَدَمِ الْحُضُورِ فِي الذِّكْرِ، لَأَنَّ الْعُقْلَةَ خِلَالَ الذِّكْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُقْلَةِ عَنْ نَفْسِ الذِّكْرِ.

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَرْفَعَكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذِكْرِ عُقْلَةٍ إِلَى ذِكْرِ يَقْظَةٍ، وَعَنْ ذِكْرِ يَقْظَةٍ إِلَى ذِكْرِ حُضُورٍ، وَعَنْ ذِكْرِ حُضُورٍ إِلَى ذِكْرِ يَغِيبُ فِيهِ جَمِيعُ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (فاطر: ١٧).

لَا عِوَضَ عَنِ الْعُمْرِ الْمَاضِي، وَالْعُمْرِ الْحَالِي تَمِينٌ جَدًّا.

تَأْخِيرُكَ الْإِثْبَانَ بِالْأَعْمَالِ إِلَى الْوَقْتِ الْفَارِغِ مِنْ حُوقِ نَفْسِكَ.

لَا تَنْتَظِرْ وَقْتَ الْخُلُوءِ عَنِ الْأَعْيَارِ فَإِنَّهُ يُبْعِدُكَ عَنْ خَالِكَ الَّتِي أَقَامَكَ عَلَيْهَا مِنْ مُرَاقِبَتِكَ إِيَّاهُ وَالْمُحَافَظَةَ.

لَا يَمُرُّ عَلَيْكَ وَقْتُ قَدَرِ نَفْسٍ إِلَّا يَظْهَرُ فِيكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ.

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ سَبِيلَ الْوُضُوءِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَا جَعَلَهُ سَبِيلًا لِلْوُضُوءِ إِلَى نَفْسِهِ، وَبَلَغَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَهُ إِلَى ذَاتِهِ.

ادْفِنِ نَفْسَكَ فِي أَرْضِ الْخُمُولِ، فَإِنَّ الْحَبَّ لَمْ يَكْمُلْ ثَمَرُهُ حَتَّى يُدْفَنَ فِي الْأَرْضِ.

لَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ خَلَاءٍ يَدْخُلُ مَعَهُ فِي سَاحَةِ مَعْرِفَةِ التَّعْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

أَوْجِبْ عَلَيْكَ خِدْمَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَجَعَلَهَا فِي الْحَقِيقَةِ سَبَبًا لِدُخُولِكَ الْجَنَّةِ.

لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ قُصُورَ الْعِبَادِ فِي أَذَاءِ وَطَائِفِ عُبودِيَّتِهِ أَوْجَبَ عَلَيْهِمُ

طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، كَأَنَّهُ سَاقَهُمْ بِسَلَامٍ إِلَىٰ طَاعَتِهِ. يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ عِبَادٍ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مُشَدُّودِينَ فِي السَّلَامِ.

عَيْنُ لَكَ الْعِبَادَاتِ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ حَتَّى لَا يَمْتَنِعَكَ الْكَسَلُ وَالضَّعْفُ، وَوَسَّعَ فِي الْوَقْتِ حَتَّى يَبْقَى لَكَ وَقْتُ الْاِخْتِيَارِ.

عَلِمَ ضَعْفَكَ وَعَجَزَكَ فَحَقَّقَ عِدَّةَ الصَّلَوَاتِ وَعَلِمَ اِخْتِيَاجَكَ إِلَى فَضْلِهِ فَضَاعَفَ ثَوَابَكَ.

الصَّلَاةُ مَطْهَرَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أَذْنَانِ الْأَغْيَارِ، وَفَاتِحَةٌ أَبْوَابِ الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ. الصَّلَاةُ مَحَلُّ الْمُنَاجَاةِ وَمَوْضِعُ الْمَحَبَّةِ، وَالْإِخْلَاصُ يَفْتَحُ فِيهَا الْقُلُوبَ لِلْأَسْرَارِ وَتَتَلَالَى نُجُومُ الْأَنْوَارِ.

كَيْفَ تَطْلُبُ مُقَابِلَ أَعْمَالٍ تُضَدِّقُ بِهَا، أَوْ كَيْفَ تَطْلُبُ جَزَاءَ صِدْقٍ أَهْدِي لَكَ مِنْهُ.

لَيْسَ الْمُحِبُّ مَنْ يَزْجُرُ مِنَ الْمُحِبُّوبِ مُقَابِلًا أَوْ غَرَضًا.

أَنْتَ عَبْدٌ لِمَا تَحِبُّهُ. وَلَا يَحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لغيرِهِ.

كَمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ عَمَلًا مُشْتَرِكًا كَذَلِكَ لَا يُحِبُّ قَلْبًا مُشْتَرِكًا.

حَبْلُكَ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ حَوَاضِ أَعْمَالِكَ، وَأَخْوَالُ بَاطِنِكَ عَلَامَةٌ عَدَمِ صِدْقِكَ فِي الْعِبَادَةِ.

أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى حُلْمِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ عِبَادَتِهِ، وَطَاعَتِهِ فَوْقَ مَا تَحْتَاجُ إِلَى حُلْمِهِ عِنْدَ الْمَغْصَبَةِ وَالْفَسْقِ.

لَا تَطْلُبُ عَوْضًا عَنْ عَمَلٍ أَنْتَ لَهُ فَاعِلٌ حَقِيقِيًّا، كَفَاكَ عَوْضًا أَنْ قَبْلَهُ وَلَمْ يُؤَاخِذْ عَلَيْهِ.

إِذَا طَلَبْتَ الْجَزَاءَ عَلَى عَمَلٍ تُطَالِبُ فِيهِ بِالصَّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ.

يَكْفِي لِلْعَامِلِينَ جَزَاءً مُعْجَلاً مَا يُفْتَحُ خِلَالَ الطَّاعَاتِ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مِنْ أَبْوَابِ الْإِلَهَامَاتِ وَلَذَلِكَ الْمُنَاجَاةُ .

رَبُّنَا أَجَلُ مَنْ أَنْ يُعَامِلَهُ عَبْدُهُ بِطَاعَتِهِ نَقْدًا وَيُؤَخَّرَ هُوَ جَزَاءَهُ سَلَفًا
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

لَيْسَ عَمَلٌ أَشَدَّ قَبُولًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ غَائِبٍ عَنْ بَصَرِكَ مُشَاهِدَنَهُ
وَحَقِيرٌ فِي نَظَرِكَ وَجُودُهُ .

بِذِيَّةِ سَيْرِ جَمَارِ الطَّائِحِينَ وَنِهَابَتِهِ وَاجِدَةٍ، فَلَا تُسَافِرُ مِنَ الْمَخْلُوقِ
إِلَى الْمَخْلُوقِ، بَلْ مَبْرُجٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ .

عَدَمُ الْحُزَنِ عَلَى قَوَاتِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَعَلَى وَقُوعِ الْمَعَاصِي
وَالسَّيِّئَاتِ، عَلَامَةٌ مَوْتِ الْقَلْبِ .

لَا يُبَيِّنُكَ عَنْ حُصُولِ الْاسْتِقَامَةِ مَعَ رَبِّكَ ذَنْبٌ صَدَرَ عَنْكَ لَعَلَّهُ آخِرُ
ذَنْبٍ قُدِّرَ لَكَ .

لَوْ قَابَلَكَ عَدُوُّهُ وَإِنْصَافُهُ فَلَا ذَنْبَ صَاحِبِهِ، وَلَوْ قَابَلَكَ فَضْلُهُ فَلَا
مَغْصِبَةَ كَبِيرَةٍ .

الْقَلْبُ لَا يَضْلُجُ لَأَن يَفْهَمَ الْحَقَائِقَ وَالْأَسْرَارَ مَا لَمْ يَتَّبِعْ عَنْ أَعْمَالٍ
لَا تَعْنِيهِ .

الْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا انْتَشَرَتْ أَشِعَّتُهُ فِي الصُّدْرِ وَالْقَلْبِ وَكُشِفَ عَنِ
الْقَلْبِ سُورَةُ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ .

الباب الثاني عشر

الأخلاق الحميدة

قد شهد ربُّ الكعبة على الأخلاق الحميدة لسيد الأولين والآخرين
 نبينا مُحَمَّد ﷺ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ لَعَلُّ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأمر أُمَّته باتِّباعه
 بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فَلَا بَدَّ لِلسَّالِكِ مِنَ التَّخَلِّي عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ وَالتَّحَلِّي بِالأَخْلَاقِ
 الْجَمِيلَةِ، لهذه الآية فَضِّلَتِ الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ
 الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ
 خُلُقًا».

[أخرجه أبو داود والترمذي، جامع الأصول ج ٤ ص ٥]

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بَأَنْ تَغْلِيْمَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَقْصُودُ الْبَغْيَةِ
 النَّبَوِيَّةِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» .
 وَفِي رِوَايَةٍ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ» .

[أخرجه في الموطأ، جامع الأصول ج ٤ ص ٤]

وَقَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» .

[أخرجه الترمذي، جامع الأصول ج ٦ ص ٥٦٣]

وَالْمُؤْمِنُ لَا يُرِيدُ شَرًّا لِأَحَدٍ، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَنْتَفِعَ الْآخِرِينَ مَهْمَا
 أَمَكَّنَ فِي الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا. فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ إِصْصَالُ الرَّاحَةِ إِلَى
 الْخَلْقِ. السَّيِّئُ الْمَخْلُوقِ لَا يَرْضَاهُ الْخَالِقُ وَلَا الْمَخْلُوقُ. نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَحْسَنُ خَلْقِكَ؟ فَقَالَ: مَنْ إِذَا

أَصَابَتْ الشُّوْكَهَ أَحَدًا يَحْزَنُ. فَالسَّيْرَةُ الْحَسَنَةُ أَكْثَرُ مَنَافَعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَنَافَعَاتِهِ.

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ:

رَوَى عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الصُّدِيقَةِ أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ:
 ١ - الصُّدُقُ فِي الْقَوْلِ. ٢ - الصُّدُقُ فِي الْعَمَلِ. ٣ - إِعْطَاءُ السَّائِلِ. ٤ -
 جِزَاءُ الْإِحْسَانِ. ٥ - صِلَةُ الرَّجِيمِ. ٦ - حِفْظُ الْأَمَانَةِ. ٧ - إِعْطَاءُ حَقِّ
 الْجَارِ. ٨ - إِعْطَاءُ حَقِّ الصَّاحِبِ. ٩ - إِعْطَاءُ حَقِّ الضَّعِيفِ. ١٠ - أَضْلُ
 أَصُولِهَا وَمَتْنِي هَذِهِ كُلُّهَا الْحَيَاءُ.

قَالَ شَيْخُ: الْقَلْبِ الْمُنُورِ هُوَ مَا لَيْسَ فِيهِ خُلُقٌ (بِالْفَتْحِ) وَالْقَلْبِ
 الْأَسْوَدُ مَا لَيْسَ فِيهِ خُلُقٌ (بِالضَّمِّ).

جَعَلَتِ الْمَشَايِخُ الْخِصَالَ الْعَشَرَ الْآتِيَةَ عِلَامَاتٍ لِحُسْنِ الْخُلُقِ:

١ - مُقَابَلَةُ النَّاسِ بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ. ٢ - مُوَاسَاةُ النَّاسِ. ٣ - مُسَاعَدَةُ
 الْفُقَرَاءِ. ٤ - عَدَمُ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ. ٥ - الْإِتْقَانُ مِنْ اتِّبَاعِ
 عُيُوبِ النَّاسِ وَذِكْرُ عُيُوبِهِمْ. ٦ - مَلَاخِظَةُ عُيُوبِ نَفْسِهِ. ٧ - إِنْ لَمْ أَحَدٌ
 قَطَّلِبَ التَّأْوِيلَ الْحَسَنَ. ٨ - قَبُولُ مَعْذِرَةِ الْمُذْنِبِ. ٩ - الْاِغْتِدَالُ. ١٠ -
 الْاجْتِنَابُ عَمَّا لَا يَنْبَغِيهِ.

وَعَلَى السَّالِكِ أَلَّا يُوْذِيَ أَحَدًا مِنْهُمَا أَمَّا أَنْ يَكُنْ. أَسْوَأُ الْأَمْرَاضِ دَاءُ
 الْقَلْبِ، وَأَسْوَأُ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ إِيْدَاءُ الْقُلُوبِ.

أَخْلَاقُ الصَّالِحِينَ:

قَالَ الْخَوَاجَةُ أَبُو الْحَسَنِ الْخَرْقَانِي: مَنْ قَضَى يَوْمًا وَلَيْلَةً مِنْ
 غَيْرِ إِيْدَاءِ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّهُ قَضَى ذَلِكَ الْيَوْمَ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ. يَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْحَسَنَةِ فِي رَدِّ السُّيِّئَةِ مَا أَمُكَّنَ.

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالْأَيْمَنِ مِنَ الْاَيْمَنِ﴾ [جم السجدة: ٣٤].

أَلَا تَرَى أَنَّ شَجَرَةَ الصَّنَدَلِ تَطْيَبُ فَمَنْ الْغَاسِ الَّذِي يَقْطَعُهَا، وَأَوْرَاقُ
الزَّوْدِ تَطْيَبُ الْأَيْدِي الَّتِي تَمْسَحُهَا. قال الخواجه نظام الدين أولياء رحمة
الله تعالى: يا حبيب إن وَضَعَ أَحَدُ الشُّوكِ فِي طَرِيقِكَ فَلَا تَضَعْ فِي
طَرِيقِ الشُّوكِ وَلَا يَنْتَشِرْ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ الشُّوكُ فَقَطْ.

فضائل حُسن الخُلُق:

قال الخواجه محمّد معصوم رحمه الله تعالى في مَكْتُوباتِهِ عَنْ
حُسْنِ الْخُلُقِ: يَا مَنْ فِيهِ آثَارُ الشَّقَقَةِ! الْحَيَاةُ الدُّنْيَوِيَّةُ قَلِيلَةٌ جَدًّا،
وَالْأُمُورُ الدَّائِمَةُ الْأَبَدِيَّةُ مُرْتَبِطَةٌ بِهَا، فَالْمُسْعِدُ مَنْ يَسْتَعِزُّ بِهَذِهِ الْفُرْصَةِ
وَيَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَيَتَزَوَّدُ لِلْمُسْفَرِّ الطَّوِيلِ، وَاللَّهُ مُبْنِحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَكَ
مَرْجِعاً لِحَوَائِجِ جَمَاعَةٍ، فَعَلَيْكَ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْاجْتِهَادِ لِقَضَائِ
حَوَائِجِ الْخُلُقِ، وَاتَّخِذْ خِدْمَةَ عِبَادِ اللَّهِ وَامَائِهِ وَسِيلَةً لِنَيْلِ دَرَجَاتِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاحْسِبِ الْمُعَامَلَةَ الْخَسَنَةَ مَعَ الْخُلُقِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِ،
وَطَلَاقَةَ الْوَجْهِ لَهُمْ، وَمُقَابَلَتَهُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَاللِّينِ وَالْيُسْرِ مَعَهُمْ مَبِياً
لِنَيْلِ رِضَا الْمَوْلَى الْحَقِيقِيِّ جَلَّ مُلْكُتَاهُ، وَذَرِيعَةً لِلنَّجَاةِ وَتَقْدَمُ
الدَّرَجَاتُ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْخُلُقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّ الْخُلُقِ
إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ».

[رواه البيهقي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

وَيَذْكُرُ عِدَّةَ أَحَادِيثَ. ذِكْرُ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ فِي فَضِيلَةِ قَضَائِ
حَاجَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَإِرْضَائِهِمْ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَاللِّينِ وَالْإِنْظَارِ أَوْ الْحُلُمِ
فَتَدْبِرُهَا تَدْبِيراً كَامِلاً. وَإِنْ بَقِيَ إِشْكَالٌ فَاسْأَلْ عَنْهُ طَالِبُ الْعِلْمِ الْمُتَدِينِ.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ
أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي

حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود؛ الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٨٩]

وفي رواية مُسْلِمٍ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ

أَخِيهِ».

[أيضاً ص ٣٩٠]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرُغُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أَوْلَئِكَ الْأَمْثُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٠]

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّصَهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ يَفْرَهُهُمْ عَلَيْهَا مَا بَدَّلُوها، فَإِذَا مَتَّعُوها نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ».

[رواه ابن أبي الدنيا والطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ خَرَجَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اغْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنْ اغْتِكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ رِجْوَى اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَةَ خَنَاقٍ كُلٌّ خَنَاقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

«مَنْ مَشَى فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَةِ أَخِيهِ حَتَّى يُشَبِّثَهَا لَهُ أَظْلَمَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ بِخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ إِنْ كَانَ صَبَاحًا حَتَّى يُنْسِي وَإِنْ كَانَ مَسَاءً حَتَّى يُضِيحَ، وَلَا يَرْفَعُ قَدَمًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وَقَالَ أَيْضاً: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً وَمَعَاهُ عَنْ سَبْعِينَ سَيِّئَةً إِلَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ فَارَقَهُ».

فَإِنْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ عَلَى يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَإِنْ هَلَكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ لَهُ وَصْلَةٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغٍ بَرٍّ، أَوْ تَسِيرٍ عَسِيرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ دَخْصِ الْأَقْدَامِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٣]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، كَسَوَتْ عَوْرَتَهُ أَوْ أَشْبَعَتْ جَوْعَتَهُ، أَوْ قُضِيَتْ لَهُ حَاجَتُهُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَدْخَلَ زَجُلٌ عَلَى مُؤْمِنٍ شُرُوراً إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ الشُّرُورِ مَلَكاً يَتَّبِعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُوحِدهُ، فَإِذَا صَارَ الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ ذَلِكَ الشُّرُورُ، فَيَقُولُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الشُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَنِي عَلَى فُلَانٍ. أَنَا الْيَوْمَ الْإِنْسُ وَحَشَنَكَ وَالْفَنَكُ جِئْتُكَ وَأَتَيْتُكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَشْهَدُكَ مَشَاهِدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشْفَعُ لَكَ إِلَى رَبِّكَ وَأُرِيكَ مَنْزِلَكَ مِنَ الْجَنَّةِ».

[رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ؛ أيضاً ص ٣٩٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: «الْقَمَمُ وَالْفَرْجُ».

[رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالطَّفَهُمْ بِأَهْلِيهِ».

[رواه الترمذي والحاكم؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتٍ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّ لَضَعِيفِ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٤]

وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَيَسَّرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنُهَا عَلَى الْبَدَنِ: الصُّمْتُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٠٥]

وروي أَنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ من قِبَلٍ وَجْهِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ». ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي مِنْ خَلْفِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لَكَ لَا تَفْقَهُ، حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ إِنْ اسْتَطَعْتَ».

[رواه محمد بن نصر المروزي؛ أيضاً ص ٤٠٥، ٤٠٦]

وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «أَنَا رَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

[رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي أيضاً ص ٤٠٦]

وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ جَبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: «إِنَّ هَذَا دِينٌ أَرْتَضِيهِ لِنَفْسِي، وَلَنْ يَصْلَحَ

إِلَّا إِلَٰهًا ۖ وَخُلِقَ الْبَشَرُ ۖ فَأَكْرِمُوهُ بِمَا مَا صَخَّصْتُمُوهُ ۖ

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٦]

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطِيئَاتِ كَمَا يَذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوِّ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١١]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ».

[رواه البخاري ومسلم؛ أيضاً ص ٤١٥]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيَرْضَاهُ وَيَعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُتْبِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١٦]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تُحْرَمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تُحْرَمُ عَلَى كُلِّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصلاة والسلام: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَاجِلُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاضِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَتَمَةِ».

[رواه أبو يعلى؛ أيضاً ص ٤١٨]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْرِكُ بِالْحُلُمِ ذَرْجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصلاة والسلام: «وَجِبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَغْضِبَ فَحَلَمَ».

[رواه الأصبهاني؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا يَشْرَفُ اللَّهُ بِهِ الْبَنِيَانُ،

وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «تَخْلُمُ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتُغْفِرَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ».

[رواه الطبراني والبيهقي؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

[رواه البخاري ومسلم؛ أيضاً ص ٤٢٠]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مِنْ الصَّدَقَةِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْتَ طَلِيقُ الْوَجْهِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٢١]

وقال عليه الصلاة والسلام: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَاؤُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى وَالشُّوْكَ وَالْعَفْظُ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ ذُلِّكَ فِي ذُلِّ أَخِيكَ صَدَقَةٌ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤٢٢]

وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفَةَ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، قال أبو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِماً وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

[رواه الطبراني والحاكم؛ أيضاً ص ٤٢٣]

أَخَذْنَا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مِنْ كِتَابِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَهُوَ كِتَابُ مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَفَقْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِلْعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَاهَا. يَجِبُ عَلَيْنَا مُقَارَنَةُ صَفْحَةِ أَوْضَاعِنَا بِمَقْهُومِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَالشُّكْرُ عَلَى مَا وَافَقَ الْأَحَادِيثَ. وَمَا لَمْ يُوَافِقْ يَجِبُ أَنْ نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِعَجْزٍ وَتَضَرُّعٍ أَنْ يُوفِّقَ لِلْعَمَلِ بِهَا. وَمَنْ لَمْ يَجِدْ تَوْفِيقَ الْعَمَلِ بِهَا فَوَرِئاً فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَرَّ

بذنبه لا محالة. وهذا الاغتراف نعمة أيضاً من الله عظيمته. معاذ الله أن لا يكون لأحد توفيق العمل، ولا يراه مُدُنِيًّا، إذ ليس لديه من الإسلام إلا قليل. (ثم ذكر بيتاً معناه).

مَنْ وَجَدَهُ فَقَدْ وَجَدَ كَنْزاً كَبِيراً مَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَسْبُهُ حُزْنُ قَوَاتِهِ
[المكتوبات المعصومية للعلامة الأول المكتوب رقم ١٤٧]

أمثلة نادرة للنصح:

١ - كان نبي الله سُلَيْمَانُ عليه السلام يذهب بجنوده إذ مرَّ بوادي الثَّمَلِ

ف: «**قَالَ تَلَهُ بِتَأْتِيهَا أَتَمَلُّ أَنْخَلُوا مَسْكُكُمْ**» [النمل: ١٨]، وقد رضي الله تعالى بنصيحها، فلذكر قصتها في القرآن المجيد وسُمِّيَ سُورَةُ بِسُورَةِ الثَّمَلِ، فتدبر لما كَانَ هذا جزاء الله تعالى لِثَمَلِيَّةٍ، فما بَالُ جزاء مؤمنٍ نصيح لمؤمنٍ. الله أكبر كبيراً.

٢ - يُلْقَى قُرْآنُ الحيوانات وعذارى الإنسان في الحقل، فيَعْمَلَانِ هناك عَمَلِ السَّمَادِ ويَطْبُبُ به الزُّرْعُ، فتدبر. إِنَّ الثَّجَاسَةَ تَقِيدُ زُرْعاً تصحبها، فإن لم تَقِدْ نحن الناس الذين هم أَشْرَفُ الخلق، أولسنا أَنْقَضَ وَأَهْوَنَ مِنَ الْقَذَرِ وَالثَّجَاسَةِ؟

٣ - كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَائِمًا فِي ظَهْرِ الصَّبِيِّ، وَكَانَتْ جَارِيَةٌ تُرَوِّحُ بِمِرْوَحَةٍ فَأَخَذَهَا النَّوْمُ فَنَامَتْ جَالِسَةً، فَامْتَقِظَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَوَجَدَهَا نَائِمَةً، فَأَخَذَ الْمِرْوَحَةَ مِنْ يَدِهَا وَبَدَأَ يَرَوِّحُ. كَانَتْ الْجَارِيَةُ مُتَعَبَةً فَنَامَتْ نَوْمًا طَوِيلًا عَمِيقًا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ وَرَأَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوِّحُهَا تَحِيرَتْ، فَقَالَتْ: لَا تُحْزَنِي إِنَّكَ إِنْسَانٌ كَمَا أَنَا إِنْسَانٌ رَأَيْتُكَ نَائِمَةً فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَرَوْحَ وَأَبْشَعِي رِضًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤ - كَانَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَبِيعُ الْأَفْوَشَةَ فِي شَبَابِهِ. أَعْلَقَ دُكَّانَهُ

يَوْمًا مُبَكَّرًا وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ فَقَالَ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ مُغْبَرَّةٌ
وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يُدْرِكَ الزُّبُونُ نَوْعَ الْقِمَاشِ وَلَوْنُهُ إِدْرَاكًا تَامًا، فَأَغْلَقْتُ
الذِّكَّانَ حَتَّى لَا يَتَخَلَّجَ زُبُونُ قِيَمَتِ الثَّوبِ الرَّخِيصِ ثَمِينًا.

٥ - فَاتَّخَذَ مَضْرَ سَيِّدُنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَتَحَ مَضْرَ دَخَلَ
خِيَمَتَهُ فَرَأَى حَمَامَةً بَاضَتْ وَاتَّخَذَتْ عُشًّا، فَأَذِنَ لِلْجُنُودِ بِالرَّحِيلِ
وَتَرَكَ قِسْطَاطَهُ قَائِمًا هُنَاكَ حَتَّى لَا تَتَأَذَّى الْحَمَامَةُ. وَيُقَالُ لِلخِيَمَةِ فِي
العَرَبِيَّةِ: قِسْطَاطٌ. وَهُنَاكَ مَدِينَةٌ قَائِمَةٌ حَتَّى الْآنَ اسْمُهَا قِسْطَاطٌ تَشْهَدُ
بِعَظَمَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ - رَأَى رَجُلًا مَرَّيًّا فِي سَبِيلِهِ إِلَى رِيَّةٍ نَزَلَ فِي
فَرَأَى كَلْبًا يَنَامُ، فَوَقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هُنَاكَ حَتَّى قَامَ الْكَلْبُ نَفْسَهُ وَذَهَبَ
إِلَى جَانِبِ، فَعَلَّ الْمَوْلَى هَذَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَيُّ خَلَلٍ فِي نَوْمِ الْكَلْبِ.

٧ - قَامَ الْخَوَاجَةُ بَاقِي بِاللَّهِ مَرَّةً لِلتَّهَجُّدِ وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَصَلَّى التَّهَجُّدَ
وَتَقَدَّمَ إِلَى فَرَائِجِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَجَدَ هَرَّةً جَاءَتْ وَاقْتَحَمَتِ الْفِرَاشَ،
فَبَاتَ الشَّيْخُ يَتَبَرَّدُ عَلَى السَّجَادَةِ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الْهَرَّةِ مِنَ
الْفِرَاشِ.

٨ - خَدَّمَ الْخَوَاجَةُ بِهِاءَ الَّذِينَ نَقَشَبُنْدُ الْبُخَارِيِّ كَلْبًا جَرِيحًا شَنِيعَةً عَشَرَ
يَوْمًا، فَلَمَّا أَقَامَ الْكَلْبُ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى أَصْبَحَ
إِمَامًا لِلسَّلْسَلَةِ الْعَالِيَةِ النَّقَشَبِنْدِيَّةِ.

٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ عَاهِرَةَ سَقَتْ كَلْبًا عَطْشَانًا فَقَفَّرَ لَهَا، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ يَحْسِبَ نَصِيحَ الْآخَرِينَ ذَرِيعَةً لِنَجَاتِهِ، وَقَدْ فَعَلَ السَّلَفُ
الصَّالِحُونَ بِالْحَيَوَانَاتِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا نَرَى، أَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَعَامِلَ
الْإِنْسَانَ مَعَامِلَةً حَسَنَةً، الْإِسْلَامُ مَسَلِكُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَسَلِكِ
الْمُؤَاخَاةِ.

فضائل الأخوة الإسلامية :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبي ﷺ: «من أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنَّ نَسَبِي ذَكَرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَغَانَهُ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي رواية: «مَثَلُ الْآخَوَيْنِ إِذَا اتَّقَيَا مَثَلُ الْيَتِيمَيْنِ تَغَيَّلَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى، وَمَا اتَّقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَخَى أَخًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَتَأَلَّاهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروي عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا غَرِيبًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَتَجَمَّعُ إِلَيْهِ أَلِيَّهُمْ وَهُمْ لَهُمَا آلَةٌ وَهَلْوَ الْكَلْبُ وَهَلْوَ الْكَلْبُ﴾ [الشورى: ٢٦] قَالَ: يَشْفَعُهُمْ فِي إِخْوَتِهِمْ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ، وَمِمَّنْ مَالٌ إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَهَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، وَابْنُ شِهْرَمَةَ، وَشَرِيحٌ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنُ عِيْنَةَ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ وَافَقَهُمْ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلُفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصلاة والسلام: «الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ

يَوْمًا مُبَكَّرًا وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ فَقَالَ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ مُغْبَرَةٌ
وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يُذْرِكَ الزُّبُونُ نَوْعَ الْقِمَاشِ وَلَوْ أَنَّ إِدْرَاكَ تَامًا، فَأَعْلَقْتُ
الدَّكَانَ حَتَّى لَا يَتَخَدَّعَ زُبُونٌ فَيُخْسِبَ الثَّوبَ الرَّخِيسَ ثَمِينًا.

٥ - فَاتَّبَعَ مِضْرَ سَيِّدِنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَتَحَ مِضْرَ دَخَلَ
خِيَمَتَهُ فَرَأَى حَمَامَةً بَاضَتْ وَاتَّخَذَتْ عُشًّا، فَأَذِنَ لِلْجُنُودِ بِالرَّجِيلِ
وَتَرَكَ فُسْطَاطَهُ قَائِمًا هُنَاكَ حَتَّى لَا تَتَأَذَى الْحَمَامَةُ. وَيُقَالُ لِلْعِيمَةِ فِي
الْعَرَبِيَّةِ: فُسْطَاطٌ. وَهُنَاكَ مَدِينَةٌ قَائِمَةٌ حَتَّى الْآنَ اسْمُهَا فُسْطَاطٌ تُشْهَدُ
بِعَظَمَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ - كَانَ مَوْلَانَا الرَّؤُومِي مَعَ تَلَامِيذِهِ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ ضَيِّقٍ بِالْمِزْرَعَةِ،
فَرَأَى كَلْبًا يَنَامُ، فَوَقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هُنَاكَ حَتَّى قَامَ الْكَلْبُ نَفْسَهُ وَذَهَبَ
إِلَى جَانِبٍ، فَعَلَّ الْمَوْلَى هَذَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَيُّ خَلَلٍ فِي نَوْمِ الْكَلْبِ.

٧ - قَامَ الْخَوَاجَةُ بَاقِي بِاللَّهِ مَرَّةً لِلتَّهَجُّدِ وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَصَلَّى التَّهَجُّدَ
وَتَقَدَّمَ إِلَى فِرَاشِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَجَدَ مَرَّةً جَاءَتْ وَاقْتَحَمَتِ الْفَرَاشَ،
فَبَاتَ الشَّيْخُ يَنْبَرِدُ عَلَى السَّجَادَةِ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الْهَرَّةِ مِنْ
الْفَرَاشِ.

٨ - خَدَمَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينُ نَقِشْبَنْدُ الْبُخَارِي كَلْبًا جَرِيحًا سَبْعَةَ عَشَرَ
يَوْمًا، فَلَمَّا أَفَاقَ الْكَلْبُ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى أَصْبَحَ
إِمَامًا لِلسَّلْسَلَةِ الْعَالِيَةِ النَقِشْبَنْدِيَّةِ.

٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ عَاهِرَةَ سَقَتْ كَلْبًا عَطْشَانًا فَقَفَّرَ لَهَا، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ يَحْسِبَ نَصِيحَ الْآخِرِينَ فَرِيعَةً لِنَجَاتِهِ، وَقَدْ فَعَلَ السَّلَفُ
الصَّالِحُونَ بِالْحَيَوَانَاتِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا نَرَى، أَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَعَامِلَ
الْإِنْسَانِيَّ مَعَامِلَةً حَسَنَةً، الْإِسْلَامُ سَلَكُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَلَكِ
الْمُؤَاخَاةِ.

فضائل الأخوة الإسلامية :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبي ﷺ :
« من أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَغَانَهُ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي رواية : « مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ إِذَا اتَّقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْمِيلٌ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، وَمَا اتَّقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا آفَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ آخَى أَخًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْأَلُهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروينا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا غَرِيبًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَلِمَاتٍ وَيُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ [الشورى: ٢٦] قَالَ : يَشْفَعُهُمْ فِي إِخْوَتِهِمْ فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ مَعَهُمْ ، وَمِنْ مَالٍ إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ ابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَهَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، وَابْنُ شَبْرَمَةَ ، وَشَرِيحٌ ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ عِيَيْنَةَ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ وَافَقَهُمْ .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ

خَيْراً مِنْ أَخِ ضَالِحٍ، وَقَالَ أَيْضاً: إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ وَدّاً مِنْ أَخِيهِ فَلْيَتِمَّسْكْ بِهِ فَقَلَّمَا نَصِيبُ ذَلِكَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٥]

وقد قيل: أَوَّلُ مَا يُزْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ، ثُمَّ الْوَرَعُ، ثُمَّ الْأَمَانَةُ، ثُمَّ الْأَلْفَةُ.

[أيضاً ص ٤١٤]

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ كَلَاماً مَنُظَّوْماً شِعْراً:

مَا نَأَلَتْ النَّفْسُ عَلَى بَغِيَةٍ أَلَذَّ مِنْ وَدِّ صَدِيقِي أَمِينِ
مَنْ فَاتَهُ وَدَّ أَخٍ ضَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَقْطُوعُ مِنْهُ الْوَتِينِ

[أيضاً ص ٤١٥]

وفي وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي رويناهما، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدِيقِ تَعِشْ فِي أَكْثَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ.

[أيضاً ص ٤١٧]

ورويناهما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عُمُودٍ مِنْ بَأْفُوْتِهِ حُمُرَاءُ، فِيهِمْ رَأْسُ الْعُمُودِ سِتُّونَ أَلْفَ عُرْفَةٍ، مُشْرِقُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تَضِيءُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُتْدُسٌ خَضِرٌ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبَاهِهِمْ: هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٩ واللفظ له، عوارف المعارف ص

٢٠٨؛ وإحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٤]

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يُؤْتَرُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

[الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٨، ١٩ واللفظ له وقوت القلوب

ج ٢ ص ٤٢٠]

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا تَنَقَّوْا فَكَثُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ تَنَحَّاتٍ عَنْهُمْ الْخَطَايَا كَمَا يَتَنَحَّاتُ وَرَقُ الشَّجَرِ فِي الشِّتَاءِ إِذَا يَبَسَ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٥]

وَرَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلُّ إِلَّا ظِلُّهُ مِنْهُمْ كَذَا وَائِثَانٍ تَأَخَّيَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠: الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥، ١٦]

وَكَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرُهُ يَقُولُ: «نَظَرُ الْأَخِ إِلَى وَجْهِ أَخِيهِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ عِبَادَةٌ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا فِي اللَّهِ تَعَالَى فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَارْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَحِمٌ تَصِلُهَا، أَوْ لَهُ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ تُرَبِّهَا، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢١]

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَنْ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ

عنهما: لو أن رجلاً صام النهار لا يفطر، وقام الليل، وجاهد ولم يحب في الله عز وجل ولم يبعض في الله ما نفعه ذلك شيئاً.

[عوارف المعارف ص ٢٠٩]

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَيُّ عَزَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِهِ». قَالُوا: الْحَجُّ وَالْجِهَادُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِهِ». قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَوْثَقُ عَزَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَالْبُعْضُ فِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٢]

وفي حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: كُنْتُ أَلْقَى الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِي مَرَّةً فَأَقِيمَ عَاقِلًا بَلَقَانِهِ أَيْمَامًا.

[إيضاً ص ٤٢٣]

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: كُنْتُ إِذَا وَجَدْتُ فِي نَفْسِي فِتْرَةً، نَظَرْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ يَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلَّاهُ إِلَّا ثَلَاثٌ: الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ، وَالتَّهَجُّدُ مِنَ اللَّيْلِ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ. وَكَانَ الْحَسَنُ وَأَبُو قَلَابَةَ يَقُولَانِ: إِخْوَانُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا لِأَنَّ أَهْلِينَا يُذَكِّرُونَنَا الدُّنْيَا وَإِخْوَانُنَا يَذَكِّرُونَنَا الْآخِرَةَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٣]

شروط أساسية للأخوة:

يُشْتَرَطُ لَوُقُوعِ الْمُوَاخَاةِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ أَوَّلًا التَّجَانُّسُ أَيِ التَّمَثُّلُ فِي أَحْوَالِهِمَا كَأَن يَكُونَا صَالِحَيْنِ أَوْ مُرِيدَيْنِ لِشَيْخٍ وَاحِدٍ، أَوْ يَكُونَا مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ أَوِ الْبَاطِنِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَتَحَقَّقُ الْأَلْفَةُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْأَرْبَعَةِ:

١ - الاتِّحَادُ فِي الْعَزْمِ (كَأَن يَكُونَا سَالِكَيْنِ).

٢ - الاِشْتِرَاكُ فِي الْحَالِ (كَأَن يَكُونَا دَاخِلَيْنِ فِي سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ).

٣ - التَّقَارُبُ فِي الْعِلْمِ (كَأَن يَكُونَا صَاحِبَيْنِ نِسْبَةٍ).

٤ - الاتِّفَاقُ فِي الْأَخْلَاقِ (كَأَن يَكُونَا مُتَوَاضِعَيْنِ).

وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا اِشْتِرَاكٌ فِي الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ تَشْتَدُّ مَوَاحَاتُهُمَا، وَلِذَا قِيلَ: الْجَنَسُ بِمِثْلِ إِلَى الْجَنَسِ.

قال أبو طالب: وقد رُويَنا في حديث: «إِنَّ الْأَزْوَاجَ جُثُودٌ مُجْتَدَّةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» إِلَى أَنْ قَالَ: وَفِي هَذَا الْخَبَرِ زِيَادَةٌ: وَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةٌ مُنَافِقٍ، وَفِيهِ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ. وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةٌ مُؤْمِنٍ، وَفِيهِ مُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ. وَقَدْ ذَكَرَ لِهَذَا الْحَدِيثِ سَبَبٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ أَنَّ امْرَأَةً عَطَّارَةً كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِ قَدِّمَتْ امْرَأَةً مِنْ مَكَّةَ عَطَّارَةً وَكَانَتْ مَرْأَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى مَنْ نَزَلَتْ؟» قِيلَ: عَلَى فَلَانَةٍ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٢]

وكذلك رُويَنا في حديث المُواخَاةِ الَّذِي آخَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَأَخَى بَيْنَ اثْنَيْنِ شَكْلَيْنِ فِي الْعِلْمِ وَالْحَالِ، أَخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَغَمْرٍ، وَبَيْنَ عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُمَا نَظِيرَانِ. وَأَخَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَهُمَا شَكْلَانِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهْدِ، وَأَخَى بَيْنَ عَمَّارٍ وَسَعْدٍ وَكَانَا نَظِيرَيْنِ، وَأَخَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

رُويَ أَنَّ مَعْرُوفًا سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مَخْفُوفٍ: هَذَانِ الرَّجُلَانِ

إِمَامًا هَذَا الْبَلَدِ فَأَشِيرَ عَلَيَّ أَيُّهُمَا أَصْحَبُ؟ فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنَاذِبَ بِهِ: أَحْمَدُ
أَبْنُ حَنْبَلٍ أَوْ بَشَرُ بْنُ الْحَارِثِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ لَهُ مَعْرُوفٌ: لَا
تَضْحَكْ أَحَدَهُمَا فَإِنَّ أَحْمَدَ صَاحِبُ حَدِيثٍ، وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِغْفَالُ
بِالنَّاسِ، فَإِنْ ضَحِجْتَهُ ذَهَبَ مَا تَجِدُ فِي قَلْبِكَ مِنْ خَلَاوَةِ الذِّكْرِ وَحُبِّ
الْخُلُوعِ، وَأَمَّا بَشَرٌ فَلَا يَتَفَرَّغُ لَكَ وَلَا يُقْبَلُ عَلَيْكَ شُغْلًا بِحَالِهِ، وَلَكِنْ
أَصْحَبُ أَسْوَدَ بْنِ سَالِمٍ فَإِنَّهُ يُضْلِعُ لَكَ وَيَقْبَلُ عَلَيْكَ، فَمَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ
فَانْتَفَعَ بِهِ. وَإِنَّمَا ضَمَّمَهُ مَعْرُوفٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْأَسْوَدِ دُونَهُمَا، لِأَنَّهُ
كَانَ أَلْيَقَ بِحَالِهِ وَأَشْبَهَ بِوَضْعِهِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِ: الصَّاحِبُ كَالرَّقْعَةِ فِي الثُّوبِ إِنْ لَمْ تَكُنْ
مِنْ جَنَسِهِ شَانَتْهُ.

[أيضاً ص ٤٥٧]

وَيُقَالُ: إِذَا اضْطَحَبَ اثْنَانِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ وَلَمْ يَتَشَاكَلَا فِي الْحَالِ،
فَلَا بَدَّ أَنْ يَتَفَرَّقَا. وَقَدْ أَتَشَدَّنَا بَعْضُ الْعَرَبِ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ:
وَقَائِلٍ لِمَ تَفَرَّقْتُمَا فَقُلْتُ قَوْلًا فِيهِ انْصَافٌ
لَمْ يَكْ مِنْ شَكْلِي فَمَارَقْتُهُ وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَأَلْفٌ

[أيضاً]

الحبيب كيف يكون؟

كَانَ بَشَرُ بْنُ الْحَارِثِ يَقُولُ: لَا تُخَالِطْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَسَنَ الْخُلُقِ
فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا تُخَالِطْ سَيِّئَ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِشَرٍّ.

[أيضاً ص ٤٣٥]

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُوَاجِهَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ، ثُمَّ دَسْ عَلَيْهِ
مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْكَ فَإِنْ قَالَ خَيْرًا فَاضْحِكْهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا تُوَاجِهْ أَحَدًا حَتَّى

تَبْلُوهُ وَتُقْسِي إِلَيْهِ سِرًّا ثُمَّ جَافِيَهُ وَاسْتَعْصِبَهُ، وَانْظُرْ فَإِنْ أَفْسَى عَلَيْكَ فَاجْتَنِبْهُ، وَقِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ: مَنْ أَضْحَبَ مِنَ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ يَعْلَمُ مِنْكَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَسْتُرُ عَلَيْكَ مَا يَسْتُرُ اللَّهُ تَعَالَى.

[أيضاً ص ٤٣٥]

كَانَ أُنْمُوذَجُ فِعْلِي لـ: (تَخَلَّفُوا بِاخْلَاقِ اللَّهِ).

كَانَ بَغْضُ النَّاسِ يَقُولُ: لَا تُؤَاخِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ لَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْكَ فِي أَرْبَعٍ: عِنْدَ غَضَبِهِ وَرِضَاهُ، وَعِنْدَ طَمَعِهِ وَهَوَاهُ. وَقَالَ بَغْضُ الْأَدْبَاءِ: لَا تَضْحَبَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ: يَكْتُمُ سِرَّكَ وَيَنْشُرُ بَرَّكَ وَيَطْوِي عَيْتَكَ، وَيَكُونُ فِي النُّوَائِبِ مَعَكَ وَفِي الرُّغَائِبِ يُؤَثِّرُ.

[أيضاً ص ٤٣٦]

قَالَ بَغْضُ الْعُلَمَاءِ: لَا تَضْحَبَ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا تَتَعَلَّمُ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِكَ فَيَنْتَفِعُكَ، أَوْ رَجُلًا تَعْلَمُهُ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ فَيَقْبَلُ مِنْكَ. وَالثَّلَاثُ أَهْرُبُ مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَوَارِي، قَالَ لِي أَسْتَاذِي أَبُو سُلَيْمَانَ: يَا أَحْمَدُ لَا تَضْحَبَ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ [رَجُلٍ] تَرْتَفِقُ بِهِ فِي دُنْيَاكَ، أَوْ رَجُلٍ تَزِيدُ مَعَهُ وَتَنْتَفِعُ بِهِ فِي آخِرَتِكَ.

[أيضاً ص ٤٣٧]

كَانَ أَبُو ذُرٍّ يَقُولُ: الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ وَالْجَلِيسُ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ.

[أيضاً]

وَأَوْصَى بَغْضُ السَّلَفِ ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بَنِي لَا تَضْحَبَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ إِنْ افْتَقَرْتَ قُرْبَ مِنْكَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ لَمْ يَطْمَعْ فِيكَ، وَإِنْ عَلَتْ مَرَاتِبُهُ لَمْ يَرْتَفِعْ عَلَيْكَ، وَإِنْ تَذَلَّلْتَ لَهُ صَانَكَ، وَإِنْ اخْتَجَجْتَ لَهُ مَانَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ زَانَكَ.

[أيضاً ص ٤٥٩]

وقال بغض الأئمة: الناس أَرْبَعَةٌ، فَاضْحَبْ ثَلَاثَةً وَلَا تَضْحَبْ وَاحِدًا: رَجُلٌ يَذْرِي وَيَذْرِي أَنَّهُ يَذْرِي، فِهَذَا عَالِمٌ فَاتَّبِعُوهُ. وَرَجُلٌ يَذْرِي وَلَا يَذْرِي أَنَّهُ يَذْرِي فِهَذَا نَائِمٌ فَتَّبِعُوهُ. وَرَجُلٌ لَا يَذْرِي وَيَذْرِي أَنَّهُ لَا يَذْرِي فِهَذَا جَاهِلٌ فَعَلِّمُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَذْرِي وَلَا يَذْرِي أَنَّهُ لَا يَذْرِي فِهَذَا مُنَافِقٌ فَاجْتَنِبُوهُ.

[أيضاً ص ٤٥٤]

وكان أبو مهران يقول: أَخْرِجْ مِنْ مَنَازِلِي فَأَنَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ: إِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي، فَهُوَ يَوْمٌ فَائِدَتِي أَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَإِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ مِثْلِي فَهُوَ يَوْمٌ مُذَاكَرَتِي، وَإِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ دُونِي فَهُوَ يَوْمٌ مَثَوْنَتِي أَعْلَمُهُ فَأَخْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ.

وقال أبو جعفر محمد بن علي لابنه جعفر بن محمد: لَا تَضْحَبَنَّ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً، وَاضْحَبْ مَنْ ثَبُتَ: الْكَذَّابُ فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ وَهُوَ مِثْلُ السَّرَابِ يَقْرُبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ وَيَبْعَدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ، وَالْأَخْمَقُ فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ، وَالْبَخِيلُ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ أَخْرَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَالْحَبَّانُ فَإِنَّهُ يُسَلِّمُكَ عِنْدَ الشَّدَةِ، وَالْفَاجِرُ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِأَكْلَمَةٍ أَوْ بِأَقْلٍ مِنْهَا. قُلْتَ: وَمَا أَقْلٌ مِنْهَا؟ قَالَ: الطَّمْعُ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٥]

قال أبو طالب المكي: إِيَّاكَ أَنْ تَضْحَبَ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً: الْمُبْتَدِعُ، وَالْفَاسِقُ، وَالْجَاهِلُ، وَالْخَرِيسُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالْكَثِيرُ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥١]

وقد كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: التَّنْظَرُ إِلَى وَجْهِ الْأَخْمَقِ خَطِيئَةٌ مَكْتُوبَةٌ.

[أيضاً]

وفي الحديث الشريف: خَيْرُ صَاحِبٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يَرْفُقَ بِأَصْحَابِهِ، وَخَيْرُ جَارٍ مَنْ يَرْفُقَ بِجِيرَانِهِ. إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ جَاهِلٍ، فَإِنَّهُ يَحْتَفِلُ بِصِيْرَةِ الْجَاهِلِ أَوْ عَاقِلٍ عَنْ قَوْلِكَ الْكَرِيمِ. أَمَرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالاجْتِنَابِ عَنْ مُصَاحَبَةِ شَخْصَيْنِ، وَأَمَرَ بِمُصَاحَبَةِ شَخْصٍ.

١ - إِيَّاكُمْ وَمُصَاحَبَةَ الْجَاهِلِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَفِيحًا وَلَا تَفْعَلَنَّ سَكِيلَ النَّارِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

٢ - إِيَّاكُمْ وَمُصَاحَبَةَ الْعَافِلِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

٣ - عَلَيْكُمْ بِمُصَاحَبَةِ الْمُنِيبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [الزمر: ١٥]. فَيُتَّبَعُ لِلسَّالِكِ أَلَا يُصَاحَبُ إِلَّا شَيْخُهُ أَوْ إِخْوَانُهُ فِي الطَّرِيقَةِ، إِذْ تُصَدَّقُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ.

آداب الأخوة:

يُتَّبَعُ لِلسَّالِكِينَ أَنْ يَضَعُوا أَمَانَتَهُمْ آدَابَ الْأَخْوَةِ كُلِّ وَفَتْ وَيَجْعَلُوا حَيَاتَهُمْ مُوَافِقَةً لَهُ وَفِيمَا يَلِي بَعْضُ الْأَدَابِ:

١ - يُحَاوَلُ أَنْ يَسْبِقَ إِخْوَتَهُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وَذَكَرَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قَالَ شَاعِرٌ فِي وَصْفِ مُؤْمِنٍ كَامِلٍ مَا مَعْنَاهُ:

إِذَا كَانَ جَمْعُ الْأَصْدِقَاءِ فَهُوَ مِثْلُ الْخَرِيرِ

وَإِذَا وَقَعَ حَرْبٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَالْمُؤْمِنُ حَدِيدٌ

وَمِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٩] وَقَالَ فِي مَقَامٍ آخَرَ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. وَقَالَ عَلَيْهِ

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ».

[أخرجه الترمذي، جامع الأصول ج ٤ ص ٥١٥]

٢ - يُحَاوِلُ لِقْضَاءَ حَاجَاتِ أَخُوهِ. وَقَالَ تَعَالَى مُعْجِباً عَمَّنْ لَيْسَ لَهُ

صَدِيقٌ حَمِيمٌ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتُهُ: «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»

[الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

ومعنى حميم أي حميم، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من
الاهتمام أي مهتم بأمره، ففيه دليل أن الصديق لك هو المهمتك بك.

[أيضاً ص ٤١٤]

وَكَذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ فِيمَا ذَكَرَهُ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ قَالُوا: كَانَ أَحَدُهُمْ
يُخْلَفُ أَخَاهُ فِي عِيَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَفْقِدُونَ إِلَّا وَجْهَهُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

وَمِنْ حَقِّ الْأَخُوَّةِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا ثَقُلَ إِلَيْنَا مِنْ سَبِيرَةِ السَّلَفِ
قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى مَنْزِلِ أَخِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، فَيَقُولُ
لَأَخِيهِ: هَلْ عِنْدَكُمْ ذَقِيقٌ؟ أَلَكُمُ زَيْتٌ، تَحْتَاجُونَ إِلَى كَذَا، فإِنْ
قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا اشْتَرَى لَهُمْ مَصَالِحَهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَخُ يَفْرُقُ بَيْنَ
عِيَالِهِ وَعِيَالِ أَخِيهِ، يُقَامِسُهُمُ الْمَوْتَةُ قَالَ: وَيَلْقَى أَخَاهُ فَلَا يُغْلِمُهُ
بشئٍ من ذلك.

[أيضاً ص ٤٢١]

يُقَالُ: إِنَّ مَسْرُوقاً إِذَا دَانَ دِيناً ثَقِيلاً، وَكَانَ عَلَى أَخِيهِ خِيْشْمَةٌ دَيْنٌ،
قَالَ: فَذَهَبَ مَسْرُوقٌ فَقَضَى دَيْنَ خِيْشْمَةٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَذَهَبَ خِيْشْمَةٌ
فَقَضَى دَيْنَ مَسْرُوقٍ سِرّاً وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

نَظَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ثَوْرَيْنِ يَحْرَتَانِ فِي قَدَانٍ، فَوَقَفَ
أَحَدُهُمَا يَخُكُ جَنْبَهُ فَوَقَفَ الْآخَرُ، فَبَكَى أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لَهُ: هَكَذَا

الْأَخْوَانُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُعْمَلَانِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

[أيضاً ص ٤٤٠]

٣ - لا يخزي أخاه بارتكاب خطأ، بل يُحاول لإصلاحه بطريق مُناسب،
روينا عن أبي الدرداء أَنَّ شَاباً غَلَبَ عَلَى مَجْلِسِهِ حَتَّى أَخْبَهُ أَبُو
الدرداء، فَكَانَ يُقَدِّمُهُ عَلَى الْأَشْيَاخِ وَيَقْرِيهِ فَحَسَدُوهُ، وَأَنَّ الشَّابَّ وَقَعَ
فِي كَبِيرَةٍ مِنَ الْكَبَائِرِ، فَجَاءُوا إِلَى أَبِي الدرداء فَحَدَّثُوهُ وَقَالُوا لَهُ: لَوْ
أَبْعَدْتَهُ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُتْرَكُ صَاحِبَتَا شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَرَوَيْنَا
عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ الصُّحَابَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ فِيهِ،
فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ وَإِلَّا فَهُوَ أَخِي، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لِنَبِيِّهِ فِي عَشِيرَتِهِ: ﴿إِن عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٌّ وَمِمَّا نَعْمَاؤُنْ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

وَلَمْ يَقُلْ: قُلْ إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ لِلْحِمَةِ النَّسَبِ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

وَفِي حَدِيثٍ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سَأَلَ عَنْ أَخٍ كَانَ أَخَاهُ،
فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: ذَاكَ أَخُو الشَّيْطَانِ.
قَالَ: مَهْ. قَالَ: إِنَّهُ قَارَفَ الْكَبَائِرَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْحُمْرِ، فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ
الْخُرُوجَ فَأَذِّنِي، قَالَ: فَكُنْتُ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمَّ تَبَرُّلِ
الْكَتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ١-٢] ثُمَّ عَاتَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَذَلَهُ، فَلَمَّا فَرَأَ
الْكِتَابَ قَالَ: صَدَّقَ اللَّهُ وَنَصَحَ لِي عُمَرُ. قَالَ: فَتَابَ وَرَجَعَ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

عَدَمُ الْإِمْتِنَالِ بِنُصِيحَةِ الْآخِ عَلَامَةٌ قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَكَذِبِ الْحَالِ. قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكَافِرِينَ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَجْعَلُونَ النَّصِيحَةَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٤ - لِمَسْتَرٌ غُيُوبَ أَخِيهِ وَأَخْطَاءَهُ. جَاءَ فِي الْحَبَرِ: اسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ الَّذِي إِنْ رَأَى خَيْرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا ظَهَرَهُ.

[أيضاً ص ٤٢٨]

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ الْعَدَالَةِ قَوْلًا اسْتَحْسَنَهُ الْعُلَمَاءُ، وَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُطِيعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَغْصِيَهُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْصِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَطِيعَهُ، فَمَنْ كَانَتْ طَاعَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فَهُوَ الْعَدْلُ.

[أيضاً]

قَالَ عِمْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَاكِمَ نَائِمًا، فَكَشَفْتَ الرِّيحُ عَنْهُ ثَوْبَهُ قَالُوا: نَسْتُرُهُ وَنُعْطِيهِ فَقَالَ: بَلْ تَكْشِفُونُ عَوْرَتَهُ. قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ: أَحَدُكُمْ يَسْمَعُ فِي أَخِيهِ بِالْكَلِمَةِ فَيَزِيدُ عَلَيْهَا وَيَشِيعُهَا بِأَعْظَمَ مِنْهَا.

[أيضاً ص ٤٢٩]

قال ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ سَتَرَ اللَّهُ غُيُوبَهُ».

٥ - لَا تَفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا. قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي أَرَى هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُقَدِّمُكَ عَلَى الْأَشْيَاخِ وَيُقَرِّبُكَ دُونَهُمْ، فَاخْفِظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تَفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تُغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كِذْبَةً. وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: وَلَا تُغْصِيَنَّ لَهُ أَمْرًا، وَلَا يَطْلُعَنَّ مِنْكَ عَلَى خِيَانَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ وَقَدْ رَوَاهُ: كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنَ أَلْفِ، قَالَ: كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ.

[أيضاً ص ٤٣٤]

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُ فِي حِفْظِ السِّرِّ مَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا عَنْ

إخوان له، دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ، فَاسْتَشْدُوهُ شَيْئاً مِنْ شَيْغَرِهِ فِي حِفْظِ السَّرِّ، فَأَشْدَهُمْ عَلَى الْبَدِيهِيَّةِ:

وَمُسْتَوْدِعِي سِرِّ تَبَوَّاتٍ كَثَمَهُ فَأَوْدَعْتُهُ ضَلْزِي فَصَارَ لَهُ قَبْراً

[أيضاً]

وَرَوَيْنَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لَا يَغْتَنِمُهُ وَلَا يَخْشِمُهُ.

[أيضاً]

٦ - يُنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ بِالْغَيْبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يُسْتَجَابُ لِلْمَرْءِ فِي أَخِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ»، وَجَاءَ فِي

الْحَدِيثِ: «دُعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِالْغَيْبِ لَا يَرُدُّ». وَبِقِصَّةِ الْمَلِكِ:

«وَلَكَ مِثْلُ هَذَا - كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنِّي لَأَدْعُو

لِأَرْبَعِينَ مِنْ إِخْوَانِي فِي شُجُودِي أَسْمِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ».

[أيضاً ص ٤٤٠]

وَكَانَ شَيْخٌ يَقُولُ: نَحْرُسْنَا أَدْعِيَةً أَكْبَرَنَا.

٧ - يُنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَا يَذَرِي لَعْلَ دُعَاءِهِ

يُسْتَجَابُ وَيَغْفَرُ لِلْمَيِّتِ لِحُسْنِ نِيَّتِهِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلُ الْمَيِّتِ فِي

قَبْرِهِ مِثْلُ الْغَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَنْتَظِرُ دَعْوَةَ مَنْ وَلَدٍ أَوْ وَالِدٍ أَوْ أَخٍ

وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ مِنْ دُعَاءِ الْأَخْيَاءِ مِنَ الْأَنْوَارِ أَمْثَالِ

الْجِبَالِ». وَيَقَالُ: الدُّعَاءُ لِلْأَمْوَاتِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَايَا لِلْأَحْيَاءِ فِي الدُّنْيَا،

وَقَدْ كَانَ الْإِخْوَانُ يُوضُونَ إِخْوَانَهُمْ بَعْدَهُمْ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَكَانَ

عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: غَرِيبٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ.

[أيضاً ص ٤٤١]

وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الدُّعَاءَ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَرَبَّنَا

أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

على السَّالِكِ، أَنْ يُوَسِّعَ مَائِدَتَهُ لِأَخِيهِ وَيَعْمَلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ رُؤُسَهُمُ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٤٩].

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ، وَفَرَّقَ السَّنَجِي يَدْخُلُونَ مَنَزِلَهُ فَيَأْكُلُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ وَيَقُولُ: ذَكَرْتُمُونِي أَخْلَاقَ قَوْمٍ مَضُوزٍ. هَكَذَا كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي، فَيَقْدُمُ إِلَيْنَا الطَّيِّبَاتِ وَلَا يَأْكُلُ مَعَنَا وَيَقُولُ: إِنَّمَا خَبَأَتُهُ لَكُمْ، فَقُلْنَا: نَطْعِمُنَا الشَّهَوَاتِ وَلَا تَأْكُلُهَا. فَقَالَ: لَا أَكُلُهَا لِأَنِّي قَدْ تَرَكْتُ أَكْلَهَا، وَأَقْدَمُهَا إِلَيْكُمْ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَشْتَهُونَهَا. وَقَالَ: كُنَّا نُبَايِعُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ فِي الْمَصِيصَةِ وَفِي قُرَى السَّوَاجِلِ، فَكَانَ يَكْسِرُ لَنَا الصَّنُوبِرَ وَالْبِنْدُقَ وَاللُّوزَ لِنَلَهُ أَجْمَعَ وَيَقُولُ: كُلُّوْا، فَقُلْنَا: لَوْ أَقْبَلْتِ عَلَى صَلَاتِكَ وَتَرَكْتَ هَذَا. فَيَقُولُ: هَذَا أَفْضَلُ.

[أيضاً ص ٤٤٤]

أَبَاحَتِ الشَّرِيعَةُ أَكْلَ الطَّعَامِ مِنْ بَيْتِ الصَّدِيقِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ لَحْمِ بَرِيرَةَ تُصَدِّقُ بِهَا عَلَيْهَا وَكَانَتْ غَائِبَةً لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ يُسِرُّهَا.

[أيضاً]

نَظَرَ هَاشِمُ الْأَوْقَصُ إِلَى الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ جَوْنٍ لِبَقَالٍ: مِنْ هَذِهِ بُسْرَةٌ وَمِنْ هَذِهِ تِينَةٌ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَأْكُلُ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَقَالَ: يَا لُكْعُ، أَتَلُ عَلَى آيَةِ الْأَكْلِ ثُمَّ قَرَأَ الْحَسَنُ: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ سَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

[أيضاً]

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَفْجِؤُهُ الضَّيْفُ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَقْدُمُهُ إِلَيْهِ فَيَذْهَبُ إِلَى مَنَزْلِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ خُبْزاً وَقِلَيراً قَدْ كَانَ طَبَخَهَا، فَيَحْمِلُهُ إِلَى

ضيفه فيلقاه أخوه بعد ذلك فَيَسْتَحْسِنُهُ منه ويأمره بفعل مثل هذا في كل نائبة.

[أيضاً]

وروينا أَنَّ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ دَخَلَا مَنْزِلَ الْحَسَنِ وَكَانَ غَائِباً فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ سَلَةً فِيهَا طَعَامٌ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ، فَدَخَلَ الْحَسَنُ فَقَالَ: هَكَذَا كُنَّا لَا يَخْتَشِمُ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ.

[أيضاً ص ٤٤٦]

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ يَخْتَلِطُونَ بِأَخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ يَتَاكَلُونَ وَيَتَمَاشَوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ، يَشْتَرُونَ الْخَوَاصِجَ بِأَنْفُسِهِمْ وَيَحْمِلُونَ هُمْ مَتَاعَهُمْ وَكَانَ هَذَا سِيَرَةَ الصَّخَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ. كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ الْقُرْبَةَ عَلَى ظَهْرِهِ لِأَهْلِهِ، وَكَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ التَّمْرَ وَالْمِلْحَ فِي ثَوْبِهِ وَيَقُولُ:

لَا يَنْقُصُ الْكَامِلُ مِنْ كَمَالِهِ مَا جَزَمَ مَنْ نَفَعَ إِلَى عِيَالِهِ

ومنهم أبي، وابن مسعود، وحذيفة، وأبو هريرة رضي الله عنهم، كانوا يَحْمِلُونَ حَزْمَ الْخَطْبِ وَجَرَبَ الدَّقِيقِ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَظُهُورِهِمْ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَشْتَرِي الشَّيْءَ فَيَحْمِلُهُ بِنَفْسِهِ. فَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ: آعْطِنِي أَحْمِلْهُ عَنْكَ، فَيَقُولُ: *صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ*.

[أيضاً ص ٤٤٨]

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِبُ الشَّاةَ وَيُسَاعِدُ أَهْلَهُ فِي [إِعْدَادِ الْخُبْزِ، وَيَكْنُسِ الْبَيْتَ مَعَ أَنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَشْيَةُ اللَّهِ وَحُبُّهُ. (يَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ خَطَأَ سَالِكِينَ يَعْتَزِلُونَ عَنِ الْأُمُورِ الْمَنْزِلِيَّةِ بِالِاسْتِغْنَاءِ بِالذِّكْرِ وَالْأَوْرَادِ وَيَحْسِبُونَهُ زُهْداً وَتَقْوَى). قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنَّ

أَصْنَعُ مِنْ طَعَامٍ وَأَجْمَعُ عَلَيْهِ إِخْوَانِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ رَقَبَةً.

[أيضاً ص ٤٤٤]

وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي يَقُولُ: لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا لِي فَجَعَلْتُهَا فِي قَمِ أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي لَأَسْتَقْبَلْتُهَا لَهُ، وَقَالَ: إِنِّي لَأَلْقُمُ الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي اللَّقْمَةَ فَاجِدُ طَعْمَهَا فِي حَلْقِي.

[أيضاً ص ٤٣٣]

٨ - يَنْتَبِغِي لِلسَّالِكِ أَلَّا يُؤْذِيَ أَخَاهُ أَبَدًا. كَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَيزِيُّ يَضَعُ مِيزَابَ سَقْفِهِ فِي سَاحْتِهِ حَتَّى لَا يَتَأَذَى أَحَدٌ. نَزَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْنِ أَحْمَدَ الْمَدَنِيِّ ضَيْفًا، فَقَدَّمَ الشَّيْخُ لَهُ الْفَوَاكِهَ، فَرِغَ الضَّيْفُ مِنَ الْأَكْلِ فَقَالَ: أَمَا أَرَمِي الْقِشْرَةَ فِي الْخَارِجِ، فَقَالَ: سَوْفَ تَرَمِي الْقِشْرَةَ فِي مَكَانٍ وَاجِدٍ، وَسَيَرَى أَطْفَالُ الْجَارِ وَيَرْغَبُونَ فِي أَكْلِ الْفَاكِهَةِ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُ فِي بُيُوتِهِمْ تَتَأَذَى قُلُوبُهُمْ، فَسَالَ الضَّيْفُ: فَكَيْفَ تَرَمِي أَنْتِ؟ فَقَالَ: أَجْعَلُ الْقِشْرَةَ قِطْعًا وَأَرَمِي قِطْعَةً فِي مَكَانٍ، وَقِطْعَةً فِي مَكَانٍ آخَرَ بَعْدَ مَسَافَةٍ فَلَا يَظْهَرُ بِرُؤْيَيْهَا أَنَّ أَحَدًا أَكَلَ الْفَوَاكِهَ.

يَجِبُ التَّحَرُّزُ عَنْ إِيْذَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَجِبُ ذِكْرُهُمْ بِكَلِمَاتٍ طَيِّبَةٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي وَصِيَّتِهِ لِمُجَاهِدٍ: وَلَا تَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَغَيَّبَ عَنْكَ إِلَّا بِمِثْلِ مَا تُحِبُّ أَنْ تَذْكُرَ بِهِ إِذَا غَيَّبْتَ، وَاعْفِهِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ تُعْفَى بِهِ. كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَا ذُكِرَ أَخِي عِنْدِي فِي غَيْبٍ إِلَّا تَمَثَّلْتُهِ جَالِسًا، فَقُلْتُ فِيهِ مَا يُجِبُّ أَنْ يُسْمَعَ فِي حُضُورِهِ.

[أيضاً ص ٤٢٠]

٩ - وَلَا يَنْتَبِغِي أَنْ يَحْدِثَ صُورَةَ نِزَاعٍ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَحْمَارِي فَعُصِبَ ثُمَّ قَالَ: ذُرُّوا

المِزَاءَ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ، ذَرُّوا المِرَاءَ فَإِنْ نَفَعَهُ قَلِيلٌ وَهُوَ يَهْبِجُ العَدَاوَةَ بَيْنَ الإِخْوَانِ.

[أيضاً ص ٤٢٩]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ بِالْيَمَنِ وَكَانَ لِي جَارٌ يَهُودِيٌّ وَيُخْبِرُنِي عَنِ التَّوْرَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا يَهُودِيٌّ مِنْ سَفَرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيًّا قَدَّعَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمْنَا، وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْنَا مُصَدِّقًا لِلتَّوْرَةِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: صَدَقْتُ، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، إِنَّا نَجِدُ نَعْتَهُ وَنَعْتُ أُمِّيهِ أَنَّهُ لَا يَجِلُّ لَأَمْرٍ. يَعْلَمُ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ غَتَبَةِ بَابِهِ وَفِي قَلْبِهِ سَخِيمَةٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

[أيضاً ص ٤٣٠]

قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ: مَا يَحْسُدُ الشَّيْطَانُ الْمُتَعَاوِينَ عَلَى بَرٍّ حَسَدُهُ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ وَيُحِثُّ قَبِيلَهُ عَلَى إِفْسَادِ مَا بَيْنَهُمَا. وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلْ لِمَا بَدَى يَقُولُوا أَلَيْسَ هُوَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الاسراء: ٥] يَعْنِي: يَقُولُونَ الْكَلِمَةَ الْحَسَنَةَ بَعْدَ نَزْعِ الشَّيْطَانِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِراً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ فَرَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

[أيضاً ص ٤١٦]

١٠ - وَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَنْصَحَ لِأَخِيهِ وَإِثَاءً أَنْ يَفْضَحَهُ، وَفَرَقَ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالْفَضِيحَةِ فَمَا كَانَ فِي السِّرِّ فَهُوَ نَصِيحَةٌ، وَمَا كَانَ عَلَى الْعَلَانِيَةِ فَهُوَ فَضِيحَةٌ، وَقَلَّمَا تَصَحَّ فِيهِ النِّيَّةُ لَوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ فِيهِ شَتَاةٌ، وَكَذَلِكَ الْفَرَقُ بَيْنَ الْعِتَابِ وَالتَّوْبِيخِ، فَالْعِتَابُ مَا كَانَ فِي خَلْوَةٍ، وَالتَّوْبِيخُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي جَمَاعَةٍ.

وَكَذَلِكَ يُذَارِي وَلَا يُدَاهِنُ، فَالْمُدَارَاةُ مَا أَرَذَتْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَطَرِيقَ الْآخِرَةِ مِنْ دَفْعِ عَنِ دِينٍ وَقُضِّدَتْ بِهِ سَلَامَةُ أَخِيكَ مِنَ الْإِثْمِ

وَصَلَحَ قَلْبِهِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْمُذَاهَنَةُ مَا اجْتَلَبْتَ بِهِ مِنْ دُنْيَا وَأَرَدْتَ بِهِ حَظَّ نَفْسِكَ، وَكَذَلِكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْغِيْظَةِ وَالْحَسَدِ، إِنَّ الْغِيْظَةَ أَنْ تُحِبَّ لِنَفْسِكَ مَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ، وَلَا تُحِبَّ رِوَالَهُ عَنْهُ، بَلْ تَبْقِيَّتُهُ لَهُ وَإِتْمَامُهُ عَلَيْهِ، وَالْحَسَدُ مَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ لَكَ، وَأَحْبَبْتَ رِوَالَهُ عَنْهُ وَكَرِهْتَ تَبْقِيَّتَهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَكْرُوهٌ فَإِنْ سَعَيْتَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ فَهُوَ الْبَغْيُ زِيَادَةُ عَلَى الْحَسَدِ، وَهُوَ مِنْ كِبَائِرِ الْمَعَاصِي.

أَخِيكَ بِدَلِيلٍ يَظْهَرُ لَكَ أَوْ شَاهِدٍ يَدُو مِنْهُ أَوْ عَلَامَةٍ تُشْهِدُهَا فِيهِ، فَتَنْقَرُسُ مِنْ ذَلِكَ فِيهِ وَلَا تَنْطِقُ بِهِ إِنْ كَانَ سُوءًا، وَلَا تُظْهِرُهُ وَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ وَلَا تَقْطَعُ بِهِ فِتْنًا، وَسُوءُ الظَّنِّ مَا ظَنَنْتَهُ مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ فِيهِ أَوْ لِأَجْلِ جَفْدٍ فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِ أَوْ لِسُوءِ نِيَّةٍ تَكُونُ أَوْ خَبَثٍ خَالٍ فِيكَ، تَعْرِفُهَا مِنْ نَفْسِكَ فَتُحْمِلَ خَالَ أَخِيكَ عَلَيْهَا وَتَقْيِسُهُ بِكَ، فَهَذَا هُوَ سُوءُ الظَّنِّ وَالْإِثْمُ، وَهُوَ غِيَّةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مُحْرَمٌ.

[أيضاً ص ٤٢٧، ٤٢٨]

قال عليه الصلاة والسلام: « لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَذَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ».

[أيضاً ص ٤٢٩]

وَمِنْ عَلَامَةِ الثَّقَى حُسْنُ الْمَقَالِ عِنْدَ الثَّقَرِيِّ، وَجَمِيلُ الْبَشْرِ عِنْدَ الثَّقَاطِيعِ، أَتَشَدُّنَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ:

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا تَقَضَّى وَدَّهَ يُخْفِي الْقَبِيحَ وَيُظْهِرُ الْإِحْسَانَ
وَتَرَى اللَّئِيمَ إِذَا تَصَرَّمَ حَبْلَهُ يُخْفِي الْجَمِيلَ وَيُظْهِرُ الْبُهْتَانَ

فَوَصَفَ الْكَرِيمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى التَّخَلُّقَ بِخُلُقِ الرُّبُوبِيَّةِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِهِ: يَا مَنْ أَظْهَرَ

الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ ، وَلَمْ يُوَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ وَلَمْ يَهْتِكِ السِّرَّ .

[أيضاً ص ٤١٧]

وإنشاء هذه الأوصاف في نفسه يُقَالُ لَهُ التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ . وَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ هَذَا الذِّعَاءِ . ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ لَنَا وَلَاخَوَاتِنَا الَّذِيكَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلِقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشَّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرْءِ الْأَوَّلَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ؛ قَالَ: نَعَمْ .

قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْدِثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلَاثِ اللَّيَالِي، فَلَمْ يَزِدْ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَغَارَّ ثَقُلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَبَّرَ، حَتَّى لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي، وَكَدَتْ أَنْ أُخْتَقِرَ عَمَلُهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا مَعْرُوفَةٌ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

«يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَوِيَ إِلَيْكَ فَأَنْظَرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِي بِكَ، فَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ غَيْرَ أَنِّي لَا

أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غُشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَغْفَلُهُ
اللَّهُ إِلَاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ.

(رواه أحمد؛ الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٤٩)

لِدَامَةِ الْمُوَاخَاةِ خُلُقَانِ أَمَنَسِيَّانِ: تَوَاضَعُ وَإِثَارُ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ». قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

مَنْ تَوَاضَعَ وَتَخَضَّعَ كَمَا لِلْأَرْضِ غَطَّاهُ رَحْمَةُ اللَّهِ كَالسَّمَاءِ

قَالَ شَيْخٌ لِمُرِيدِيهِ: كُلُّبٌ صَحِيبٌ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فَوَعِدَ بِالْجَنَّةِ
وَذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. اخْسَبُوا أَصْحَابَكُمْ كَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَاخْسَبُوا
أَنْفُسَكُمْ كَكَلْبِهِمْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِبَرَكَةِ أَصْحَابِكُمْ. كَانَ الْخَوَاجِةُ فَضْلٌ عَلَى
الْقُرَيْشِيِّ يَقُولُ لِمُرِيدِيهِ:

يَا مَعْشَرَ الْمُفْقَرَاءِ انْظُرُوا إِنْ الرَّأْسَ مُرْتَفِعٌ كُلَّمَا يُخْطِئُ الْإِنْسَانُ
يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِالنَّعَالِ وَالْقَدَمُ مُتَحَفِضٌ، وَكُلَّمَا أَتَمَّ الْإِنْسَانُ يَأْخُذُ النَّاسُ
الْأَقْدَامَ وَيَحَاوِلُونَ لِرِضَايَةِ فِرَائِكُمْ وَالتَّكْبِيرِ. وَيَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَتَوَاضَعَ
لِأَخِيهِ فِي الدِّينِ حَتَّى لَوْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَمَشَى لَا تَغَضَبُ.

كَانَ شَيْخٌ يَذْكُرُ فَضْلَ التَّوَاضُعِ هَكَذَا: الْإِنْسَانُ يَضَعُ جَبِينَهُ عَلَى
الْأَرْضِ فِي السَّجْدَةِ فَأَحَبُّ إِلَهُ هَذَا الْعَجْزِ حَتَّى قَالَ: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ
الْإِنْسَانُ فِي السَّجْدَةِ. عَلَامَةُ التَّوَاضُعِ أَنْ يَحْسَبَ الْآخَرِينَ خَيْرًا وَأَحْسَنَ
مِنَهُ فَالسَّالِكُ يَخْتَرِمُ الْكِبَارَ لَكثَرَةِ حَسَنَاتِهِمْ مِنْهُ وَيَشْفِقُ عَلَى الصَّغَارِ لِقَلَّةِ
سَيِّئَاتِهِمْ مِنْهُ.

حكاية: كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّالِكِينَ يَمْشُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ لِلْحُضُورِ
إِلَى زَاوِيَةِ شَيْخِهِمْ، فَرَأَاهُمْ شَخْصٌ فَقَالَ: لَأَذْهَبُ وَأَطْلُبُ الدُّعَاءَ مِنْ
أَكْبَرِهِمْ وَلَآيَةٍ، فَصَافَحَ الْأَوَّلَ وَقَالَ: أَنْتَ وَلِيٌّ فَادْعُ لِي فَقَالَ: أَنَا خَادِمٌ.
وَالأُولَآءِ مَنْ يَأْتُونَ خَلْفِي قَطْلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الثَّانِي، فَأَجَابَ هَكَذَا: إِنِّي

خَادِمُ وَالْأَوْلِيَاءِ مَنْ يَأْتُونَ بِنَدِي، وَهَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْأَمِيرُ فَطَلَبَ الدُّعَاءَ مِنْهُ وَقَالَ: أَنْتَ وَلِيٌّ فَادْعُ لِي فَقَالَ: أَنَا خَادِمُ وَالْأَوْلِيَاءِ هُمُ الَّذِينَ مَضَوْا قُدَّامِي.

اللَّهُ أَكْبَرُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَسَبِ أَصْحَابِهِ أَفْضَلَ وَأَعْلَى مِنْهُ. الْإِثَارُ أَنْ يُفْضَلَ أَخَاهُ مَعَ حَاجَتِهِ وَهُوَ وَصُفِّ امْتَارَ بِهِ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ١٩].

وَقِصَّةُ الصُّحَابِيِّ مَعْرُوفَةٌ أَنْ ضَيْفًا دَخَلَ بَيْتَهُ، فَوَضَعَ الْمَائِدَةَ وَأَطْفَأَ السَّرَاجَ وَلَمْ يَأْكُلْ حَتَّى يَشْبَعَ الضَّيْفُ.

اجْتَمَعَ فِي الرِّيِّ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْإِنْطَاكِي ثَلَاثُونَ سَالِكًا وَكَانَ الطَّعَامُ يَكْفِي لِمُخْتَصِمَةٍ. وَضَعَ الْخَادِمُ الطَّعَامَ عَلَى السُّفْرَةِ وَأَطْفَأَ السَّرَاجَ، فَرَأَى الْخَادِمُ بَعْضَ الطَّعَامِ بَاقِيًا، كُلُّ وَاحِدٍ أَكَلَ قَلِيلًا حَتَّى يَأْكُلَ أَخُوهُ، وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ مَثْلُوقَةٌ مِنَ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، قَدْ دَارَ رَأْسُ شَاةٍ فِي سَبْعَةِ بَيُوتٍ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ.

تَسَحَّرَ وَأَفْطَرَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِالْمَاءِ، وَقَدَّمَ طَعَامُهُمَا لِلْسَّائِلِ فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَنَحِيكًَا وَيُنِيبُوا وَآمِينَ﴾ [الإنسان: ١٨].

طَلَبَ غَارِ جَرِيحٍ مِنْ حُدَيْفَةَ الْمَاءِ فِي غَرْوَةِ الْبِرْمُوكِ فَتَوَجَّعَ هِشَامُ ابْنُ الْعَاصِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَأَغْلَقَ فَمَهُ وَأَشَارَ إِلَى الثَّانِي أَنْ اسْتَبِقْ أَوَّلًا وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الثَّانِي سَمِعَ صَوْتًا مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ، فَأَرْسَلَهُ الثَّانِي إِلَى الثَّالِثِ، فَلَمَّا وَصَلَ السَّاقِي إِلَى الثَّالِثِ وَجَدَهُ قَدْ تَوَفَّى، فَرَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ فَوَجَدَهُ شَهِيدًا أَيْضًا. أَسَسَ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ بَابًا جَدِيدًا لِلْإِثَارِ فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ حَيْثُ لَمْ يَشْرَبُوا الْمَاءَ عِنْدَ الشَّرْعِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْآخَرِ وَمَاتُوا عَطَاشًا.

تَجِدُ فِي الْمَشْرِقِ بَرَّةً قَدِيمَةً: الْخَيْرُ لِمَا الْحَسَنُ التَّوَرِي. وَفِي الْمَغْرِبِ
وَرَقَامًا، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْقَتْلِ تَقَدَّمَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ التَّوَرِي إِلَى الْجَلَادِ
لِيُقْتَلَ، فَسُئِلَ لِمَ تَقَدَّمْتَ؟ فَقَالَ: حَتَّى يَجِدَ أَخِي ثَوَانِي مِنَ الْحَيَاةِ. سُبْحَانَ
اللَّهِ! إِنَّ هَؤُلَاءِ سَقَوْا نَبَاتَ الْمَوَاحَاةِ بِالْإِيثَارِ حَتَّى أَصْبَحَتْ شَجَرَةٌ أَضْلَاهَا
ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ. عَلَّمَ الْإِسْلَامُ الْإِيثَارَ لِلصَّاحِبِ بِالْعَجَبِ فَضْلًا
عَنِ الْإِخْوَةِ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْأَعْزَةِ وَالْأَقَارِبِ.

إِنَّ الْإِخْوَةَ فِي اللَّهِ وَالْمَحَبَّةَ فِي اللَّهِ وَحُسْنَ الْمُصَاحَبَةِ مِنْ ذَاتِ
السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَفُقْدَتِ الْيَوْمِ وَذُعِبَتْ آثَارُهَا. مَنْ يَعْمَلُ بِهَا يُحْيِيهَا
وَمَنْ يُحْيِيهَا يَنَالُ أَجْرَ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا بَعْدَهُ. السَّالِكُ الَّذِي وَجَدَ أَحَدًا مُخْلِصًا
عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ملحوظة: مُعْظَمُ الْقِصَصِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْإِخْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَأْخُودٌ
مِنْ كِتَابِ قُوَّةِ الْقُلُوبِ لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّي.

الباب الثالث عشر

أسئلة وأجوبة

س ١: كيف يتأهل الشيخ من المریدین المَحَبَّة بِغَدِ الثَّقَلِ والعِثَابِ؟

ج: الطَّبِيبُ يَشْرُطُ الْعِجْلَةَ بِالْمِشْرَطِ، وَلَكِنْ بَعْدَ حُصُولِ الشِّفَاءِ يَدْعُو لَهُ النَّاسُ.

س ٢: يُعْتَبَرُ الْيَوْمَ ابْنُ غَيْرِ مُؤَهَّلٍ لِلشَّيْخِ الْكَامِلِ شَيْخاً كَامِلاً، هَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟

ج: كَمَا لَا يَرْضَى شَخْصٌ بِجَعْلِ ابْنِ الذَّكُورِ ذَكُوراً مَا لَمْ يَتَعَلَّمِ الطَّبَّ بِنِظَامٍ، كَذَلِكَ لَا يَكُونُ ابْنُ الشَّيْخِ شَيْخاً مَا لَمْ يَجِدِ النَّسَبَةَ بِنِظَامٍ. نَعَمْ لَوْ وَجَدَ النَّسَبَةَ، فَوَلَدَ الشَّيْخَ يَكُونُ نُوراً عَلَى نُورٍ، يُسْتَحْسَنُ تَجْدِيدُ النِّيْعَةِ عَلَى يَدَيْهِ.

س ٣: بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ: إِنْ كَانَ الشَّيْخُ غَيْرَ كَامِلٍ فَلَا خَرَجَ عِنْدَمَا كَانَ الْبَقِيَّةُ مُحْكَمًا. هَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟

ج: كَمَا أَنَّ مَسْجُودَنَا لَا يُخْلَصُ مَسْجُودًا آخَرَ، وَشَخْصاً نَائِماً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوقِظَ نَائِماً آخَرَ، أَوْ شَخْصٌ أَعْمَى لَا يَهْدِي أَعْمَى آخَرَ، كَذَلِكَ شَخْصٌ غَافِلٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ الْغَافِلَ ذَاكِراً، فَكَيْفَ يَصِيرُ الْمُرِيدُ كَامِلاً عِنْدَمَا لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ كَامِلاً.

س ٤: إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ مَوْجُودَيْنِ عِنْدَنَا فَلَا يَشَيْءَ نَحْتَاجُ إِلَى الشَّيْخِ؟ أَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ؟

ج : الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ شَاهَدُوا نُزُولَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَشَاهَدُوا صَاحِبَ الْقُرْآنِ ﷺ، وَسَمِعُوا كَلَامَهُ ﷺ بِأَذَانِهِمْ، وَلَكِنْ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُزَكُّوا أَنْفُسَهُمْ، بَلْ زَكَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَعْلَمُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ أَنَّهُ لَا يَدُّ مِنْ مُزَكٍّ، فَكَيْفَ تُضْلِحُ الْيَوْمَ نَفْسَنَا فِي هَذَا الْغَضْرِ الذَّاهِبِ؟ كَمَا أَنَّ الشَّجَرَ لَا يَشْعُرُ بِثَقْلِ ثَمَرِهِ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا يَرَى غُيُوبَهُ دَمِيمَةً. فَلَا بَدَّ لِلْإِضْلَاحِ أَنْ يَرْجِعَ الْإِنْسَانُ إِلَى شَيْخٍ يُعَالِجُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنِيَّةِ - مِثَالُ التَّرَكُّبَةِ بِدُونِ شَيْخٍ كَمِثَالِ شَخْصٍ يَقُولُ: أَنَا مَرِيضٌ وَكُتِبَ الطَّبُّ مُوجُودَةً أَقْرَأَهَا وَأَذَاوِي نَفْسِي، هَلْ يُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ عَاقِلٌ؟

س ٥ : بَعْضُ السَّالِكِينَ يُضَيِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ دَائِرَةَ الْمُبَاحَاتِ وَيَحْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟

ج : لَيْسَتْ الْحِكْمَةُ فِي تَكْثِيرِ الْمُبَاحَاتِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ كُلُّ شَخْصٍ كُلَّ مُبَاحٍ، بَلْ لِأَنَّهُ لَا يَذَرِي مَنْ يَخْتَاجُ إِلَى أَيِّ مُبَاحٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ؟ فَبَعْضُ الْأَشْيَاءِ مُبَاحٌ لِلضَّرُورَةِ، وَلِذَا يَجْتَنِبُ بَعْضُ الْمَشَايِخِ مِنَ التَّهْبُوتِ وَشُرْبِ الشَّايِ فَضْلاً عَنِ التَّدْخِينِ.

س ٦ : قَدْ يُعْرَضُ لِلسَّالِكِينَ كَثِيفَاتٌ عَجِيبَةٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْهَا شَيْءٌ، مَا سَبَبُ ذَلِكَ؟

ج : مِثْلُ السَّالِكِ مِثْلُ شَجَرَةٍ تَخْرُجُ بِرَاغِيَّتِهَا وَتُظْهِرُ أَوْرَاقَ جَدِيدَةٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي خُرُوجُ الْأَوْرَاقِ الْجَدِيدَةِ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ قَدْ انْتَهَى ثَمَرُهَا، بَلِ الشَّجَرَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَفُوتُ سَائِقَهَا وَفِرْوَعَهَا، هَكَذَا أَحْوَالُ السَّالِكِ.

س ٧ : كَيْفَ يَعْرِفُ السَّالِكُ، مَاذَا مُشْرَبُهُ؟

ج : يَظْهَرُ عَلَى السَّالِكِ ظُهُوراً بَيَناً عَكْسَ صِفَاتِ نَبِيِّ هُوَ تَحْتَ قَدَمِ

ذلك النبي عليه السلام، فمن كان مُوسَوِيَّ المَشْرَب يكون كثير الشَّغَف بكلام الله تعالى، وأما إبراهيمي المَشْرَب فمميزته التَّوَكُّل على الله وإخرام الضيف، ويغلب الزهد في حياة عيسوي المَشْرَب ويكون لديه قوة سلبية شديدة ويكون لمحمدي المَشْرَب حب شديد لاتباع السنة والأخلاق المحمديّة.

س ٨: لو بَقِيَ فَيُضْضُ الأولياء بعد الموت، فما الحاجة إلى مُبَايَعَةِ شَيْخٍ آخَرَ؟

ج : يَبْقَى الفَضْلُ بعد الموت، وَلَكِنْ لا بِمَقْدَارٍ يجعلُ الناقص كاملاً.

س ٩: لو غَضِبَ الشَّيْخُ على مُريدٍ وَبَقِيَ حُسْنُ اعتقاد المُريد في حق شَيْخِهِ هل تَبْقَى البيعة أم لا؟

ج : لو غَضِبَ الشَّيْخُ ولا يَزَالُ اعتقاد المُريد حَسَنًا بَقِيَ بَيْعَتُهُ، فَقَدْ غَضِبَ رسولُ الله ﷺ على كعب بن مالك وَلَكِنْ بَقِيَ اعتقاده سَالِمًا فأفلح.

س ١٠: لو فَسَدَ اعتقاد المُريد في حق شَيْخِهِ والشَّيْخُ لا يُقْبِلُ البيعة أَتَبْقَى بَيْعَتُهُ أم لا؟

ج : تَنْتَهِي البيعة، فَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَاءَهُ مِنَ الْعَدُوِّ مَخْمُومًا - وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعْكَ بِالْمَدِينَةِ - فَقَالَ: أَقْلِنِي يَبْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقْلِنِي يَبْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تُنْفِي حَبِثَهَا، وَتُلْصِقُ طَيِّبَهَا».

[أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والترمذي والنسائي، ولم يذكر النسائي وعكة؛ جامع الأصول ج ٩ ص ٣١٩]

س ١١: كَيْفَ يَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ عَلاَقَةً الْمُرِيدِ بِالشَّيْخِ؟

ج: يَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ كَمَا كَانَتْ لَسَيِّدِنَا الصَّدِيقِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قَالَ مَرَّةً: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ...» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (صَدَّقْتُ بِأَرْسُولِ اللَّهِ، وَحُبَّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثٌ: الشُّطْرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْفَاقُ مَالِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَأَنْ تَكُونَ ابْنَتِي تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

[المنهايات لابن حجر ص ٢٧، ٢٨]

فَقَدِّرُوا. كَانَتْ ذَاتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هِيَ الْمَرْكَزُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ. فَيَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ لِلسَّالِكِ مَعَ شَيْخِهِ عَلاَقَةً الْحُبِّ مِثْلَهَا.

س ١٢: هَلْ تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ فِي السُّلُوكِ بِالدُّكْرِ أَوْ بِشَيْءٍ آخَرَ أَيْضاً؟

ج: تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ فِي الْبِدَايَةِ بِالدُّكْرِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَنٌ لَا يَبْقَى فِيهِ الدُّكْرُ مَفِيداً، وَلَوْ كَانَ ذِكْرٌ نَفْثِي وَإِتْبَاتِي، بَلْ يَفِيدُ الْفِكْرَ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ تَنْفَعُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَكَثْرَةُ التَّوَافِلِ وَالتَّبْلِيغُ وَالتَّدْرِيسُ وَالتَّصْنِيفُ، ثُمَّ تَأْتِي مَرْحَلَةُ الْقُرْبِ بِالْفَرَائِضِ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَعِينَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْ مِنَ الْعِبَادِ، كَانَ يَأْمُرُ الشَّيْخُ بِالْعِزَّةِ فِي الزَّوَابِ، فَهَذِهِ الْعِزَّةُ أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنَ الدُّكْرِ وَالْفِكْرِ وَيُسَمَّى بِالْقُرْبِ بِالْفَرَائِضِ.

س ١٣: مَا الْمُرَادُ بِخَوَاصِّ الدَّرُوسِ؟

ج: يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ دَرْسٍ إِزَالَةُ رَذِيلَةٍ، يُلَاحِظُ الشَّيْخُ هَلْ زَالَتْ الرَّذَائِلُ أَمْ لَا؟ عِنْدَمَا زَالَتْ رَذَائِلُ لَطِيفَةٌ يَعْطِي الشَّيْخُ دَرْساً جَدِيداً.

س ١٤: مَا الْمُرَادُ بِالْقُرْبِ بِالتَّوَافِلِ؟

ج: يَتَقَدَّمُ السَّالِكُ بَعْدَ حُصُولِ الْفَنَاءِ الْكَامِلِ بِالْقُرْبِ بِالتَّوَافِلِ، فَيَعْبُدُ اللَّهَ بِأَيِّ عِبَادَةٍ يَرِيدُ، ثُمَّ يُسْغِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِ دِينِي يَشَاءُ،

وهذا يُسَمَّى بِالْقُرْبِ بِالْفَرَائِضِ، فَالْبَعْضُ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ أَمْرَ التَّبْلِغِ،
وإِلَى الْبَعْضِ أَمْرَ التَّدْرِيسِ أَوْ التَّصْنِيفِ وَالتَّأْلِيفِ، وَيُعَاتِبُ صَاحِبَ
الْقُرْبِ بِالْفَرَائِضِ لَوْ اشْتَغَلَ بِالتَّوَافُلِ، كَمَا عَرَفَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِعَبِّ رَجُلَيْنِ إِلَيْهِ فِي الْخَلْوَةِ.

س ١٥: هَلْ يُمَكِّنُ ذِكْرُ النَّفْسِ وَالْإِثْبَاتِ بِحَبْسِ النَّفْسِ مَرَّةً وَاحِدَةً أَكْثَرَ مِنْ
وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ أَمْ لَا؟

ج: عَلَى السَّالِكِ أَنْ يَبْلُغَ عَدَدَ هَذَا الذِّكْرِ بَعْدَ مُرَاعَاةِ شَرَائِطِهِ إِلَى وَاحِدٍ
وَعِشْرِينَ، ثُمَّ لَوْ زَادَ عَلَى هَذَا لاسْتَفَادَ. فَبِالْمَكْتُوباتِ الْمَعْصُومِيَّةِ
أَنْ شَخْصاً كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَذْكُرُ بِالنَّفْسِ وَالْإِثْبَاتِ فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِائَةَ
مَرَّةً فَشَجَّعَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مَعْصُومٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

س ١٦: هَلْ يَخْصُلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْقَوَائِدُ وَالثَّمَرَاتُ الَّتِي تَخْصُلُ بِادِّكَارِ
الصُّوفِيَّةِ؟

ج: مُعْظَمُ فَائِدَةِ السَّالِكِ فِي الْبِدَايَةِ يَخْصُلُ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَجِدَ قَنَاءَ الْقَلْبِ
وَقَنَاءَ النَّفْسِ، ثُمَّ يَكُونُ ارْتِفَاعُ بِالتَّلَاوَةِ وَالتَّوَافُلِ وَبِاشْغَالِ دِينِيَّةٍ
أُخْرَى.

س ١٧: الَّذِينَ يَكْثُرُ دُرُوسُهُمْ وَلَمْ يَتَوَقَّرْ لَهُمُ الْوَقْتُ مَاذَا يَفْعَلُونَ؟

ج: لَوْ يُجَاوِزُ هَؤُلَاءِ لَطَائِفُهُمْ مُتَوَجِّهِينَ قَاصِدِينَ لَا يَخْلُو عَنْ الْفَائِدَةِ.

س ١٨: مَا مَعْنَى سَلْبِ النَّسَبِ؟

ج: النَّسَبُ اسْمٌ عَلاقَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْلِبَهُ،
نَعَمْ يُمَكِّنُ سَلْبَ الْكَيْفِيَّاتِ وَالْوَارِدَاتِ.

س ١٩: بَعْضُ النَّاسِ يَتَهَلَّلُونَ بِالسَّيْتِهِمْ كُلَّ وَقْتٍ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، هَلْ هَذَا جَائِزٌ؟

ج: جَائِزٌ مِائَةً فِي الْمِائَةِ، بَلْ هُوَ مُسْتَحْسَنٌ. سَأَلَ الشَّيْخُ عَزِيزَانِ عَلِيَّ

الرايتين رحمهما الله تعالى عن هذا السؤال، فأجاب: إِنَّ الشَّرْعَ أَمَرَ
بِتَلْقِينِ الْمُخْتَضِرِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَحْسِبُ نَفْسِي مُخْتَضِرًا كُلَّ
وَقْتٍ فَأَلْقَى نَفْسِي بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

س ٢٠: الَّذِينَ يَضَعُونَ الْمُضْحَفَ الشَّرِيفَ فِي جُيُوبِهِمْ وَيَضْطَرُونَ
لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَوْضِعِ، فَمَا حُكْمُهُمْ؟

ج: يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ حُكْمُ الْجَيْبِ حُكْمُ الْغِلَافِ وَالْأَحْسَنُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ
يَطْوِيَ الْمُضْحَفَ فِي غِلَافِ الْبَلَاسْتِيكِ ثُمَّ يُوضَعَ فِي الْجَيْبِ.

س ٢١: الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ مُتَنَظِّرًا لِلصَّلَاةِ، لِمَاذَا؟

ج: إِذَا أَصْبَحَتِ الصَّلَاةُ غِذَاءً لِلرُّوحِ فَيَحِنُّ الْقَلْبُ لِلصَّلَاةِ كَمَا تَحِنُّ
الْمَعِدَةُ لِلطَّعَامِ.

س ٢٢: الْمَجْدُوبُونَ مَنْ هُمْ؟

ج: بَعْضُ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى يَعِينُونَ لِلْأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ مُخْتَصَّصُونَ
لِلْأُمُورِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ. وَهَؤُلَاءِ كَالْمَجَانِينِ ظَاهِرًا وَلَا يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ لِرِجَالِ التَّشْرِيعِ مَعْرِفَةُ رِجَالِ التَّكْوِينِ، فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالْخِضَرِ، وَقَدْ تَجَنَّبَ وَظِيفْنَا التَّكْوِينِ وَالتَّشْرِيعِ فِي
شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَمِنْ رِجَالِ التَّكْوِينِ قُطْبُ الْمَدَارِ، وَمِنْ رِجَالِ
التَّشْرِيعِ قُطْبُ الْإِرْشَادِ. وَيَكُونُ قُطْبُ الْمَدَارِ تَحْتَ قُطْبِ الْإِرْشَادِ
غَالِبًا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَابَلَ الْخِضَرَ وَقَالَ: (أَتَيْتُكَ
لَتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا). قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى
إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمِ عِلْمِكَ
اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ).

وهؤلاء الرجال رجال الأمور التكوينية يُقال لهم المعجزيون.

س ٢٣: ما المراد بالواردات الكونية والواردات العلمية؟

ج: قد تلقى في قلب السالك نكات علمية، وقد تلقى نكات تتعلق بالأمور المادية، مثل أنه سيكون كذا وسوف لا يكون كذا، ويُقال لها الواردات الكونية، ويُقال للمعارف العلمية الواردات العلمية، وكلاهما محمود ولكن المعارف العلمية أفضل من الكونية، فالعلمية لا تنأى لكل واحد. ع: يُلقون الرحيق في كأس الطلب.

س ٢٤: ما هو المشرب؟

ج: كل سالك لا بد أن يكون تحت قدم نبي، ولكن ليس كل سالك يعرف أنه تحت قدم أي نبي؟

حكاية: أرسل شيخ مريد إلى حضرة شيخ آخر ليُعرف مشربه، فلما وصل إليه المريد، قال ذلك الشيخ: كيف حال يهوديكم؟ فعصبت المريد. فلما رجع وسأله شيخه عما جرى، أجاب المريد متلعثماً. فقال الشيخ: الحمد لله، أنا موسوي المشرب.

س ٢٥: من يُقال له القيوم؟

ج: العالم مظهر تجليات صفات الله تعالى، فينبغي أن يكون هناك مظهر لتجليات الذات سبحانه وتعالى، ويُقال له القيوم، فقيام العالم ليس بالوسائل المادية بل بذكر الله، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله» وفي رواية: «حتى لا يُقال في الأرض: الله الله».

[خرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية: جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٩٤]

المشايخ يُكثرون ذكر الله تعالى ويُلقون هذا العمل فيجعل شخص منهم قيوماً.

س ٢٦ : ما المراد بيد الغيب؟

ج : يجد بعض المشايخ رزقهم تحت السجادة أو من طريق آخر خفي يُقال له يد الغيب، ومن يد الغيب أن يقدم أحد هدية وهو لا يزجو.

س ٢٧ : ما هو أضل ختمات المشايخ؟

ج : قراءة آية أو عمل عبادة لها مناسبة كاملة بحياة الشيخ وسيرته لإيضال ثوابها إلى ذلك الشيخ يُقال لها الختم، وبعض المشايخ هم يعينون ختمهم ويعين للبعض بغد وقائه مُريدوه.

س ٢٨ : ما الفرق بين الرؤيا والواقعة والمُشاهدة؟

ج : كل ما يرى في النوم يُقال له الرؤيا وإن شاهد بعد ما نام جالساً للمُراقبة يُسمى واقعة، وإن رأى شيئاً في المُراقبة مُستيقظاً يُسمى مُشاهدة.

س ٢٩ : ما المراد من القبض والبسط؟

ج : يشعر السالك بعض الأحيان بأشراح عجيب وكيفيات غريبة، ويُسمى هذا بالبسط، وقد تختفي هذه الكيفيات كأن لم يكن شيء، ويُقال له القبض. وكلاهما نعمة من الله تعالى، ولكن نحن نسأل الله البسط فقط لإضعفنا. كما أن الزارع يسقي الشجر ثم يتركه مدة لجذب الماء ويجف، يضر السقي كل يوم والشجر يصبغ خضراً تاضراً بالسقي مرة بعد مرة. هذه حقيقة القبض والبسط لا بد منهما لتربية السالك.

س ٣٠ : ما معنى الفناء في الرسول؟

ج : الكيفية التي يحصل فيها اتباع السنة طبعاً تُسمى الفناء في الرسول.

س ٣١ : ما هو «ياد داشت»؟

ج : الولد الصغير يَحْفَظُ حُرُوفَ الْهَجَاءِ ويردّها سريعاً، والكبير لا يردها سريعاً مثله، ولكن يَكْتُبُ عند الضرورة العبارة الصحيحة، أو يَقُولُ: نريد الذهاب إلى المسجد وننظر في الطريق إلى هنا وهناك ونسلم على الأصدقاء، ولكن لا ننسى الذهاب إلى المسجد يُقال له: **ياد داشت**، ومعناه التذكّر. كذلك السالك يشتغل بأعمال الدنيا، ولكن لا يذهل عن ذكر الله تعالى.

س ٣٢: ما هو الفرق الأساسي بين السلسلة النقشبندية والسلسلة الجشنية؟

ج : في كل سلسلة أولياء كاملون والفرق في طريق الوصول فقط. استشار شخص الشيخ الحاج أمداد الله المهاجر المكي، هل يتابع في السلسلة النقشبندية أو في السلسلة الجشنية؟ فقال، مثاله: أرض فيها شجيرات فلزعهما طريقان: الأول أن تنقي سنة أو نصف سنة ثم تزرع، والثاني أن ما ينظف منها يزرع، وهكذا تنم التنقية والزرع معاً. فقال الرجل: الطريق الثاني أحب إليّ. الموت لا يدرى وقته، فقال الشيخ: فعليك بالبيعة في السلسلة النقشبندية.

س ٣٣: ما هو السبب لكثرة انتشار السلاسل الصوفية في البلاد الحنفية كباكستان والهند وبنغلاديش وولايات وسط آسيا وتركيا وسوريا والأردن؟

ج : خلاصة الدين في فقه الأئمة الأربعة، وتتلخص هذه الأربعة في فقهين: الحنفي والشافعي، وقال المجتهد رحمه الله: إنه يغلب في الفقه الحنفي كمالات النبوة، ويغلب في الفقه الشافعي كمالات الولاية. فاتباع السنة النبوية في البلاد الحنفية كثير.

س ٣٤: يكثر في الصلاة الوسوس والخطرات؟

ج : كُلُّ وَسْوَسةٍ خَطْرةٌ، وليس كُلُّ خَطْرةٍ وَسْوَسةً، بَلِ الْوَسْوَسةُ خَطْرةٌ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ غَايَتِهِ، تَأْتِي فِي صَلَاتِنَا خَطَرَاتٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَالْدُنْيَا أَمْفَلٌ وَيَأْتِي لِلْأَكْبَابِ خَطَرَاتٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُجَهِّزُ جُيُوشَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْخَطَرَاتِ مَحْمُودَةٌ لَا تَمْنَعُ حُضُورَ الْقَلْبِ.

س ٣٥ : يَكُونُ لِبَغْضِ الْمَشَايِخِ اسْتِغْرَاقٌ فِي الصَّلَاةِ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِمَا حَوْلَهُمْ مَاذَا يَكُونُ؟ لِمَاذَا تَكُونُ صَلَاتُنَا بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ؟

ج : حُضُورٌ مِثْلُ هَذَا الْاسْتِغْرَاقِ فِي الصَّلَاةِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَالْمُرَادُ بِحُضُورِ الْقَلْبِ التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ. اخْتَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ لِأَجْلِ بُكَاءِ صَبِيٍّ.

س ٣٦ : قِيلَ : يُعَاتَبُ الْمُنتَهِي بِالْوَسْوَسةِ؟

ج : يُعَاتَبُ عَلَى وَسْوَسةٍ تَغْفُلُ الْمُنتَهِي، وَأَمَّا الْوَسْوَسةُ الَّتِي تَأْتِي وَتَذْهَبُ فَلَا مُوَآخَذَةَ عَلَيْهَا.

س ٣٧ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الظَّنِّ وَالْإِلْهَامِ؟

ج : الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا ثَبَّتَ عَلَى رَأْيٍ بَنِيَّةٍ وَإِرَادَةٍ يُسَمَّى ظَنًّا وَعِنْدَمَا وَرَدَ فِي قَلْبِهِ خَطْرةٌ بِنَفْسِهَا يُسَمَّى إِلْهَامًا.

س ٣٨ : مَا مَعْنَى عَالَمِ الْأَمْرِ وَعَالَمِ الْخَلْقِ؟

ج : أَوْجَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَالَمَ إِيجَادِيْنَ : بَعْضُ الْعَالَمِ أَوْجَدَهُ بِكَلِمَةٍ كُنْ، وَهُوَ عَالَمُ الْأَمْرِ، وَمَا أَوْجَدَهُ تَدْرِيجًا هُوَ عَالَمُ الْخَلْقِ.

س ٣٩ : هَلْ يَجُوزُ السَّمَاعُ (سَمَاعُ الْغِنَاءِ)؟

ج : لَا يَجُوزُ مَعَ الْمَزَامِيرِ وَالْمُوسِيقَى. جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْغِنَاءِ حَتَّى الْحَمْدُ وَغَدْحُ الرَّسُولِ ﷺ. وَيَجُوزُ الْغِنَاءُ بِدُونِ الْمَزَامِيرِ بَعْدَ تَحَقُّقِ عِدَّةٍ شُرُوطٍ مِنْهَا:

- ١ - أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَمَلًا عَلَى مَوْضُوعَاتٍ فَاسِقَةٍ.
- ٢ - أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْمَجْلِسِ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ غَيْرِ الْمَحَارِمِ.
- ٣ - أَنْ يَكُونَ لِلْسَامِعِينَ رَغْبَةٌ إِلَيْهِ كَرَغْبَةِ الْجَانِعِ إِلَى الطَّعَامِ.

س ٤٠: ما هي علامة السنة والبدعة؟

ج: السنة عَمَلٌ عَالَمِيٌّ وَالْبِدْعَةُ عَمَلٌ مَحَلِّيٌّ أَيِ السُّنَّةُ عَمَلٌ يُوجَدُ سَوِيًّا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ بَلَدٍ بِكَيْفِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ صَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَإِنَّهُ سُنَّةٌ يُوْجَدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ بَلَدٍ، بَيْنَمَا اخْتِلَافُ عَاشِيرٍ مُحَرَّمٌ بِدْعَةٌ. وَلِذَا فَإِنَّ لَانِعْقَادَهُ فِي إِيْرَانٍ طَرِيقَةً، وَفِي الْبَاكِسْتَانِ طَرِيقَةً أُخْرَى، وَفِي الْعِرَاقِ طَرِيقَةً أُخْرَى، وَفِي الْهِنْدِ أُخْرَى.

س ٤١: لَا يَسْتَحْسِنُ التَّصَوُّفُ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأُمَّةِ لِمَاذَا؟

ج: بَعْضُ النَّاسِ يَتَشَكَّرُونَ مِنْهُ وَيَكْرَهُونَهُ بِسَمَاعِ قِصَصِ الشَّيُوخِ الْمُشْغُودِينَ. وَلَا يَفْكُرُونَ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَطَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الزَّديءِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالْحَبِيدِ، وَالشَّنْقِيحِ وَظُلُفَتِنَا. يَدْخُلُ فِي صُفُوفِ الْعُلَمَاءِ بَعْضُ أَشْرَارِ النُّفُوسِ عِبَادِ الدُّنْيَا وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنْ لَا يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ الدِّينِيَّ. حَالَةٌ هَؤُلَاءِ النَّاقِدِينَ مِثْلَ حَالَةِ هُنْدٍ الَّتِي يُقَالُ لَهَا آكِلَةُ الْأَكْبَادِ. كَانَتْ شَدِيدَةً الْعَدَاوَةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَحِبُّ أَحَدًا الْآنَ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُ.

وهكذا يَكُونُ حَالُ النَّاقِدِينَ عَلَى التَّصَوُّفِ إِنْ انْكَشَفَ لَهُمْ حَالُهُ.

س ٤٢: كَيْفَ يَخْصُلُ التَّقَدُّمُ فِي التَّصَوُّفِ؟

ج: بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ: ١ - بِكثرة الذِّكْرِ، ٢ - بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، ٣ - بِالْتَّقْوَى، ٤ - بِرَابِطَةِ الشَّيْخِ.

س ٤٣: خَرَجَ مِنْ لِسَانِ بَعْضِ الْمَشَايِخِ مِثْلَ كَلِمَاتِ (أَنَا الْحَقُّ)

(وَسَبَّحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي) لِمَاذَا؟

ج : صَدَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي حَالَةِ الشُّكْرِ، وَيَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهِ مَغْدُورًا مَرْفُوعًا عَنْهُ الْقَلَمُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الشَّجَرِ بِحَضْرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَوْتٌ : (إِنِّي أَنَا اللَّهُ) فَمَا الْعَجَبُ لَوْ صَدَرَ مِنْ لِسَانِ إِنْسَانٍ (أَنَا الْحَقُّ) نَعَمْ لَوْ خَرَجَ مِثْلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ ذِي صَخْرٍ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ وَضُرِبَ النَّعَالِ.

س ٤٤ : مَا هُوَ سَبَبُ مُعْظَمِ الذَّنُوبِ؟

ج : سَبَبُ مُعْظَمِ الذَّنُوبِ حُبُّ الْجَاهِ وَزِيَادَةُ الشَّهْوَةِ.

س ٤٥ : قَالَ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مَجْدَدُ الْأَلْفِ الثَّانِي: سَتَتَّحِدُ حَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ وَالْحَقِيقَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. مَا مَعْنَاهُ؟

ج : الْكَعْبَةُ الْمُشْرِفَةُ مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَلِهَذَا أَصْبَحَتْ مُسْجُودًا إِلَيْهَا، وَسَيَكُونُ آخِرًا قَلْبُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مَرْكَزًا لِلتَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى الدَّوَامِ. سَجَدَ لِيُوسَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَغُفُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَجَدَ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَالْكَعْبَةُ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ كِلَاهُمَا مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْكَعْبَةَ مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ عَلَى الدَّوَامِ، وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ قَدْ يَكُونُ لَهَا مَرْكَزًا وَقَدْ لَا يَكُونُ.

س ٤٦ : رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَشَايخِ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَضَعُ الْقَدَمَ فِي الرِّكَابِ فَيَقْرَأُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَكَانَ يَضَعُ الْقَدَمَ فِي الرِّكَابِ الثَّانِي فَيَقْرَأُ: «وَالنَّاسُ» كَيْفَ يُمَكِّنُ ذَلِكَ؟ وَرُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايخِ خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ وَوُلِدَ لَهُ أَوْلَادٌ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَمُضِ إِلَّا سَاعَاتٌ، هَلْ هَذَا مُمَكِّنٌ؟

ج : الزَّمَنُ لَهُ طَوَّلٌ وَلَهُ عَرْضٌ وَإِنْ كَانَ الْمَعْرُوفُ أَنَّ لِلزَّمَانِ طَوْلًا فَقَطْ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلخَوَاصِّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ فِي عَرْضِ الزَّمَانِ كَقِصَّةِ الْمِعْرَاجِ.

س ٤٧: ما هو مبدأ التعيين؟

ج: يكون لكل سالك مبدأ تعيين من أسماء الله تعالى وصفاته ويكون للسالك وصول إلى مبدأ تعيينه. ولو قارَ شخص السير فوقه فهو نظري وليس بقدمي. (لا يكون له مقام) كما يكون لشخص بيت في لاهور هذا مقام أصلي. فأينما دار أو سار فالمقام الأصلي في لاهور.

س ٤٨: ما هو التعيين الأول؟

ج: قال بعض المشايخ: علم الله تعالى بخلق العالم هو التعيين الأول، وقال البعض: إرادة الخلق هو التعيين الأول. وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني: لما كان حب أن أعرف هو التعيين الأول، فهذا الحب هو مبدأ التعيين للنبي ﷺ وفوقه مقام اللاحقين.

س ٤٩: الصوفية يكتفون بتدوير الشبكات جلوساً على السجادة ولا يسهمون في الجهاد لماذا؟

ج: جاءت كلمة الجهاد في القرآن الكريم لعدة معانٍ:

- ١ - الجهاد بالمالي، أي بذل المال في سبيل الله تعالى، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١].
- ٢ - الجهاد بالنفس أي تطبيق أحكام الشريعة على الأنفس قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١] قال عليه الصلاة والسلام في هذه المناسبة: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».
- ٣ - الجهاد بالقرآن، أي عرض الإسلام على الكفار لإغلاء كلمة الله تعالى ودليله قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].
- ٤ - الجهاد بالسيف. أي قتال الكفار حيث قال تعالى: ﴿يَأْتِيَا أَتَيْنِي جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

الصوفية يَشْتَغِلُونَ غَالِباً فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى لِلجِهَادِ وَلَا تُحَقِّقِي
أَمَثَلَتُهُمْ عَلَى أَحَدٍ.

وَأَمَّا الْجِهَادُ بِالسَّيْفِ ؛ فَعِنْدَمَا يَكُونُ فَرْضٌ عَيْنٌ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى ، فَالْصُّوفِيَّةُ يُخْرِجُونَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَاضِعِينَ أَكْفَانَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ،
وَيَكُونُونَ بَنِيَاناً مَرْصُوعاً ضِدَّ الْكُفَّارِ . وَفِيمَا يَلِي بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ :

١ - فِي الْقُرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ لَمَّا قُضِيَ الثَّارُ عَلَى الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
وَالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْوَحِيدَةِ لِجَلَالِ الدِّينِ خَوَارِزْمِ الشَّاهِ ، وَضُرِبَ
الْمَثَلُ الْمَعْرُوفُ ؛ إِذَا قِيلَ لَكَ أَنَّ الثَّارَ انْهَزَمُوا فَلَا تُصَدِّقْ . وَفِي مِثْلِ
هَذِهِ الْأَوَاضَاعِ السَّيِّئَةِ حَوْلَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الدَّرِينْدِيِّ وَأَمْثَالِهِ رَجَمَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى قُلُوبَ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الثَّقَارِ ، فَأَسْلَمَ أَبْنَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ
سَنَةً وَجَعَلَ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ يَنْخَفِقُ مِنْ جَدِيدٍ . قَالَ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ إِقْبَالُ
مَا مَعْنَاهُ :

قَدْ تَبَيَّنَ مِنْ قِصَّةِ ثَارٍ إِلَى الْيَوْمِ

أَنَّ قَدْ وَجَدَ الْحُرَّاسَ لِلْكَعْبَةِ مِنْ بَيْتِ الْأَضْنَامِ

٢ - لَمَّا تَارَتْ عَاصِفَةُ الدِّينِ الْإِلَهِيِّ فِي الْهِنْدِ فِي عَهْدِ الْمَلِكِ أَكْبَرِ ، رَفَعَ
الشَّيْخُ مُجَدِّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي لِيَوَاءِ إِحْيَاءِ الدِّينِ ، وَأَلْقَى التَّوْجِهَاتِ عَلَى
قُلُوبِ رُؤَسَاءِ الْجُنُودِ الْكِبَارِ أَمْثَالَ شَيْخِ فَرِيدِ وَخَانَ خَانَانَ . جَاءَ رَمَزٌ
انْقَلَبَتِ الْبَدْعَاتُ السَّيِّئَةُ وَانْتَهَتْ ، وَكَانَ الْأَرْضُ أُخْبِيثَ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ الْمَتَدِينُ أَوْرَنْكَزِيْبَ مِنْ ثَمَرَاتِ جُهُودِهِ .

٣ - هَاجَمَ الرُّوسُ دَاغِسْتَانَ فَتَقَدَّمَ مَشَايِخُ الطَّرِيقَةِ أَمْثَالَ الْغَازِيِّ مُحَمَّدِ
الشَّهِيدِ وَالشَّيْخِ حَمْزَةَ وَالشَّيْخِ شَامِلِ ، وَقَاتَلُوا الشُّبُوعِيِّينَ ٤٦ سَنَةً
بِدَايَةِ ١٨١٣ م إِلَى ١٨٥٩ م .

٤ - أَقَامَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الشَّرِيفُ السَّنُوسِيُّ مَرِيدِيهِ فِي حَزْبِ طَرَابُلُسِ ضِدَّ

الإيطاليين وحَارَبَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مُحَارِبَةً شَدِيدَةً، وَالزَّائِرَةَ
السَّنَوِيَّةَ بِالصَّحَرَاءِ الْعَظْمَى مِنْ أَفْرِيقَا مَشْهُورَةً إِلَى الْآنَ.

٥ - قَاتَلَ الْأَمِيرُ عَبْدَ الْقَادِرِ فِي الْجَزَائِرِ ضِدَّ الْفَرَنْسِيِّينَ فِي الْقُرْنِ الثَّاسِعِ
عَشْرِ الْمِيلَادِيِّ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ ١٨٣٢ م إِلَى ١٨٤٧ م وَكَانَ مِنْ
شِيُوخِ الطَّرِيقَةِ.

٦ - قَدْ احْتَلَّتْ مَقَاماً عَظِيماً فِي التَّارِيخِ أَسْمَاءُ الْحَافِظِ ضَامِنِ الشَّهِيدِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَعْرَكَةِ شَامَلِي، وَالسَّيِّدِ أَحْمَدَ الشَّهِيدِ، وَالشَّاهِ
إِسْمَاعِيلَ الشَّهِيدَانِ بِبَالَاكُوتَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِخُصُولِ التَّحْرِيرِ مِنَ
الْإِنْكِلِيزِ. وَهَؤُلَاءِ مِنْ مَشَايِخِ الصُّوفِيَةِ.

٧ - كَانَ السَّيِّدُ جَمَالُ الدِّينِ الْأَفْغَانِي مِنْ أَفْغَانِسْتَانِ، وَشَيْخُ الْهِنْدِ مَوْلَانَا
مَحْمُودُ حَسَنِ مِنَ الْهِنْدِ الْمَعْرُوفِ بِأَسِيرِ مَالْتَا، وَالشَّيْخُ حَسَنِ الْبِنَاءِ
مِنْ سُلْسَلَةِ الشَّاذَلِيَّةِ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مَشَايِخِ الطَّرِيقَةِ قَدْ جَاهَدُوا بِالسَّيْفِ.
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ نَاقِصٌ بَدُونَ ذِكْرِ هَذِهِ الصُّحَايَا الْعَظِيمَةِ.

٨ - قَدْ أَثَارَ شَيْخُ السُّلْسَلَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ خُضْرَةُ مَرْزَاجَانِ جَانَانَ الشَّهِيدِ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى شَوْقَ الْجِهَادِ فِي مُرِيدِهِ حَتَّى قَالَتْ امْرَأَةٌ تُحَاطَبُ ابْنِي:

قَالَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ لَهُ ضَحَّ بِنَفْسِكَ يَا بَنِي لِلْخِلَافَةِ

أَتَبْنُونِي مِنْ أَثَارِ شَوْقِ الْجِهَادِ فِي الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ جَوْهَرٍ، وَفِي
الشَّيْخِ شَوْكَتِ عَلِيٍّ، وَكُتِبَ عَلَى قَبْرِ شَيْخٍ قُتِلَ بَيْنَ ظُلُمِ الْأَيَّامِ مَعْنَاهَا:
وَجَدُوا فِي لَوْحِ قَبْرِي مَكْتُوباً فِي الْعُيُوبِ: أَنَّ لَيْسَ لِهَذَا الْمَقْتُولِ ذَنْبٌ
يَبْوَى لَا ذَنْبٌ.

هَاجَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَلِيٌّ جَوْهَرٌ لِتَحْرِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى لَنْدُنْ
حَتَّى يَبْلُغَ صَوْتَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَرْلَمَانِ الْإِنْكِلِيزِ، وَتَحْمِلَ مَشَاقِقَ الْحَبْسِ،
وَلَمَّا هُدِّدَ بِالْإِعْدَامِ وَقَفَ أَمَامَ الْعُدُوِّ وَجَاهَدَ أَفْضَلَ الْجِهَادِ وَفَقاً لِحَدِيثٍ:

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةً حَقَّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».

وَمَخَاطَبَ الْكُفَرِ وَقَالَ: لَا تَحْسَبُوا إِلَّا أَنْ لِي فَنَاءً، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ لِي أَشْبَابَ الْبَقَاءِ مِنَ الْعَيْبِ، الرِّسَالَةُ الَّتِي وَصَلْتُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا مُسْرُورٌ أَنَّ لِي تِلْكَ الرِّسَالَةَ رِسَالَةَ الْقَضَاءِ مَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَا طَيِّبٌ هُوَ الدَّوَاءُ الْإِكْسِيرُ لِي لَا سِوَاهُ.

التَّوْحِيدُ: هُوَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ فِي الْمَخْشَرِ: هَذَا الْعَبْدُ عُضْبَانُ عَلَى الْكَوْنَيْنِ لَا بَتَغَاةَ مَرْضَاتِي.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

فهرس المحتويات

| | |
|----|--|
| ٥ | مقدمة |
| ٥ | الباب الأول: عِلْمُ التَّصَوُّفِ |
| ٥ | الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ |
| ٥ | القِسْمُ الْأَوَّلُ |
| ٦ | القِسْمُ الثَّانِي |
| ٦ | القِسْمُ الثَّالِثُ |
| ٩ | الدَّلِيلُ الثَّانِي |
| ١١ | الدَّلِيلُ الثَّالِثُ |
| ١١ | قُضَارَى الْقَوْلِ |
| ١٢ | مَكَانَةُ التَّصَوُّفِ عِنْدَ أَخْيَارِ الْأُمَّةِ |
| ١٥ | البَابُ الثَّانِي: التَّصَوُّفُ مَا هُوَ؟ |
| ١٧ | مَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ |
| ١٩ | البَابُ الثَّالِثُ: تَحْقِيقُ كَلِمَةِ الصُّوفِي |
| ٢١ | ذِكْرُ أَسْئَلَةٍ مَشْهُورَةٍ حَوْلَ لَفْظِ الصُّوفِيٍّ مَعَ أَجْوِبَتِهَا |
| ٢٤ | الصُّوفِيُّ مَنْ هُوَ؟ |
| ٢٥ | خُلَاصَةُ الْكَلَامِ |
| ٢٦ | البَابُ الرَّابِعُ: |
| ٣٥ | مُلَخَّصُ الْكَلَامِ |
| ٣٧ | البَابُ الْخَامِسُ: ضَرُورَةُ الْمُرْشِيدِ |
| ٣٧ | أَدَلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ |

- ٤١ أدلة من أحاديث النبي ﷺ
- ٤٣ الدلائل العقلية
- ٤٥ أدلة من أحوال الصالحين
- ٥٠ علامات الشيخ الكامل
- ٥٣ الباب السادس: في آداب الشيخ
- ٥٥ وما أحسن ما قيل
- ٧٦ ذكر أمور هامة لتعبير الرؤيا
- ٨٥ الباب السابع: إنشاء الزوايا
- ٨٦ أدلة من القرآن المجيد
- ٩٢ الباب الثامن: في المعتقدات معتقدات المريدين
- ٩٤ إيضاح شناعة الغلو في تعظيم أولياء الله تعالى بمثال
- ١٠٩ الباب التاسع: دروس التصوف
- ١٠٩ زينة وجمال الشريعة المحمدية
- ١٠٩ ذكر بعض الأمثلة
- ١١١ جنت إلى المقصود
- ١١٣ نصوص من كلام السلف الصالحين
- ١١٥ دلائل الأخزاب والوظائف
- ١١٨ أدلة من القرآن المجيد
- ١١٩ أدلة من الأحاديث
- ١٢٠ ٢ - الفكر (المراقبة)
- ١٢٢ دلائل من القرآن المجيد
- ١٢٤ دلائل من الأحاديث
- ١٢٩ ٣ - الصلاة على النبي ﷺ
- ١٣٠ أدلة من القرآن الكريم

- ١٣٠ دلائل من الأحاديث النبوية
عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة
- ١٣٢ على النبي ﷺ وأجوبتها
- ١٣٣ ٤ - الاستغفار
- ١٣٤ أدلة من القرآن الكريم
- ١٣٤ دلائل من الحديث النبوي الشريف
- ١٣٨ ٥ - تلاوة القرآن الكريم
- ١٣٨ أدلة من القرآن الكريم
- ١٣٨ أدلة من الحديث الشريف
- ١٣٩ ٦ - رابطة الشيخ
- ١٣٩ أدلة من الأحاديث
- ١٤١ شواهد شعرية
- ١٤٣ الباب العاشر: أعمال اليوم والليلة
- ١٥٠ الباب الحادي عشر: في المعارف والحقائق
- ١٥٠ الدنيا
- ١٥١ عبادات
- ١٥٢ التوبة
- ١٥٣ الشيخ والمريد
- ١٥٥ التقوى
- ١٥٥ الذكر والمراقبة
- ١٥٦ الدعاء
- ١٥٦ العلم والعمل
- ١٥٧ للعلماء الكرام
- ١٥٩ حسن الصوت

| | |
|-----|--|
| ١٦٣ | المتثورات |
| ١٨٠ | الباب الثاني عشر: الأخلاق الحميدة |
| ١٨١ | مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ |
| ١٨١ | أَخْلَاقُ الصَّالِحِينَ |
| ١٨٢ | فَضَائِلُ حُسْنِ الْخُلُقِ |
| ١٨٨ | أمثلة نادرة للنصح |
| ١٩٠ | فَضَائِلُ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ |
| ١٩٣ | شروط أساسية للأخوة |
| ١٩٥ | الحبيبُ كيف يكون؟ |
| ١٩٨ | آداب الأخوة |
| ٢١٢ | الباب الثالث عشر: أسئلة وأجوبة |